اكتشف عطاء الله الكامل

لتسديد جميع احتياجاتك

# الكفّـــارة

موعدك مع الله

بقلم

ديريك برنس

# الكفارة

Originally published in English under the title
Atonement, your appointment with God
ISBN 978-1-78263-456-0
Copyright © Derek Prince Ministries – International
All right reserved

المؤلـــــــــــــف: ديريك برنس
الناشـــــــــــــر: المؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية ت: +20100 8559890
المـطـــــــــــــبعة: مطبعة سان مارك ت: +202 23374128
التجهـــــيز الفنـــــي: جى سى سنتر ت: +202 27797124
المـــوقع الإلكترونـــي: www.dpmarabic.com
البـريـــد الإلكترونـــي: info@dpm.name
رقـــــم الإيـــــداع: 2006/13097
الترقيـــــم الـــدولي: 977-6194-02-8

جميع حقوق الطبع في النسخة العربية محفوظة © للمؤسسة الدولية للخدمات الإعلامية
ولا يجوز إستخدام أو إقتباس أي جزء أو رسومات توضيحيةمن الواردة في هذا الكتاب
بأي شكل من الأشكال إلا بإذن مسبق منالناشر

Arabic Printing 2017
Derek Prince Ministries – International
P.O. Box 19501
Charlotte, North Carolina 28219
USA
Translation is published by permission
Copyright © Derek Prince Ministries – International
www.derekprince.com

**Printed in Egypt**

DPM

# الفهرس

مقدمة ..... ٥

**الجزء الأول: الصليب في المركز**

الفصل الأول: ذبيحة واحدة كافية تماماً ..... ١١

الفصل الثاني: تام إلى الأبد ..... ٢١

الفصل الثالث: المبادلة الإلهية التي سبق الله وأعدها ..... ٣١

**الجزء الثاني: المبادلات الإلهية التسع**

الفصل الرابع: الغفران والشفاء ..... ٤٣

الفصل الخامس: البر بدلاً عن الخطية ..... ٥٥

الفصل السادس: الحياة بدل الموت ..... ٦٣

الفصل السابع: البركة بدل اللعنة ..... ٧١

الفصل الثامن: الفيض بدل الفقر ..... ٨٧

الفصل التاسع: المجد بدل الخزي ..... ٩٥

الفصل العاشر: القبول بدل الرفض ..... ١٠٣

الفصل الحادي عشر: الإنسان الجديد بدل الإنسان العتيق ..... ١١٣

**الجزء الثالث: جوانب التحرير الخمس**

الفصل الثاني عشر: التحرير من الدهر الحاضر ..... ١٢٥

الفصل الثالث عشر: التحرر من الناموس والذات ..... ١٣٣

الفصل الرابع عشر: التحرر من الجسد ..... ١٤٥

الفصل الخامس عشر: التحرر من العالم ..... ١٥٧

**الجزء الرابع: كيف ننال ما أعده الله لنا**

الفصل السادس عشر: من الأمور الشرعية إلى الاختبارية ..... ١٦٩
الفصل السابع عشر: مرشدنا الشخصي للخلاص الشامل ..... ١٨١
الفصل الثامن عشر: امتلاك ميراثنا ..... ١٩١

# المقدمة

مكثت لمدة عام في عدة مستشفيات عسكرية في مصر في حالة مرضية لم يكن لدى الأطباء أي علاج فعَّال لها. كنت في المكان الذي يذكره "يوحنا بنيان" (John Bunyan) في كتابه "سياحة المسيحي" ويسميه مستنقع الاكتئاب، في وادي اليأس والوحدة المظلم ولم أجد أي طريق للخروج من هذه الحالة.

لاحقاً، وبدون بحث، زارني ثلاثة أشخاص من المثير للدهشة أن يجتمعوا معاً: امرأة برتبة عميد في جيش الخلاص في السبعين من العمر، وجندي من نيوزيلندا، وامرأة شابة من ولاية أوكلاهوما! وقد سمحت لي الممرضة أن أجلس معهم في سيارتهم في الجراج.

عندما صلينا معاً في السيّارة، أظهر الله حضوره بطريقة مثيرة، وخارقة للطبيعة. كانت السيّارة ثابتة على الأرض والمحرك مُطفأ، لكن قوّة الله بدأت تهز السّيارة كلها وتهزّنا نحن الأربعة الجالسين فيها. وبينما الاهتزاز مستمر، تكلّم الله من خلال شفتي المرأة الشابّة القادمة من أوكلاهوما. وبعد أن أعلن عن نفسه، أنه الإله كلّي القدرة، وجهني بوضوح بالكلمات التالية: "تأمل في عمل الجلجثة، إنه العمل الكامل، التام من جميع الجوانب، التام علي جميع الأوجه". خرجت من السيارة حينها مريضاً كما دخلت، لكني أدركت أن الله قد وجهني إلى مصدر تسديده الكامل لكل احتياجاتي: "***عمل الفداء علي الجلجثة***" وفهمت أن هذه الكلمات تصف ذبيحة المسيح علي الصليب؛ صليب الجلجثة.

وخلال تأملي الطويل في هذا الأمر وبتوجيه الرب لي وخضوعي لتوجيهاته لي من خلال كلمته، نلت الشفاء الكامل والدائم.

لكن كان هذا فقط الجزء الأول من البركات التي نلتها، ففي الستين سنة اللاحقة، واصلت اتباع توجيه الرب لي أثناء ذلك الاهتزاز الخارق للطبيعة في تلك السيارة، "تأمل في عمل الجلجثة".

اكتشفت أن الله قد وضع رجلي على الطريق المؤدي إلي:
"***غِنَى الْمَسِيحِ الَّذِي لاَ يُسْتَقْصَى***" وإلى:
"***شَرِكَةُ السِّرِّ الْمَكْتُومِ مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.***" (أفسس ٣: ٨-٩).

سأتحدث في هذا الكتاب عن تسديد الله المذهل وغير المحدود لجميع الإحتياجات التي قد تظهر في حياة أي إنسان، وذلك من خلال صليب الرب يسوع. وجوهر هذا الاكتشاف أنه في الصليب حصلت مبادلة إلهية ممّيزة حيث وُضع كل الشر الناتج عن آثامنا على الرب يسوع، وفي المقابل أصبح كل الخير الناتج عن برّه التام مُتاحاً لنا.

**ينقسم هذا الكتاب إلى أربع أجزاء رئيسية:**

- الصليب في المركز.
- المبادلات التسع.
- خمسة جوانب للتحرير.
- كيف أنال ما أعده الله لي.

انضم إليَّ إذاً بينما نمضي في هذه الرحلة المثيرة!

**ديريك برنس**

# الصليب

*في الصليب الحياة،*

*في الصليـــب الصحة،*

*في الصليب حلاوة السماء،*

*في الصليـــب قوة الذهـــن،*

*في الصليـــب فـــرح الـــروح،*

*في الصليـــب قمة السمو،*

*في الصليـــب كمال القداسة،*

*في الصليـــب حماية من الأعـــداء،*

*لا يوجد صحة للنفس، ولا رجاء في حياة أبدية بدون الصليب.*

**توماس كيمبيس**

***Thomas a Kempis***

**لاهوتي من القرن الخامس عشر**

# الجزء الأول

# الصـليب فـي المـركـز

# الفصل الأول

## ذبيحة واحدة كافية تماماً

يتناول هذا الكتاب موضوعاً واحداً وهو "الكفارة"، وهي كلمة نادرة الاستخدام نسبياً في اللغات المعاصرة، وكثيراً من الأشخاص لا يعرفون حتى معني هذه الكلمة. إنَّ المعنى الذي تعنيه كلمة كفارة في الحقيقة هو أن الله والخاطئ يدخلان معاً في علاقة تجعلهما واحداً . والكلمة البديلة الأكثر شيوعاً اليوم هي "المصالحة"، فالصليب هو الطريق إلي مصالحة الله القدوس بالإنسان الخاطئ. وهناك فرق هام وجوهري بين كلمة "كفَّارة" المترجمة من العبريّة التي كتب بها العهد القديم، وكلمة "كفَّارة" المترجمة من اليونانية التي كتب بها العهد الجديد.

في اللغة العبرية الكلمة هي "كيبَّور" وتعني "التغطية"، فيوم الكفَّارة كان هو يوم التغطية. كانت الذبائح المُقدّمة في ذلك اليوم تُغطي خطايا الشعب، ولكن فقط لسنة واحدة. وفي السنة التالية في نفس الوقت، كان يجب أن تُغطّى خطاياهم مرّه أخرى. فلم تكن الذبائح المُقدمة في يوم الكفَّارة تكفي لأكثر من سنة واحدة، ويجب إعادة الكرة مرة تلو الأخرى.

إلا أن صورة الكفَّارة في العهد الجديد مختلفة عن هذا تماماً. نرى هذا الفرق حين نقارن ما جاء في الفقرتين التاليتين من الرسالة إلى العبرانيين؛ وهي الرسالة التي تركز أكثر من غيرها، على الرب يسوع بصفته كاهننا الأعظم وعلى ذبيحته التي قدّمها بدلاً عنا.

تتحدث (عبرانيين ١٠: ٣-٤) عن ذبائح العهد القديم التي: "**فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا**" فلم تكن هذه الذبائح تبطل أو ترفع الخطية، ولكنها كانت تُذكر الشعب أن مشكلة الخطية مازالت قائمة، لأنه "**لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا.**"، فالقضية المركزية هنا هي رفع الخطايا، وليس تغطيتها فحسب.

وفي المقابل في (عبرانيين ٩: ٢٦) يتكلم الكاتب عن ما تم تحقيقه بموت الرب يسوع، في مقارنة مباشرة مع ذبائح العهد القديم. يقول الجزء الثاني من الآية عن الرب يسوع.
"***وَلكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ.***".

لذلك، عندما أتى الرب يسوع وقدّم نفسه ذبيحة على الصليب، رَفَعَ الخطية. وهذا العمل مضاد تماماً لذبائح العهد القديم، التي لم يزدعملها عن تذكير الشعب أن خطاياهم باقية، وأن الذبيحة لن تقدّم أكثر من غطاء لمدّة سنة واحدة فقط.

ولهذا عندما قدّم يوحنا المعمدان الرب يسوع في (يوحنا ١: ٢٩) قال: "***هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!***" فلنلاحظ مرة أخرى الفرق بين الرب يسوع وذبائح العهد القديم الرب يسوع رَفَعَ الخطية، ولهذا كل الذين قبلوا ذبيحته، لا يلزمهم بعد تقديم ذبائح عن الخطايا.

**ما يقوله الكتاب المقدّس عن مشكلتنا:**
قبل أن أصبح واعظاً، كنت أُستاذاً للفلسفة في جامعة كامبريدج في إنجلترا. وكفيلسوف قررت في أحد الأيام أن أدرس الكتاب المقدّس، معتبراً هذا واجباً عليَّ بحكم تخصصي في الفلسفة. كنت أعتقد أني حين أنهي دراسته سأكون قادراً على إعلان رأيي القاطع فيه. لكن وأثناء دراستي للكتاب المقدّس. قابلتُ الرب يسوع بطريقة مثيرة وقوية وشخصية. ومنذ ذلك الوقت حتى الآن آمنت بحقيقتين ولم أشك فيهما قط، **الأولى**: أن الرب يسوع حي، **والثانية**: أن الكتاب المقدّس صادق، ويمكن الاعتماد عليه في كل الأزمنة.

عندما بدأت أقدّر قيمة الكتاب المقدّس، أدركت أن ما يقدّمه لا يمكن أن يوجد في أي عمل من أعمال الحكمة البشريّة، أو المؤلفات الأدبية. فالكتاب المقدّس يعلن بشكل خاص موضوعين في غاية الأهمية وهما: التشخيص لمشكلة الإنسان، والعلاج لهذه المشكلة.

**التشخيص: الخطية**

في مجال الطب، إذا لم يتمكن الطبيب من تشخيص حالة ما، فلا يقدر عادة علي تحديد نوع العلاج. ولأن مشكلة الإنسان موضوع في غاية الأهمية، فإن الكتاب المقدّس يشخصها في كلمة واحدة هي "الخطية"، فلم يوجد حتى الآن أي كتاب آخر قام بتشخيص مشكلة الخطية إلا الكتاب المقدس، وبعض الكتب المستَمدّة منه. لم يستطع أي من الفلاسفة تشخيص هذه الحالة. إنه موضوع ينفرد به الكتاب المقدّس، وإن لم يقدّم لنا الكتاب المقدس أي شئ آخر فيجب أن نبقى ممتنين إلى الأبد لهذا التشخيص الدقيق لحالة الإنسان. ولكن شكراً لله، فالكتاب المقدّس لا يقدّم فقط التشخيص ولكنه يقدّم العلاج أيضاً، ألا وهو الكفَّارة.

سنتناول في هذا الكتاب مشكلة الإنسانية الأساسية التي هي الخطية. سيشمل بحثنا الخطية كمشكلة الإنسانية عامة، وأيضاً الخطية كمشكلة شخصية يعاني منها كل منا علي حِدى ، سواء أدركناها أم لا. قد ندعوها بعدة أسماء، وبعض ممن يسميهم الناس "علماء" في العالم اليوم يضعون لها تفسيرات وهمية، وأسماء معقدة، لكن أساس المشكلة الإنسانية يبقي كما هو: الخطية، ولن يتمكن أي شخص من التعامل مع مشاكله بطريقة فعّالة، حتى يواجه أساس المشكلة الحقيقي في الحياة، ألا وهو الخطية.

يقدم الكتاب المقدّس تعريف الخطيّة في (رومية ٣: ٢٣) فيقول: "***الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ***". إن جوهر الخطية سلبي وليس إيجابي على الإطلاق، فالخطية ليست بالضرورة ارتكاب جرائم رهيبة، بل هي إخفاقنا في أن نعطي الله مكانته المناسبة في حياتنا، وقيادتنا لحياتنا بأنفسنا، غير مقدمين لله المجد الذي تدين له به كل الخليقة.

**العلاج: الصليب**

لكن شكراً لله، فالكتاب المقدّس لا يشخص حالتنا فقط، بل أيضاً يقدم لنا علاج الله الكامل وهو "الصليب".

عندما أتحدث عن الصليب، فأنا لا أعني تلك القطعة من المعدن أو الخشب التي يعلقها الناس حول رقابهم، أو التي يضعونها علي جدران الكنيسة، مع أني لست ضد هذا. عندما أشير إلى الصليب، فأنا أتكلّم عن الذبيحة التي قدّمها الرب يسوع بدلاً عنا. أغلب المؤمنين لا يدركون تماماً أن ما جرى على الصليب هو ذبيحة، ولنبرهن على هذا، سنتأمل في ثلاث عبارات من الرسالة إلى العبرانيين، كلها تؤكد أن الصليب ذبيحة.

تتحدث (عبرانيين ٧: ٢٧) عن الرب يسوع، بالمقارنة مع كهنة العهد القديم فتقول:
***"الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ".***

تشير كلمة "يقدم" إلى ما كان يفعله الكهنة عند تقديمهم الذبائح، وفي المقابل قدّم الرب يسوع نفسه على الصليب. وبكلمات أخرى، كان الرب يسوع نفسه الكاهن والذبيحة، وككاهن قدّم الرب يسوع ذبيحة، ولكن هو نفسه كان الذبيحة، الضحيّة، أي أنه قد قدّم نفسه. ويوجد فقط كاهن واحد صالح يستطيع تقديم الذبيحة لله، وتوجد فقط ذبيحة واحدة مقبولة لدى الله. مرّة أخرى في (عبرانيين ٩: ١٣-١٤) نرى المقارنة المباشرة مع العهد القديم:

***"لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلّٰهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللّٰهَ الْحَيَّ".***

لنلاحظ أن الرب يسوع "بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب". وهذا يشير إلى الروح القدس، الذي كان له دوراً جوهرياً في هذه الذبيحة. في الحقيقة نكتشف أن أقانيم[١] اللاهوت تشترك بشكل

١ أقانيم: جمع كلمة "أقنوم" وهي كلمة سريانية الأصل معناها "شخص" لكن في حالة ارتباط حتمي بآخر، أي لا معني لهذه الكلمة ولا وجود للفظها إلا بوجود طرف آخر واحد علي الأقل. مثال ذلك الكلمة "توأم" في العربية، لا معنى لها ولا حاجة للفظها إن لم يكن هناك آخر واحد على الأقل يحقق علاقة التوأمة. لذلك استخدمت هذه الكلمة في اللغة العربية للإشارة إلى الترابط الأزلي الحتمي في الثالوث الأقدس: أقنوم الآب، وأقنوم الابن، وأقنوم الروح القدس: الله الواحد.

مباشر في جميع المراحل الأساسية من عملية الفداء، ويمكن توضيح دور الأقانيم في تلك المراحل المتتالية بالنقاط التالية:

**التجسد**: جسّد الآب الابن في رحم مريم العذراء بالروح القدس (لوقا ١: ٣٥).

**المعمودية في نهر الأردن**: حل الروح القدس على الابن، وتكلم الآب من السماء عن سروره بالابن (متّى ٣: ١٤-١٧).

**خدمة الرب يسوع العلنية**: مسح الآب الابن بالروح القدس (أعمال ١٠: ٣٨).

**الصليب**: قدم الرب يسوع نفسه للآب بالروح القدس (عبرانيين ٩: ١٤).

**القيامة**: أقام الآب الابن بالروح القدس (أعمال ٢: ٢٣، رومية ١: ٤).

**يوم الخمسين**: أخذ الإبن الروح القدس من الآب ثم سكبه على تلاميذه (أعمال ٢: ٣٣).

وقد كان كل أقنوم في اللاهوت غيوراً - إن جاز التعبير - ليشارك في عملية فداء البشر.

سيكون تركيزنا في هذا الكتاب على الصليب وعلى الرب يسوع ككاهن وكذبيحة. قدم الابن نفسه للآب بروح أزلي، بلا عيب ولا دنس، فقد كان الرب يسوع نقياً بالكامل، وكان هو الذبيحة الوحيدة المقبولة لأنه الوحيد الذي بلا خطية.

**إعادة الصليب إلى مكانته في المركز:**

تصف لنا الكلمة "أزلي" (عبرانيين ٩: ١٤) أمراً يتجاوز حدود الزمن. لقد كان ما حدث علي الصليب حقيقة تاريخية، لكن أهميتها تتجاوز الزمن، ففي تلك الذبيحة أخذ الرب يسوع علي نفسه خطايا جميع الناس في جميع العصور، الماضية والحاضرة والمستقبلة. ويصعب علي عقولنا المحدودة إدراك كل ما أُنجِز في تلك الذبيحة الواحدة، فجمع خطاياك وخطاياي وخطايا جميع الناس الذين عاشوا حتى الآن، وحتى جميع الذين لم يولدوا بعد، جاءت علي الرب يسوع بواسطة الروح الأزلي. لقد أخذ الرب يسوع على نفسه جميع الخطايا التي تخص الجنس البشري.

إنه أمر في غاية الأهمية أن ندرك هذا، وأن نعيد الصليب إلى مكانه الصحيح في تفكيرنا كمؤمنين. قبل عدة سنوات كنت بصحبة شخص مسيحي مؤمن مساعد لي في سنغافورة، وفي سياق الحديث علق قائلا: "أصبح لدى الكنيسة كثير من الموضوعات لتعرضها في واجهات مكتباتها، لدرجة أن الصليب لم يعد ملحوظاً بينها".

لقد أدركت أن صديقي وضع إصبعه على خلل رئيسي في الكنيسة المعاصرة. اليوم تستطيع الذهاب إلى المكتبات المسيحية لتجد كتباً عن أي موضوع تقريباً، "كيف تحصل على زواجاً أفضل"، "كيف تربي أطفالك تربية مسيحية"، "كيف تفهم جوانب شخصيتك"، "كيف تحافظ على بيتك"، وتقريباً لا يوجد نهاية لعدد الموضوعات، وكثيراً من هذه الموضوعات جدير بالاهتمام، ولكن لا يكون أي منها فعالاً بدون الصليب. الصليب هو المصدر الوحيد للنعمة والقوة، الذي يجعل أي نصيحة أخرى نافعة. حان الوقت أن تضع الكنيسة الصليب مرة أخرى في الصدارة .

قال الله لبني إسرائيل قبل دخولهم أرض الموعد أن لا يضعوا حول المذبح الذي سيبنوه أي شيء، وأعطى الله لهم في (خروج ٢٠: ٢٤-٢٥) تعليمات محددة عن نوع المذبح الذي يطلبه ليقدموا عليه ذبائحهم: "***مَذْبَحًا مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي... وَإِنْ صَنَعْتَ لِي مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ فَلاَ تَبْنِهِ مِنْهَا مَنْحُوتَةً. إِذَا رَفَعْتَ عَلَيْهَا إِزْمِيلَكَ تُدَنِّسُهَا***".

كان المذبح يصنع من المواد كما هي في الطبيعة، فلا يتم تعديلها من قبل الإنسان، بل تُبنى من التراب، أو من الحجارة غير المنحوتة، وأي شيء تضيفه يد الإنسان إلى هذه المواد يدنّس المذبح.

وفوق ذلك يحذّر الرب شعبه في (تثنية ١٦: ٢١).
"***لاَ تَنْصُبْ لِنَفْسِكَ سَارِيَةً مِنْ شَجَرَةٍ مَا بِجَانِبِ مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّذِي تَصْنَعُهُ لَكَ***".

لا شئ علي الإطلاق يمكن أن يحوّل انتباه بني إسرائيل عن المذبح حيث يقدّمون ذبائحهم للرب. لا مكان لأي شئ من فن الإنسان أو إبداعه. لا شئ يشغل الشعب عن البساطة والصلابة التامة التي للمذبح. وهذا درس لنا أيضاً، فلا يجب أن نضع أي شئ بجانب الصليب، ولا نضع عليه أو أمامه ما يمكن أن يجعله غير واضح، فالصليب أمر كامل وتام كما كان صلب المسيح مشهداً رهيباً وتاماً.

أنا أشك في وجود أي عمل فني استطاع تصوير ما حدث بالظبط عند موت الرب يسوع على الصليب بشكل دقيق . لو نجح العمل الفني في ذلك، لما استطعنا أن ننظر إليه من قسوة ورهبة الحدث ! ولكن سيظل الصليب مركز إيماننا، والأمر الذي تنفرد به المسيحية. لا توجد أي ديانة أخرى - لا البوذية ولا الهندوسية ولا أي نظام ديني آخر على الإطلاق - تمتلك أي شئ يُضاهي بالصليب أو يشبهه ولو من بعيد.

وفوق ذلك فالصليب يثبت الإيمان المسيحي ويربطه بالتاريخ، بينما تلقى أنبياءٌ وفلاسفة رسالتهم ونظرياتهم في ظروف معزولة؛ في مغارة مهجورة أو في رؤيا غامضة لا ترتبط بظرف محدد أو سلسلة أحداث تاريخية مشهود لها، حتى تكون موضع تأمل وبحث. أما رسالة الصليب فهي ترتبط بحدث محدد في تاريخ البشرية، فإما أن يكون حدث أو لم يحدث، إما أنه حقيقي أو كاذب، لا يوجد احتمال ثالث. وإن كان هذا حقيقياً، فلابد أن يكون هو الحدث الأكثر أهمية في تاريخ الإنسانية.

عندما واجهت الحقائق المركزية في بشارة الإنجيل قبل عدة عقود، ثم اكتشفت أن الرب يسوع حي الآن في وقتنا هذا، استنتجت أن حقيقة وجود رجل مات بالفعل وقام من الموت ومازال حياً حتى هذا اليوم، هو الحدث الأوحد من نوعه والأهم في تاريخ البشرية، ولا يوجد أمرٌ آخر يمكن مقارنته به.

إذا لم نضع الصليب في مكانه الصحيح في مركز حياتنا، فسيفقد إيماننا معناه وقوته، وسننتهي إما بقائمة كبيرة من المبادئ الأخلاقية أو بمقياس للسلوكيات لن نتمكن من تحقيقه، فلن يستطيع أحد تنفيذ تعاليم الرب يسوع في الموعظة على الجبل دون وجود قوة الصليب في حياته.

منذ عدة سنين وأنا أصلي لكي يُمكّن الله الكنيسة أن تُعيد الصليب إلى مكانه الصحيح . وأنا أثق أن هذه الدراسة عن موضوع الكفّارة والمبادلة التي حصلت كنتيجة لها، ستكون جزءاً من استجابة الله لصلاتي.

**الموضوعات التي يتضمنها الصليب:**

لنقم بالاختبار الشخصي التالي في (١كورنثوس ١: ٢٣) يقول بولس الرسول: "***نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوباً***". اسمح لي أن أسألك هذا السؤال: في عملك كواعظ أو كمعلم أو كمرشد، أوإن كنت خادماً في أي من الخدمات الكنيسة، هل تكرز بالمسيح مصلوباً؟ إن كان الجواب "لا" فحتى لو ظهر وعظك وتعليمك أو إرشادك جيداً، فعلى المدى الطويل سوف لن يحقق شيئاً، فالمصدر الوحيد للقوّة هو الصليب.

وفي (١كورنثوس ١: ٢٥) يقول بولس الرسول إن "***جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ، وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ***". الصليب هو جهالة وضعف الله! هل يمكن أن يبدو شئ أشد جهالة من أن يسمح الله لابنه أن يُصلب علي يد الخطاة؟ أيوجد أضعف من مشهد رجل معلق على صليب، جسده ممزق نازف، وهو يموت تحت وطأة الألم الشديد؟ لكن يقول بولس ضعف الله أقوى من الناس، وجهالة الله أحكم من الناس! فالمصدر الحقيقي للقوة والحكمة للمؤمن المسيحي هو الصليب، فقد نمتلك الكثير من الفضائل والنوايا الطيبة، ومجموعة كبيرة من العظات الجميلة، ولكن كل هذا بدون الصليب لن يجلب أي نتائج ذات أهمية.

تأمل (عبرانيين ١٠: ١٤): "***لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ***".

لقد أكمل بالفعل إلي الأبد. يظهر الفعل "أكمل" في النص اليونانى باستخدام زمن تام. فقد قُدّمت هذه الذبيحة مرة واحدة فقط، ولن تتكرر أبداً. هي ذبيحة كاملة، وستكُمِّل إلى التمام جميع الذين يؤمنون بها. ما عمله الرب يسوع وتأثيره فينا كامل وتام ودائم، ولا يوجد أي نقص فيه، ولا حاجة

أبداً لإضافة أي شئ إليه. فما عمله الله كامل وتام ونهائي، ولن تكون هناك أبداً أي حاجة لتغييره أو تعديله، ولكن نوالنا وإدراكنا لهذا العمل هو أمر تدريجي ومتزايد . فمن المهم أن ندرك هذا، خصوصاً مع استمرارنا في التأكيد علي كمال وتمام هذا العمل.

قد تقول في نفسك: "أنا لا أمتلك هذا النوع من الكمال والقداسة". في الحقيقة، لا أحد فينا يمتلك هذا الكمال أو القداسة. لقد درست وعلمت حول هذا الموضوع لمدة تزيد عن الخمسين عاماً، لكنني مازلت أتقدس، فالتقديس عملية مستمرة يومياً. نحن نقترب أكثر وأكثر إلى الله، وبذلك نبتعد أكثر وأكثر عن الخطية وعن العالم، فنأخذ أكثر وأكثر من الله في أنفسنا، وهذا ما يعمله إعلان الصليب لنا وفينا.

سنتناول في الفصول التالية، ثلاثة أسئلة قصيرة نادراً ما يطرحها أحد:

- ماذا يفعل الصليب لنا؟
- ماذا يجب أن يفعل الصليب داخلنا ؟
- كيف ننال عملياً ما سبق الله وأعده لنا من خلال الصليب؟

هذه الأسئلة لا تطرح في العادة، ولكن إجاباتها ستعطيك عمقاً جديداً من التقديس لم تحصل عليه من قبل، فمن خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب نستطيع أن ندرك بالكامل ما يتيحه الله لنا. إن محاولة البحث عن عطايا الله بأي طرق أخري هو إهمال للصليب، وهذا شئ في غاية الخطورة. ستكون الدراسة مطولة وشاقة، لكن إذا ثابرت، فإنها ستنعشك وتشجعك كثيراً.

# الفصل الثانى

# تـــام إلى الأبـــد

أوضحت في الفصل السابق أن موت الرب يسوع علي الصليب كان ذبيحة عن خطايانا، وأن الرب يسوع كرئيس كهنة، قدّم نفسه ذبيحة لله من خلال الروح القدس، وبذبيحة نفسه هذه رَفَعَ الخطية إلى الأبد.

ذكرت أيضاً أنى أتيت إلى الرب من خلفية لا تعرف تعاليم الإنجيل ولا حقيقة الخلاص، ولم يتعامل الرب معي من خلال قواعد عقلانية، لكنه ألقى بي ببساطة إلى عُمْق البحيرة وقال لي "اسبح". تعمدت بالروح القدس قبل أن أعرف بوجود المعمودية بالروح، وقبل أن يتمكن أي شخص من "تحذيري" منها! وقادني هذا لدراسة الكتاب المقدّس، ولدهشتي اكتشفت أن الكتاب المقدس صحيح، وهو مناسب وصالح لكل زمان. وكان عليَّ أن أبحث بشكل مستمر في النصوص الكتابية عن تفسيرات للأحداث التي كانت تحدث في حياتي.

كل هذا كان يحدث معي أثناء خدمتي كجندي في الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية، في بريطانيا. وبعد فترة قصيرة من الخدمة في الجيش، أُرسِلَت الوحدة التي كنت أعمل فيها إلى الشرق الأوسط، حيث قضيت ثلاث سنوات أخدم في مستشفي ميداني في صحراء مصر وليبيا .

بقيت مع هذه الوحدة العسكرية أثناء معركة "العلمين العظمي" [٢]، وبعد المعركة ظهر على يديَّ ورجليَّ مرض جلدي. أطلق الأطباء على حالتي أسماء مختلفة، وكل اسم أطول من الآخر! ولكن لم يتمكن الأطباء من علاج حالتي. ولأني لم أعد قادراً علي لبس الحذاء العسكري، كان يجب أن أترك وحدتي، وأمضيت سنة كاملة في عدة مستشفيات عسكرية في مصر. ولم أكن لأرغب في قضاء سنة كاملة في أي مستشفى، ولكن لو اضطررت إلى ذلك فلن يكون المستشفي العسكري ضمن قائمة اختياراتي!

٢ "العلمين" من أهم معارك الحرب العالمية الثانية. انتصر فيها الحلفاء بقيادة بريطانيا على إيطاليا وألمانيا عام ١٩٤٢ في مدينة العلمين في مصر.

مرت أسابيع وأنا مُلقى على سريري في المستشفى . كنت أعلم أنني مؤمن مُخلّص، وأنني قبلت الروح القدس، وأؤمن أن الكتاب المقدّس صحيح بكل تأكيد. كان هذا كل ما توصلت إليه، فلم يكن لدي أي تعليم آخر، ولكن الله تولّى هذه المهمة بنفسه وأعطاني تعليمه. كنت اضطجع ليلة بعد أخرى على السرير وأنا أقول لنفسي : "لو كان لدي إيمان، لكان الله قد شفاني". الشئ الآخر الذي كنت أقوله: "ولكن ليس لدي إيمان" وجدتُ نفسي في المكان الذي يذكره يوحنا بنيان في كتابه "سياحة المسيحي" ويسميه "مستنقع الاكتئاب"، في وادي اليأس المظلم.

أنا أروي كل هذا لكي تدرك أن قوّة الصليب ليست مجرد نظرية ولا هي منهج لاهوتي، إنها حقيقة اختبارية موثوق بها، وهي تنجح دائماً.

بينما أنا مستلقٍ على الفراش في كآبة وظلمة، وقع بين يدي كتاب صغير بعنوان "شفاءً من السماء" (Healing from heaven) لكاتبة طبيبة، اسمها ليليان يومانس(Lillian Yeomans) كانت تعاني من مرض عضال، أدى بها إلي إدمان المورفين، ولكن بالإيمان بالرّب، والإيمان برسالة الإنجيل، تحررت بشكلٍ مدهش. وكرست هذه السيدة حياتها لتكرز ببشارة الإنجيل وتعلم عن الشفاء.

ظهر أمامي في الكتاب الذي كنت أقرأه هذه الجملة، وهي اقتباس مباشر من الكتاب المقدّس، وقد غيرت حياتي تماماً، العبارة مقتبسة من (رومية ١٠: ١٧): "***فالإيمان إذاً من السماع، والسماع بكلمة الله***" (الترجمة الكاثوليكية).

حين قرأت هذه العبارة اخترق ظلمتي شعاع من ضوء لامع، وقد تمسّكت بكلمتين من هذه العبارة: "الإيمان ... من" ... إن لم يكن لديك إيمان، يمكنك الحصول عليه، كيف؟ بالسماع، سماع ماذا؟ سماع ما يقوله الله في كلمته.

قررت حينها أن أسمع ما يقوله الله، فحصلت لنفسي على قلم أزرق، وبدأت أقرأ الكتاب المقدّس بأكمله، كنتُ أُعلّم باللون الأزرق على كل شيء يتعلق بالموضوعات الأربعة التالية: الشفاء، الصحة، القوّة الجسدية، والحياة الطويلة. كلّفني إنجاز ذلك عدة شهور. وعلى أية حال، لم يكن لدي شيءآخر لأفعله! وعندما أنهيتُ تخطيطي، هل تعلم ماذا أصبح لديّ؟ كتاب مقدس ملون كله باللون الأزرق! أقنعتني نصوص الكتاب المقدّس أن الله قدّم لنا الشفاء من خلال ذبيحة الرب يسوع المسيح. وحتى ذلك الوقت، لم أكن أعرف عملياً، كيف أحصل على هذا الشفاء أو أمسك به.

**كلمـــة إرشـــاد:**

نُقلت أثناء مرحلة العلاج إلى مستشفى في مكان يُدعى "البلاح" على قناة السويس حيث قابلت سيدة متميزة من القاهرة، السيدة روز، وهي برتبة عميد في جيش الخلاص، وهي رتبة زوجها قبل أن يموت. وهذا عُرْف لدى جيش الخلاص أن تتقلد الزوجة مكان ورتبة زوجها. كانت السيدة روز تتميز بكونها من القليلين في الأربعينات من القرن العشرين والقليلين في جيش الخلاص ممن يتكلمون بألسنة، وكانت تحارب بشدة دفاعاً عن إيمانها بخصوص التكلم بألسنة، تماماً مثلما كان أعضاء جيش الخلاص يحاربون دفاعاً عن رسالة الخلاص.

عانت السيدة روز من مرض الملاريا المزمن لمدة عشرين سنة وهي تخدم كمرسلة في الهند، لكنها آمنت بالإنجيل وقبلت الشفاء الكامل من الملاريا، ولم تأخذ منذ ذلك الحين أي جرعة دواء.

حين علمت السيدة روز بوجود جندي مسيحي يحتاج إلي الشفاء، تحملت كل عناء الرحلة الصعبة لتأتي لزيارتي. حصلت السيدة روز في القاهرة على سيّارة بريطانية صغيرة ذات أربعة مقاعد، وكان يرافقها جندي نيوزيلاندي يقود السيّارة وسيدة شابة تعمل كمساعدة في الخدمة من أوكلاهوما. هؤلاء الثلاثة أتوا إلى المستشفى. سارت السيدة روز باتجاه غرفة الممرضة في المستشفى، وهي تلبس

زيها العسكري الكامل، الأمر الذي أرهب الممرضة. وتمكنت السيدة روز من الحصول على إذن لي للخروج والجلوس معهم في السيّارة للصلاة، وذلك دون حتى استشارتي!

وجدت نفسي جالساً في الكرسي الخلفي في تلك السيّارة الصغيرة،وأمامي السيدة روز والجندي النيوزيلاندي، وبجانبي تلك الأخت من أوكلاهوما. ابتدأنا بالصلاة، وبعد بضع دقائق أخذت هذه الشابة الأمريكية بجانبي تتكلم بألسنة بطلاقة وقوّة، وحلّت قوّة الله عليها فابتدأ جسدها يهتز، وأنا نفسي حينها بدأت أهتز، وكذلك الجميع، وأخيراً إهتزت السيّارة كلها رغم أن المحرك كان مُطفأً. ابتدأت السيارة بالاهتزاز، وكأنها تسير بسرعة مئة كيلو متر على طريق وعر.
كنت أعلم أن الله يعمل هذا من أجل فائدتي.
ثم قامت السيدة بترجمة ما سبق أن قالته في صلاتها بألسنة غير مفهومة، إلي اللغة الإنجليزية.

عندما تقارن بين أستاذاً أو فيلسوفاً بريطانياً (من محبى شكسبير الذي يُقدّرون اللغة الإنجليزية المستخدمة في عصر الملكة أليزابيث، أو في ترجمة كنج جيمس King James للكتاب المقدّس) مع سيدة من أمريكا، فستصل بالتأكيد إلي اصطدام للثقافات واللغة! لكن ما أذهلني أن ما قالته هذه السيدة وهي تُترجم الألسنة غير المعروفة التي سبق وقالتها، كان بلغة إنجليزية بليغة، مستخدمةً لغة عصر الملكة أليزابيث. لا أذكر كل ما قالته، لكن مقطعاً محدداً مازال عالقاً في ذهني كما كان في عام ١٩٤٣.
"Consider the work of Calvary: a perfect work, perfect in every respect, perfect in every aspect".
ويمكن أن يترجم هكذا: "تأمل عمل الجلجثة أنه العمل التام، التام من جميع الجوانب، والتام في جميع الأوجه"
أو بكلمات أخرى: تأمل عمل الجلجثة أنه العمل التام: تام لجميع الاحتياجات، تام في جميع الظروف و الحالات».

لو سمعت ما قالته لوافقتني الرأي. كانت لغتها الإنجليزية ممتازة بالفعل، وقد قدّرت ما سمعت في الحال خصوصاً مع خلفيتي في اللغة اليونانية. كانت الكلمة الأخيرة للرب يسوع على الصليب "قد أُكمل". والتي تظهر في لغة العهد الجديد اليونانية بكلمة واحدة في صيغة الفعل التام هي "tetelestai" وتعني "عمل الشيء بشكل تام وكامل". ويمكن ترجمتها إلى "قد تم تماماً أو قد أُكمِل بالكامل".

كان الرب من خلال هذه السيدة يكلمني عن العمل التام والكامل من جميع الجوانب والأوجه. كانت الرهبة تملأني، لأني أدركت أن الروح القدّس كان يترجم إليَّ تلك الكلمة بالذات، وأن الله كان يتحدث إليَّ.

خرجت من السيّارة بعد هذا بنفس حالتي المرضية، فلم يحدث أي تحسّن لجسدي، لكني تلقيتُ كلمة توجيه من الرب بأن ما فعله الرب يسوع لأجلي على الصليب يشمل كل ما أحتاج إليه في هذا الوقت وإلى الأبد ومن كل جانب: جسدياً وروحياً ومادياً وعاطفياً.

**قبول كلمة الله كدواء:**

إن عمل الصليب "تام وكامل من جميع الجوانب وتام وكامل في جميع الأوجه". فلا يهم من أي جهة تنظر إلى الصليب، فهو كامل لا ينقصه شئ، بل فيه "***كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى***" (٢بطرس ١: ٣). وهذا يشمل كل شيء لنا، ضمننا هذا بموت الرب يسوع الكفّاري على الصليب. كل شئ قد نحتاجه في هذا الوقت وفي الأبدية، سواء كان روحياً أو جسدياً، مادياً أو عاطفياً... كل شيء مُتاح في هذه الذبيحة الواحدة، "***لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ***" (عبرانيين ١٠: ١٤). لاحظ مرّة أخرى الكلمة "أكمل" في هذه الآية.

وهكذا بدأت إبحث لأفهم ما أعدّه الله من خلال موت الرب يسوع على الصليب من أجلي، وابتدأت اكتشف أن الرب يسوع على الصليب لم يحمل فقط خطاياي بل أيضاً أمراضي وآلامي، حتى أنني بجلدته شُفيت. فلا يمكن تجاهُل الرسالة المذكورة في (إشعياء ٥٣: ٤-٥).

"**لكِنَّ أَحْزَانَنَا** (حرفياً أمراضنا) **حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا** (آلامنا) **تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ** (أي جروحه ) **شُفِينَا**".

حاولت بكل الطرق والاتجاهات الفلسفية التي أعرفها، أن أتجنب ما تضمنته هذه الآيات من أن الرب يسوع حمل أمراضنا وآلامنا على الصليب وأننا بجلدته شفينا. استخدمت كل طرق التفسير الممكنة لأفسر هذه الآيات بحيث أستثني الشفاء الجسدي من المعني. وفي الأسابيع التي تلت ذلك وضع الشيطان في رأسي كل الاعتراضات التي قد تظهر في الذهن حول الشفاء الإلهي، لا أعتقد أنه ترك شيئاً منها! لكني كلما ذهبت إلي كلمة الله، كانت تعود لتعلن لي الحق نفسه. كنت أتذكر كتابي المقدّس الملوّن كله بالأزرق، ففي كل الكتاب من التكوين حتى الرؤيا، كنت أرى وعود الشفاء والصحة والقوّة الجسدية والحياة الطويلة.

لسبب أو لآخر كانت قد تشكلت في داخلي النتيجة التالية: "إنه كوني إنساناً مسيحياً، يجب أن أكون مستعداً لأحيا بقية حياتي في بؤس"، وكلما قرأت وعود الشفاء في الكتاب المقدّس، كنت أقول "لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، فهو يبدو رائعاً للغاية، الآيات لا تعني هذا المعنى بالضرورة، هل حقاً يريد الله لي الصحة والنجاح والحياة الطويلة؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، فليس هذا تصوري عن الدين".

وأثناء صراعي هذا تكلّم الرب في داخلي بصوت غير مسموع، ولكن بوضوح فقال: "قل لي، من هو المعلم، ومن هو التلميذ؟" فأجبت: "يا رب، أنت المعلم، وأنا التلميذ"، فكان الرد: "إذاً فدعني أعلّمك!". وبعدها وجّهني الروح القدّس إلى المقطع الكتابي الذي أخرجني من المستشفى:
"**يَا ابْنِي، أَصْغِ إِلَى كَلاَمِي. أَمِلْ أُذُنَكَ إِلَى أَقْوَالِي. لاَ تَبْرَحْ عَنْ عَيْنَيْكَ. اِحْفَظْهَا فِي وَسَطِ قَلْبِكَ. لأَنَّهَا هِيَ حَيَاةٌ لِلَّذِينَ يَجِدُونَهَا، وَدَوَاءٌ لِكُلِّ الْجَسَدِ**" (أمثال ٤: ٢٠-٢٢).

"يا ابني"... عرفت أن الله كان يكلّمني أنا باعتباري إبنا له. هذه الفقرة في الكتاب ليست لغير المؤمنين، لكنها لشعب الله. وعندما وصلت إلي المقطع الذي يقول "لكل الجسد". قلت لنفسي، هذا "يحسم الأمر"، فلا يمكن حتى لفيلسوف أن يغير معنى كلمة "الجسد" لتعني أي شيء آخر! كل الجسد تعني كل تكويني الجسماني بلا استثناء. الله يقدّم لي في كلمته الصحة لكل جسدي. وبحثت في إحدى الترجمات عن كلمة "دواء" فوجدت أن الكلمة العبرية تعني إما "صحة" أو "دواء" الذي سيأتي بالصحة لكل جسدي.

فقلت لنفسي: هذا رائع! نعم أنا مريض وأحتاج إلى علاج، والله يقدّم لي الدواء الذي سيأتي بالصحة لكل جسدي. كان من مهامي كمساعد طبي في الجيش البريطاني، قبل إصابتي بالمرض، صرف الدواء. فقلت لنفسي: الآن، سأتخذ من كلمة الله دواءً لي. وعندما قلت هذا، تكلّم الله في داخلي بصوت غير مسموح، ولكن بوضوح:
"عندما يعطي الطبيب دواء لشخص ما، تكون طريقة الاستخدام موجودة على زجاجة الدواء، إن (أمثال ٤: ٢٠-٢٢) هي زجاجة الدواء التي أصرفها لك، وطريقة الاستخدام موجودة فيها. من الأفضل أن تدرسها جيداً".

حين عدت إلى هذه الأيات وجدت أربع إرشادات وهي:
**الأولي**: "***أَصْغِ إِلَى كَلاَمِي***"... يجب أن نصغي بشكل كامل إلى ما يقوله الله.
**الثانية**: "***أَمِلْ أُذُنَكَ إِلَى أَقْوَالِي***". فمن اللازم علينا أن نحني رقابنا القاسية ونكون مستعدين للتعلم، فنحن لا نعرف كل شيء، وبعض التقاليد التي ورثناها من خلفياتنا الكنيسة ليست كتابية.
**الثالثة**: "***لاَ تَبْرَحْ (كلمتي) عَنْ عَيْنَيْكَ***" ... فيجب أن نبقي عيوننا موجهة ومركزة بدون تردد على كلمة الله.
**أخيراً**: "***اِحْفَظْهَا فِي وَسَطِ قَلْبِكَ***".

كذلك تقول الآية التالية:
"***فَوْقَ كُلِّ تَحَفُّظٍ احْفَظْ قَلْبَكَ، لأَنَّ مِنْهُ مَخَارِجَ الْحَيَاةِ***" (أمثال ٤: ٢٣).

وبكلمات أخرى، الشيء الذي تحتفظ به في قلبك - مهما كان - هو ما سيحدد مسار حياتك، فلا يمكن أن تحتفظ باتجاه خاطئ في قلبك وتحيا حياة صحيحة ولا يمكن إذا كان اتجاه قلبك صحيحاً أن تحيا حياةً خاطئة. فما يحدد مسار حياتك هو الشيء الذي يملأ قلبك. كأن الله يقول لي: "إذ استقبلت كلمتي من خلال بوابة أذنك، وبوابة عينك، واعترفت بها في قلبك، فستعمل كلمتي كل شيء أعلنه فيها".

بعدها قررتُ أن آخذ كلمة الله كعلاج لي، فذهبت إلى الطبيب وشكرته لمحاولته مساعدتي وقلت له: "من الآن فصاعداً سوف أثق بالله، ولا أريد أية علاجات أخري".
بصعوبة نجوت من محاولة إرسالي إلى مستشفى للأمراض النفسية، وسُمح لي بمغادرة المستشفى العسكري على مسؤوليتي الشخصية.
ورغم أن حالتي المرضية لا تحتمل الطقس الحار، فقد أرسلني الجيش إلي منطقة شديدة الحرارة هي الخرطوم في السودان، حيث قد تصل درجة الحرارة الطبيعية إلي ٥٢° مئوية. وجدت نفسي أمام تلك الحرارة الشديدة، وأنا مصمم أن آخذ علاجي من كلمة الله. كان ما أفعله من الناحية الفلسفية عملاً أحمق، فإما أن أكون ذكياً وأبقي مريضاً، أو أكون أحمق وأنال الشفاء؟ فقررت أن أكون أحمقاً!
سألت نفسي هذا السؤال: "كيف يأخذ الناس عادةً علاجهم؟" وكانت الإجابة: "غالباً ثلاث مرّات في اليوم بعد وجبات الطعام"، فصرت أختلي بنفسي بعد كل وجبة، وأفتح كتابي المقدّس، وأحني رأسي في الصلاة وأقول: "يا رب، أنت وعدت أن كلماتك هذه ستكون الدواء لكل جسدي، وها أنا آخذ كلمتك دواءً لي باسم الرب يسوع"، ثم أبدأ بقراءة الكتاب المقدّس بانتباه شديد مصغياً لما يريد الله أن يكلمني به.

شكراً لله! فقد شفيت بشكل كامل! وحصلت ليس فقط على شفاءً جسدياً، بل وأصبحت شخصاً مختلفاً بالكامل. لقد جدد الكتاب المقدّس ذهني وغيّر أولوياتي وقيمي واتجاهاتي.

**تحقيق الشروط لنوال وعود الله:**

من الرائع والمدهش أن تنال الشفاء بطريقة معجزية. وأنا أشكر الله أني رأيت كثيراً من الناس نالوا الشفاء بصورة معجزية وفورية. ولكن من ناحية أخرى،هناك فوائد حقيقية، في الحصول على الشفاء عن طريق "أخْذ الدواء بشكل منتظم" فبهذه الطريقة تحصل على أكثر من مجرد الشفاء الجسدي، فالله بهذه الطريقة يغيرك من الداخل.

لم أحصل على الشفاء بشكل فوري، وفي ذلك الطقس الصعب اقتضى الأمر ثلاثة شهور حتى أُشفى بالكامل. وفي تلك الظروف، كان يشجعني ما حدث مع شعب الله في مصر، فكانوا كلما أذلهم المصريون أكثر، كلما امتدوا ونموا (انظر خروج ١: ١٢)، فالظروف ليست هي العامل الحاسم، ووعود الله لا تعتمد على الظروف، بل على تحقيق الشروط.

سأختم هذا الفصل بهذا المبدأ الذي سيساعدك كثيراً في الحصول علي ما تحتاج إليه من ذبيحة الرب يسوع. يقول يعقوب في رسالته "***الإِيمَانَ بِدُونِ أَعْمَال مَيِّتٌ***" (يعقوب ٢: ٢٠). فلا يكفي أن تجلس وتقول: "أنا أؤمن". بل يجب أن تُفعّل إيمانك بالمواقف والأفعال المناسبة.

الأشخاص الذين أخذوني إلى أول اجتماع كنيسة كانوا أصدقاء لسميث وجلزورث (Smith Wigglesworth) المعروف بكرازته بإنجيل الشفاء. وقد اعتاد القول: "الإيمان هو فعل"، وهذا ما حصل معي. كان بإمكاني أن أجلس علي سريري وأقول: "أنا أؤمن" لكن هذا لن يغير شيئاً. كنت أحتاج لعمل شيء ما لكي أُفعّل إيماني، وقد وجهني الله بحكمته أن أنهل من كلمته ثلاث مرّات في اليوم كدواء لي.

هذا درس واضح: لا تكن سلبياً، لكن ابدأ بعمل فعل مناسب يتوافق مع إيمانك بعمل المسيح علي الصليب حتى تستطيع الحصول على ما قدّمه لك الرب يسوع من خلال الصليب.

# الفصل الثالث

## المبادلة الإلهية التي سبق الله وأعدها

سنلقي الضوء في هذا الفصل على حقيقة رائعة هي أنه من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب حدثت مبادلة فتحت لنا الطريق لكل الكنوز الموجودة لدى الله.

ولنبدأ دراستنا حول هذه المبادلة الإلهية بمراجعة (عبرانيين ١٠: ١٤): "***لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ***". ونحن هنا نؤكد على شيئين: الأول أن موت الرب يسوع على الصليب كان ذبيحة سبق الله وأعدها، فيها قدّم يسوع - بصفته الكاهن - نفسه لله الآب بديلاً عن الجنس البشري بأسره، والشيء الثاني الذي مازلنا نؤكد عليه أن هذه الذبيحة كاملة كل الكمال، وتامة كل التمام. فلا يوجد شيء ناقص فيها أو آخر يجب أن يضاف لها. لقد تم تسديد كل احتياج لكل شخص من نسل آدم بالكامل في هذه الذبيحة الواحدة للرب يسوع المسيح على الصليب.

من الضروري التمسك بهذه الحقيقة، ومن الضروري كذلك ألا نحوّل انتباهنا عن ذبيحة الرب يسوع هذه. قد ننخرط في أشكال مختلفة من التعليم والخدمة والنشاطات المسيحية التي قد تبدو جيدة، لكن إذا كانت هذه الأمور منفصلة عن ذبيحة الصليب، ففي النهاية ستفقد فاعليتها وتأثيرها.

سأستعين بفكرة توضيحية من سفر إشعياء النبي لنوضّح نقطة هامة. الصليب هو مركز كل ما يمنحه ويتيحه الله لنا، وهو مركز كل بشارة الإنجيل، ويوضح سفر إشعياء هذا الأمر بطريقة لافته. تابع معي هذا الأمر الذي يستحق الدراسة!

**الصليب فى المركز:**

كم عدد أصحاحات سفر إشعياء؟ إنها ٦٦ أصحاحاً، وكم عدد أسفار الكتاب المقدّس؟ نفس العدد، ٦٦ سفراً.

ينقسم سفر إشعياء إلى جزئين رئيسين: الأصحاحات ١-٣٩، والأصحاحات ٤٠-٦٦ (٣٩ أصحاحاً، ٢٧ أصحاحاً)، وكذلك الأمر بالنسبة للكتاب المقدّس: ٣٩ سفراً في العهد القديم، ٢٧ سفراً في العهد الجديد، ويطلق على الأصحاحات الـ ٢٧ الأخيرة من سفر إشعياء "إنجيل العهد القديم".

أما هذه الـ ٢٧ أصحاحاً، فهي مقسمة بدورها إلي ثلاثة أقسام، كل قسم منها مكون من تسعة أصحاحات: ٤٠-٤٨، ٤٩-٥٧، ٥٨-٦٦.

وهناك ميزة هامة في هذه الأقسام الثلاثة: كل منها يُختتم بإعلان قوي عن أن الله لا يتهاون مع الخطية. الآية الأخيرة من (إشعياء ٤٨) تقول: "***لاَ سَلاَمَ، قَالَ الرَّبُّ لِلأَشْرَارِ***". والآية الأخيرة من (إشعياء ٥٧) تقول: "***لَيْسَ سَلاَمٌ، قَالَ إِلهِي، لِلأَشْرَارِ***"، وهاتان الآيتان متماثلتان بشكل كبير.

حين ننتقل إلى الآية الأخيرة من (إشعياء ٦٦) نقرأ: "***وَيَخْرُجُونَ وَيَرَوْنَ جُثَثَ النَّاسِ الَّذِينَ عَصَوْا عَلَيَّ، لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ، وَيَكُونُونَ رَذَالَةً لِكُلِّ ذِي جَسَدٍ***". تختلف كلمات هذه الآية عن الآيتين السابقتين، لكنها تعرض نفس الحقيقة، كل الذين عصوا ولم يتوبوا سوف يكونون مِثالا يوضح مشهداً لقضاء الله.

إذاً ينتهي كل قسم من الأقسام الثلاث بنفس الإعلان، فعلى الرغم من رحمة الله فهو لن يتهاون مع الخطية غير المُعترَف بها وغير المتروكة.

**الرسالة المركزية للأصحاح المركزي:**

تأتي الأصحاحات (٤٩-٥٧) في مركز الجزء الثاني من سفر إشعياء. ويأتي الأصحاح ٥٣ في منتصف هذه الأصحاحات، لكن الرسالة النبوية لهذا الأصحاح تبدأ من الآيات الثلاثة الأخيرة في الأصحاح ٥٢:

"***هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَفِي وَيَتَسَامَى جِدًّا***"... (إشعياء ٥٢: ١٣).

تشير كلمة "هوذا" هنا إلى كلمة "عبدي" التي تليها، وهو اللقب الذي أطلق على الرب يسوع في هذه النبوة. وإذا أضفت الآيات التمهيدية الثلاث الأخيرة من أصحاح ٥٢ إلى الآيات الاثنتي عشرة التي تُكون الأصحاح ٥٣، فستحصل على المجموعات الخمسة التالية المُكوَّن كل منها من ثلاث آيات:

١. (إشعياء ٥٢: ١٣-١٥)
٢. (إشعياء ٥٣: ١-٣)
٣. (إشعياء ٥٣: ٤-٦)
٤. (إشعياء ٥٣: ٧-٩)
٥. (إشعياء ٥٣: ١٠-١٢)

وكما تلاحظ يأتي المقطع الثالث (٥٣: ٤-٦) في منتصف هذه المقاطع التي تُشكل معاً الأصحاح ٥٣. ويأتي الأصحاح ٥٣ في منتصف الجزء الثاني من إشعياء.

أنا أؤمن بوجود قصد إلهي وراء ذلك، فالحق الذي تعلنه الآيات يظل هو مركز وقلب الرسالة الكلية للإنجيل، فالحقيقة الأساسية تظهر في مركز وقلب الرسالة. فلنتأمل ما تقوله أول آيتين من هذه المجموعة المركزية (٥٣: ٤-٥).

"***لكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا***".

والأدق بحسب اللغة العبرية أن يُقال: "أمراضنا حملها وآلامنا تحملها" كما جاء في إحدى الترجمات وليس "أحزاننا وأوجاعنا" فالمعنى المقصود مادي وملموس وليس معنوياً، بل إن الترجمتين الكاثوليكية والمشتركة قالتا: "... عاهاتنا... وأوجاعنا". ثم أن هناك تأكيد مزدوج في أول هذين العددين، إذ أن أصل الكلمة الافتتاحية هو "لكنه بالتأكيد" مع الضمير كما أوردتها ترجمة كتاب الحياة، وليس "لكن" فقط. فالتأكيد هنا يأتي على ضمير الهاء لأن اللغة العبرية كاللاتينية واليونانية والروسية، وعلى خلاف أغلب اللغات الأوروبية، ليست بحاجة لإضافة الضمير إلى الجملة، لأن المعنى مُتضمن في الفعل اللاحق. وتضع الضمير فقط حين تريد التأكيد عليه. ولأن الضمير موجود هنا، فقد تم التأكيد عليه مرّتين مرّة من كلمة "لكن" التي تسبقه، ومرّة أخرى بسبب إضافة الضمير نفسه.

والآن تأتي الآية الحاسمة، وهي الأية الثالثة في هذا المقطع المركزي في منتصف الأصحاح:
***"كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا".***

ما هي مشكلة الجنس البشري؟ ما الذي فعلناه؟ الكتاب المقدّس يشخص لنا الأمر. لم نُمسك كلنا في زنى، ولسنا كلنا سكيرين أو سارقين، ولكن هناك شيء مشترَك بيننا: ملنا كل واحد إلى طريقه البعيدة عن طريق الله، ويدعو الله هذا "إثم". وأفضل مصطلح معاصر يصف ما فعلناه، هو "التمرد"، فأساس مشكلة البشرية هو التمرد على الله.

مشكلة البشرية تشملنا جميعاً، يهوداً أو أممًا، كاثوليك أو إنجيليين، آسيويين أو أميريكيين أو أفريقيين بدون استثناء. لقد ملنا كل واحد إلى طريقه، كلنا في نفس الفئة، متمردون.

لكن الرسالة المدهشة هي أن الله وضع على الرب يسوع كل آثامنا وتمردنا. كل البشر من كل الأجناس وكل الأعمار وُضعَت آثامهم وتمرّدهم على الرب يسوع وهو مُعلّق على الصليب.

**ما الذي حمله الرب يسوع؟**

الكلمة المترجمة هنا "إثم" هي من العبرية "آفون". هذه الكلمة لا تعني فقط التمرد، لكن يشمل معناها أيضاً كل النتائج الرديئة للتمرد أي جميع عواقبه، وما يجلبه على المذنبين من قصاص. آمل أن تقنعك الفقرات التالية من العهد القديم بأن ما أقوله ليس تفسيراً خيالياً، بل تطبيقاً مباشراً لما يقوله الكتاب المقدّس.

اسمع ما قاله قايين بعد أن تكلّم الله إليه بخصوص مقتل أخيه:

"***فَقَالَ قَايِينُ لِلرَّبِّ: ذَنْبِي أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يُحْتَمَلَ***" (تكوين ٤: ١٣).

كلمة "ذنب" هنا هي "آفون" وهي تشمل إثم قايين وعقوبته معاً وقد كانا أعظم من أن يُحتمل.

مثال آخر: عندما طلب الملك شاول من المرأة العرافة في عين دور أن تستدعي له روح صموئيل، ولأن عقاب العرافة كان الموت، وعدها شاول وقال:

"***حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، إِنَّهُ لاَ يَلْحَقُكِ إِثْمٌ فِي هذَا الأَمْرِ***" (١صموئيل ٢٨: ١٠). أو "***لن يصيبك عقاب***" ... ومرّة أخرى، فإن الكلمة العبرية المستخدمة هنا هي "آفون"، وقد أكد شاول للعرّافة أن عقاب إثمها لن يأتي عليها.

أيضاً نرى كلمة "آفون" مرتين في مراثي إرميا:

المرّة الأولى في (مراثي إرميا ٤: ٦):

"***صَارَ عِقَابُ*** (آفون) ***بِنْتِ شَعْبِي أَعْظَمَ مِنْ قِصَاصِ خَطِيَّةِ سَدُومَ***"...

وكذلك (الآية ٢٢) من نفس الأصحاح:

"***قَدْ تَمَّ إِثْمُكِ*** (آفون) ***يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ***"...

بالعودة إلى (إشعياء ٥٣) نفهم أن الرب وضع على عبده المُتألم خطايانا جميعاً وتمردنا وعقاب تمرّدنا وكل النتائج المُترتبة عليه.

**المبـادلة الإلهية:**

هذا يقودنا إلى حقيقة أساسية، وكما سبق فقلت، هي المفتاح الذي سيفتح لنا كل الكنوز التي يوفرها الله. لقد تمت على الصليب مُبادلة عظيمة سبق الله وأعدها. إنها بسيطة جداً ولكنها عميقة جداً: فتبعا للعدل الإلهي أتى على الرب يسوع كل الشر الذي نستحقه، ليكون لنا كل الصلاح الناتج عن طاعة الرب يسوع الكاملة.

والآن اقرأ جوانب المُبادلة التسع التالية، وفي كلٍ منها مُد يدك اليسري مُقابل الشيء السيئ، ويدك اليُمني مقابل الشيء الصالح:

١. عُوقب الرب يسوع لكي يُغفر لنا.
٢. جُرح الرب يسوع لكي نُشفى .
٣. صار الرب يسوع خطية بخطيتنا لكي نتبرر نحن ببره.
٤. مات الرب يسوع موتنا لكي نقبل نحن حياته.
٥. صار الرب يسوع لعنة لكي ننال البركة.
٦. تحمّل الرب يسوع فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه.
٧. تحمّل الرب يسوع خزينا لكي نشاركه في مجده.
٨. تحمل الرب يسوع رفضنا لكي نحظي بالقبول عند الآب مثله.
٩. مات إنساننا العتيق في الرب يسوع لكي يحيا الإنسان الجديد فينا.

لن نجد أبداً أي سبب لنستحق هذه المبادلة، فهي عمل نعمة الله الغنية وهي التعبير عن حبّه غير المحدود.

بالإضافة إلى هذه المبادلات التسعة الحيوية التي حدثت على الصليب، نستطيع من خلال تطبيق حقيقة الصليب في حياتنا أن ننال خمسة جوانب مختلفة من التحرير، فمن خلال الصليب ننال التحرير والخلاص:

١. من هذا الدهر الشرير.
٢. من الناموس (كطريق لنوال البرّ).
٣. من الذات.
٤. من الجسد (سلطان الطبيعة الساقطة).
٥. من العالم.

في هذا الكتاب، سوف ندرس كل واحدة من هذه المبادلات التسعة، وكذلك الجوانب الخمسة للتحرير والخلاص. وسنشرح كيف نستطيع أن ننال ما أعدّه الله لنا من خلال الكفَّارة. والمفتاح هنا هو كلمة "النعمة"، والنعمة هي ما لا يمكنك أن تحصل عليه بمجهودك أو تستحقه أبداً. أغلب المتدينين لا يتمتعون بنعمة الله، لأنهم يريدون أن يحصلوا عليها بمجهوداتهم. لكن لا توجد أي طريقة لتحصل بقدرتك على ما سبق أن أعده الله لك من خلال موت الرب يسوع على الصليب، هناك طريقة واحدة لتنال نعمة الله، وهي أن تؤمن بها. توقف عن محاولة كسبها، توقف عن محاولة إقناع نفسك بأنك صالح بما فيه الكفاية. أنت لست كذلك، ولن تكون أبداً، فالطريقة الوحيدة لتنال ما قدّمه لك الرب يسوع على الصليب هي الإيمان.

لماذا أرسل الله ابنه الوحيد ليُصلب بدلاً عنا؟ لقد فعل هذا لأنه يحبنا. ولماذا يحبنا الله؟ لم يعط الكتاب المقدس أي تفسير لذلك، ولن تكفينا الأبدية كلها لنستوعب سبب هذا الحب. نحن لا نستحق ما يقدّمه لنا الله، ولا نستطيع أن نحصل عليه بمجهودنا أو عملنا، ولا يوجد أي شيء فينا يبرر تضحيته المذهلة. لقد كان هذا اختياراً سامياً لله كلي القدرة.

بينما نتأمل في عطية الله، من المهم أن نعرف لقبين من ألقاب الرب يسوع: الأول في (١كورنثوس ١٥: ٤٥):
"***هكَذَا مَكْتُوبٌ أَيْضًا: صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا***".

يسمي كثير من المؤمنين الرب يسوع "آدم الثاني" وهذا خطأ، فكلمة الله تدعوه "آدم الأخير" هل هناك فرق؟ بالطبع، وسنرى هذا بعد قليل، لكن لنذهب أولاً إلى العدد ٤٧:
"***الإِنْسَانُ الأَوَّلُ مِنَ الأَرْضِ تُرَابِيٌّ. الإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ***" (١كورنثوس ١٥: ٤٧).

يُدعي الرب يسوع في الآية ٤٥ "آدم الأخير" ثم يدعى في الآية ٤٧ "الإنسان الثاني" يجب ألا نخلط بين هذين اللقبين، وعلينا ترتيبهما بالطريقة الصحيحة،وإلا فقدا معناهما.

كان الرب يسوع على الصليب هو آدم الأخير. لم يكن الأخير من ناحية الوقت، فهناك ملايين وملايين من الناس وُلدوا منذ ذلك الحين، لكنه كان الأخيرمن حيث الميراث الفاسد المُوَرَّث لكل الجنس الآدمي الذي حَمَلَه كُلّيةً على الصليب. فجميع الشرور الموروثة من جنسنا الملعون بالخطيَّة أتت عليه، وحين دُفنت كلها معه. كل شرور طبيعتنا الموروثة من آدم أُبعدت، وانتهت ، وأُزيلت من المشهد.

وبعدها، حين قام المسيح من الموت، قام باعتباره الإنسان الثاني الذي هو بداية جنس عمانوئيل، وهو نوع جديد من البشر لأنه جنس نتج من ارتباط الله مع الإنسان. وكل شخص يولد ثانية من خلال الإيمان بموت الرب يسوع وقيامته يصبح من الجنس الجديد الذي لعمانوئيل. احرص على أن يكون هذا واضحاً جداً لك. كان الرب يسوع على الصليب هو آدم الأخير، نهاية كل شئ. لم يكن هناك مفر من العقاب البغيض لكل ما فعلناه. ولكن حين دُفن يسوع، دَفن كل هذا العقاب معه. وحين قام في اليوم الثالث، صار بداية لجنس جديد وهو جنس ارتباط الله مع الإنسان، الجنس الذي فيه اجتمع الله والإنسان بطريقة فريدة لبدء خليقة جديدة.

في (١بطرس ١: ٣) يشبّه الرسول بطرس القيامة من الموت بالولادة، وفي (أفسس ١: ٢٢-٢٣) يصف بولس الرسول الرب يسوع بقوله:
"***وَإِيَّاهُ جَعَلَ رَأْسًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لِلْكَنِيسَةِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ***" هذا تصوير جميل فما هو الجزء من الجسم الذي يظهر أولاً أثناء الولادة الطبيعية للإنسان؟ إنه الرأس. وحين يخرج الرأس فهذا ضمان أن بقية الجسد سيتبعه. عندما قام الرب يسوع المسيح من الموت كان هذا ضمان لقيامتنا نحن أيضاً. مات الرب يسوع باعتباره آدم الأخير، وقام من الموت باعتباره الإنسان الثاني.

**صورة نبوية أخيرة:**
والآن لنتأمل في أحد الصور النبوية والموجودة في (إشعياء ١: ٢)، وهي وصف لتمرد بنى إسرائيل حيث يقول الرب عنهم:
"***أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ***".

ويعطي الرب في الآيات ٥ و٦ صورة قوية عن عواقب هذا التمرد:
"***كُلُّ الرَّأْسِ مَرِيضٌ، وَكُلُّ الْقَلْبِ سَقِيمٌ. مِنْ أَسْفَلِ الْقَدَمِ إِلَى الرَّأْسِ لَيْسَ فِيهِ صِحَّةٌ، بَلْ جُرْحٌ وَأَحْبَاطٌ وَضَرْبَةٌ طَرِيَّةٌ لَمْ تُعْصَرْ وَلَمْ تُعْصَبْ وَلَمْ تُلَيَّنْ بِالزَّيْتِ***".

هذا هو التمرد مع نتائجه البغيضة، وهذه أيضاً صورة دقيقة للرب يسوع على الصليب! قارن هذا مع مقدّمة (إشعياء ٥٣) والتي هي (إشعياء ٥٢: ١٣-١٤):
"***هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ، يَتَعَالَى وَيَرْتَفِعُ وَيَتَسَامَى جِدًّا. كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَدًا أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ، وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ*** (أو كان شكله مفزعاً لأنه تشوّه ولم يعد يبدو كرجل عادي مثل باقي البشر)".

كانت هيئة الرب يسوع الجسدية مشوّهة لدرجة أنه فقد مظهره كإنسان "من أسفل القدم إلى الرأس، ليس فيه صحة، بل جرح وكدمات وضربة طريّة لم تُعصر لوم تُعصب ولم تليّن بالزيت".

لماذا كان "منظره كذا مفسداً أكثر من الرجل، وصورته أكثر من بني آدم؟" لأن هذه هي نتيجة العصيان والتمرد على الله. ففي صورة واحدة قوية يوضح لنا الله هذه الحقيقة أن الرب يسوع حمل على الصليب تمردنا وكل عواقبه البغيضة. لا تصدق تلك الصور الدينية اللطيفة عن الصليب، فقد كان الرب يسوع مليئاً بجروح وكدمات وقروح لم تنظف. كانت الجروح متقيحة ومتعفنة، لماذا؟ لأن تمردنا جميعاً أتى عليه. في المرّة القادمة حين نفكّر أنا وأنت في التمرد، ليت الله يعطينا صورة لما ينتج عن تمردنا في النهاية. لقد حمل الرب يسوع بوصفه آدم الأخير التمرد، ومات ودفن، ودفن تمردنا معه، وحين قام، فقد قام بوصفه الإنسان الثاني، رأس الجنس الجديد.

بينما تنهي هذا الفصل، قل هذا بصوت عال: "***على الصليب حمل الرب يسوع تمرّدي، وكل عواقبه البغيضة***".

فإذا كنت حقاً تؤمن بما قلته للتو، يبقى عليك أن تقول شيئاً آخر "شكراً لك يارب يسوع" آمين.

# الجزء الثاني

## المبـــادلات الإلهيـة التسع

# الفصل الرابع

## الغفـران والشـفاء

كما سبق ورأينا، حدثت مبادلة إلهيّة عظيمة على الصليب قد سبق الله وأعدها، وهي موجودة في قلب وعقل الله منذ الأزل، وقد تّمت وجرت أحداثها في الجلجثة. لم يكن الصليب صدفة، ولم يكن حدثاً مأساوياً مؤلماً أُجبِر الرب يسوع عليه، ولم يكن مجموعة من التطورات التي حدثت دون أن يتوقعها الله، بل كان الصليب عملاً مدهشاً أعدّه الله منذ بداية الزمان، حيث قدّم الرب يسوع الكاهن نفسه لله كذبيحة. وبهذه الذبيحة الواحدة ملأ الله كافة جوانب الاحتياجات البشرية، في الوقت الحاضر وحتى في الأبدية.

وهذه هي طبيعة المُبادلة: كل العقاب الذي نستحقه نحن جاء على الرب يسوع، لكي يكون لنا كل الخيروالصلاح الناتج عن طاعته الكاملة للآب.

سنبحث في هذا الفصل في جانبين من جوانب هذه المُبادلة الإلهيّة، كما يتضح ذلك في (إشعياء ٥٣: ٤-٥).
"***لكِنَّ أَحْزَانَنَا*** (حرفياً أمراضنا) ***حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا***".

**المبادلة الأولي: عقاب الرب يسوع من أجل غفران خطايانا:**
يقول إشعياء: "تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ". وهنا تتضح المُبادلة الأولى، فقد عُوقب الرب يسوع لكي ننال الغفران الإلهي. إن كانت خطيّتك غير مغفورة، لن تحصل على سلام مع الله، فالله لن يقيم سلاماً مع الخطيّة.

من المُثير للاهتمام، كما لاحظنا، أن تنتهي تلك الأقسام الثلاثة المُكوَّنة كلٍ منها من تسعة أصحاحات (في الجزء الثاني من سفر إشعياء) بإعلان يوضّح أنّ الله لن يتهاون مع الخطيّة. فلابد من علاج هذا الموضوع، ورسالة الرحمة لنا أن مشكلة الخطية قد عُولجت من خلال موت الرب يسوع على الصليب، فأجرة الخطيّة هي موت، لكن الرب يسوع دفع هذه الأجرة على الصليب. وماذا كانت النتيجة؟ انظر (رومية ٥: ١).

"**فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**".

عندما تعامل الله مع خطيتنا بطريقته كانت النتيجة سلاماً مع الله. لو لم يُعاقَب الرب يسوع، لما حصلنا على السلام مع الله.

نقرأ عن هذا الموضوع أكثر في (كولوسى ١: ١٩-٢٢) حيث يتحدث الكتاب عن الرب يسوع وهو على الصليب.

"**لأَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ، وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلاً الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ، سَوَاءٌ كَانَ: مَا عَلَى الأَرْضِ، أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُحْضِرَكُمْ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ وَلاَ شَكْوَى أَمَامَهُ**".

لا يمكن الوصول إلى هذه النتيجة بأية طريقة أخرى سوى عن طريق ذبيحة الرب يسوع. لقد أصبح ممكناً لنا أن نحصل على الغفران والتحرير من قوة الشر لأن الرب يسوع قد تعامل تماماً مع كل الشرور التي إقترفها أي رجل أو امرأة أو طفل.

عبارة أخرى تتكلم عن نفس الموضوع نجدها في:

(أفسس١: ٧) "**الَّذِي فِيهِ** (يسوع) **لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ**".

حين نحصل على غفران الخطايا، فإننا نحصل على الفداء. وكلمة "فداء" تعني "الاسترداد" أو "التحرير من الأسر" ولهذا فمن خلال دم الرب يسوع الذي سفكه على الصليب بدلاً عنا، فقد استردنا واشترانا من الشيطان وردّنا إلى الله.

يعطينا بولس الرسول في (رومية ٧) إدراكاً رائعاً عن هذه المُبادلة الأولى وهذا الإدراك لن يكون مفهوماً لمن لا يعرف عن تلك الخلفية الثقافية في زمن كتابة الرسالة. يقول بولس الرسول في الآية ١٤:
"***فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ النَّامُوسَ رُوحِيٌّ، وَأَمَّا أَنَا فَجَسَدِيٌّ مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ***".

والعبارة "مَبِيعٌ تَحْتَ الْخَطِيَّةِ" ترتبط بعادة رومانية. عندما يُباع شخص كعبد، كانوا يوقفونه على منصة وخلفه سارية، مُثبتاً عليها رمحاً فوق رأس العبد، أي أن الشخص الذي يقف على منصة وفوق رأسه رمح ممدود، هو عبدٌ مُباع.

فكأن بولس يقول ... "أنا جسدي، مبيع تحت رمح خطيتي الذي هو فوق رأسي، وليس لي خيار، أنا هنا للبيع".

لنتابع مقارنتنا. حين يُباع الناس كعبيد، فهم لا يختارون أي نوع من الأعمال يقومون به، لكن مالكيهم يختارون لهم ما يعملون، فقد تُباع امرأتان في نفس السوق، لتصبح الأولى طاهية وتُستغل الأخرى جنسيّاً، فليس للعبد أو الأمة أي خيار. وهذا بالضبط حالنا كخطاة، فقد تكون خاطئاً "صالحاً ومحترماً" وتنظر نظرة احتقار للزواني والمدمنين، لكن ما زال مالكك هو من يحدد لك الدّور الذي ستلعبه، بصفتك عبداً له، سواء كان هذا الدور محترماً أو مُهيناً.

لكن الخبر السّار هو أن الرب يسوع ذهب إلى سوق العبيد، واختارك وقال: "أنا سأشتري هذا الشخص. أيها الشيطان هذا ليس ملكك، فأنا فديته ودفعت ثمنه، ومن الآن فصاعداً هو ليس

عبدك، بل هو ابني". هذا هو الفداء وهو لا يأتي إلا من خلال غفران الخطايا. كيف لنا أن نحصل على الغفران؟ لقد عوقب الرب يسوع بالعقاب الذي نستحقه نحن فصار لنا الغفران.

**المبادلة الثانية: جروح الرب يسوع من أجل شفائنا:**

والآن نأتي إلى الحقيقة التي تغيب عن ملايين المؤمنين، وهو الجانب الجسدي للكفّارة. ونعود مرّة أخرى للآيات الثمينة في (إشعياء ٥٣: ٤) التي تتكلم عن هذا الجانب.

"***لكِنَّ أَحْزَانَنَا*** (حرفياً "أمراضنا") ***حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً***".

المبادلة الثانية هي: جُرح الرب يسوع لكي تُشفى أجسادنا. والنص العبري الأصلي واضح، فلقد استخدم فعلين في هذه الآية عندما قال "أحزاننا حملها" كان الفعل العبري يعني أبعد عنا أمراضنا وعندما قال "وأوجاعنا تحملها" كان الفعل العبري يعنى تحمل أوجاعنا وآلامنا، إذاً فالرب يسوع رَفَعَ عنّا أمراضنا وتحمل أوجاعنا الجسدية. فما هي النتيجة؟ أنظر إلى نهاية الآية ٥: "***وبِحُبُرِهِ*** (أي جروحه) ***شفينا***". كم هي منطقية هذه المبادلة! فلأن الرب يسوع أخذ أمراضنا وآلامنا على جسده، صار الشفاء متاحاً لنا. وبأكثر حرفية يقول النص العبري: "شُفي لنا". وربما أفضل طريقة لإعادة صياغة هذه العبارة:

"***تحقق الشفاء لنا***".

أليس من المدهش أن الكتاب المقدّس حين يتحدث عن الكفّارة، لا يقول إن الشفاء سيحدث في المستقبل، بل يقول إن الشفاء قد تَمْ ! فمن جهة الله، الشفاء قد تَم فعلاً، ونحن قد شُفينا. يسألني بعض المؤمنين أحياناً: "كيف أعلم إن كانت مشيئة الله هي شفائي؟" فأجيب: "لقد سألت السؤال الخطأ، فإذا كنت مسيحياً مؤمناً ملتزماً تريد بإخلاص أن تخدم الله وأن تعمل مشيئته، فلا ينبغي أن يكون سؤالك : كيف أعلم إن كانت مشيئة الله هي شفائي؟ بل : "كيف أستطيع أن أقبل الشفاء الذي سبق الله فأعدّه لي؟".

سأحاول في فصول لاحقة ولو بشكل جزئي، الحديث عن كيفية الحصول على ما يقدّمه الله لنا. إن كنت أصلاً لا تؤمن أن الله قد سبق وأعدّ لك الشفاء، فليس من المتوقع أنك ستناله، فالقاعدة هي أن تكتشف ما أعدّه الله لك من خلال صليب ربنا يسوع.

**تأكيدات العهد الجديد:**

قد تقول: "لا أعتقد أني أقبل تفسيرك لإشعياء ٥٣. فأقول لك وإن كنت لا تتفق معي، لكن لا يمكنك أن تجادل ضد متّى البشير وبطرس الرسول والروح القدس". لقد اقتبس كل من متّى وبطرس من نص (إشعياء ٥٣: ٤-٥) بوحي الروح القدس.

لننظر أولاً إلى (متى ٨: ١٦)، حيث بداية خدمة الرب يسوع الشفائية العلنية :

"***وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ***".

من الملاحظ في خدمة الرب يسوع الشفائية عدم وجود فرق أو تمييز بين شفاء المرضى وإخراج الأرواح الشريرة. وطوال خدمة الرب يسوع كان هذان الأمران يسيران دائماً معاً، فلماذا خدم الرب يسوع بهذه الطريقة؟ تقول لنا الآية ١٧.

"***لكي يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل:هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا***".

يلاحظ هنا أن المقطع من (إشعياء ٥٣: ٤-٥) الذي يقتبسه متّى في هذه الآية ، يتحدّث عن شفاء الجسد، فالآية تتكلّم عن الأسقام والأمراض، أي أن نطاق عملها هو الجسد. يقول متّى البشير إن الرب يسوع شفى جميع الذين أتوا إليه! ليس بعضهم بل جميعهم! لا يوجد أي شك أن متّى يُعطي لهذا المقطع من إشعياء تطبيقاً جسدياً كاملاً.

لنأخذ نقطة أخرى من هذه الفقرة في متّى. إن التأكيد في كلمة "هو" يعود على الرب يسوع وليس علينا نحن. عندما نصارع مع خطيّة أو مرض أو إحباط أو رفض أو خوف، يقول

الكتاب لا تنظر إلى نفسك، فالحل ليس فيك، بل حوّل عينيك إلى الرب يسوع، فهو بنفسه الحل.

فقرة ثانية من العهد الجديد تقتبس من (إشعياء ٥٣: ٤-٥) وتقول عن الرب يسوع:
"**الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ**" (١بطرس ٢: ٢٤).

كما ترى في الآية، يؤكد بطرس الرسول على الرب يسوع بالقول "هو نفسه".

الموضوع المحوري في الفقرة السابقة هو موضوع الخطية، فحين يُعالَج موضوع الخطيّة، كل الأمور الأخرى يمكن معالجتها.

وفي النهاية أريدك أن تلاحظ صيغة الفعل الزمنية، فهو لا يقول بجلدته ستشفون، أو "بجلدته تشفون" بل يقول بجلدته شُفيتم. فعندما قال الرب يسوع في (يوحنا ١٩: ٣٠): "قد أكمل"، وقتها تم كل شيء، ولا حاجة لإضافة أي شيء لما عمله المسيح أو أن ينقص منه. تذكر معي الكلمات النبوية التي قالتها تلك السيدة من أوكلاهوما قبل أن أنال الشفاء: "تأمّل في عمل الجلجثة، العمل التام والكامل، التام من جميع الجوانب، التام في جميع الأوجه". وجانب الشفاء الجسدي تام وكامل كغيره من جوانب عمل الجلجثة.

**ما الذي يتضمنه الخلاص؟**

دعني أوجِه نظرك إلى بعض الفقرات في العهد الجديد تُستخدم فيها كلمة "شفاء" أو "صحة" كترجمة لكلمة "ينقذ أو يخلص ". الكلمة اليونانية التي تعني "خلاص" هي "سوزو"، "sozo" وكل الكلمات الأخرى التي يتضمن معناها الخلاص مُشتقة من هذا المصدر.

في الكثير من الفقرات في العهد الجديد يستخدم الفعل "sozo" ليعني الشفاء الجسدي، لكن المشكلة أن المترجمين لا يستخدمون الكلمة "خلاص" في جميع هذه المواقع التي تدل على الشفاء الجسدي، مما يُغيّب حقيقة أن الشفاء الجسدي هو جزء من الخلاص.

**١. الخلاص يتضمن الشفاء:**

يتحدث (متّى ٩: ٢٠-٢٢) عن المرأة نازفة الدّم التى لمست هدب ثوب الرب يسوع، وكانت خائفة أن يكتشف أحد ما فعلته، فهي تُعتبر نجسة بحسب الناموس، ولا يحق لها أن تلمس أحداً، لأن من تلمسه يتنجس. حين سأل الرب يسوع من الذي لمسه، تقدّمت إليه وهي ترتجف، ليس فقط بسبب خجلها، ولكن لأنها بلمسها الرب يسوع قد أذنبت.

"***لأَنَّهَا قَالَتْ فِي نَفْسِهَا:«إِنْ مَسَسْتُ ثَوْبَهُ فَقَطْ شُفِيتُ»***" (متّى ٩: ٢١).

ما قالته المرأة في الواقع هو "إن مسست ثوبه فقط، خلُصت".

"***فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَأَبْصَرَهَا، فَقَالَ:«ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ»***" (الآية ٢٢).

وما قاله الرب يسوع في الواقع هو "***إيمانك قد خلّصك***".

يشرح (لوقا ٨: ٤٧) ما حدث مع المرأة بصورة أعمق.

"***فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي الْحَالِ***".

مرّة أخرى، الكلمة المترجمة "برئت" هي من الأصل اليوناني "sozoy" وتعني "**خَلَصَتْ**".

كانت إجابة الرب يسوع لها: "***إيمانك قد شفاك***". هي في الواقع "***إيمانك قد خلّصك***". فالرب يسوع يعتبر الشفاء الجسدي جزءاً من الخلاص.

والآن لنقرأ (مرقس ٦: ٥٦):

"***وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قُرىً أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْضَى فِي الأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ***".

مرّة أخرى الأصل اليوناني للكلمة "شُفي" هنا هو "sozoy" والكلمة تعني "خَلَصَ". لقد خَلَصَ المرضى من أمراضهم.

**٢. الخلاص يتضمن التحرير من الأرواح الشريرة:**

يتحدث (لوقا ٨: ٣٥-٣٦) عن التحرير الكامل للرجل الذي كان فيه "لجئون"، وكيف أصبح طبيعياً بشكل كامل عندما أخرج الرب يسوع الشياطين منه:

"***فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَوَجَدُوا الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَتِ الشَّيَاطِينُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ لاَبِسًا وَعَاقِلاً، جَالِسًا عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ، فَخَافُوا. فَأَخْبَرَهُمْ أَيْضًا الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ خَلَصَ الْمَجْنُونُ.***" (لوقا ٨: ٣٥- ٣٦).

لاحظ أن الكلمة اليونانية "sozo" قد ترجمت هنا كما ينبغي إلى "خَلَصَ". نعم، إن التحرير من الأرواح الشريرة متاح لنا من خلال ذبيحة الرب يسوع المصلوب وهو جزء من الخلاص.

لقد خدمت آلاف الناس الذين كانوا يحتاجون إلى التحرير من الأرواح الشريرة، وتعلمت من الخبرة أن الشيطان لا يحترم إلا شيئاً واحداً هو الصليب. فمن الممكن أن تخبره أنك معمدانى أو أسقفي أو مشيخي أو خمسيني أو أرثوذكسي أو كاثوليكي ولن يكترث بذلك. ولكن حين تواجهه على أساس ما فعله الرب يسوع على الصليب فهو يرتعش.

**٣. الخلاص يتضمن القيامة من الموت:**

لننتقل إلى (لوقا ٨: ٤٩-٥٠):

"***وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلاً لَهُ:قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ. فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَهُ قِائِلاً: لاَتَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى***".

مرّة أخرى، في الأصل اليوناني المعنى هو "فهي تخلص" عوضاً عن "فهي تشفى" والخلاص هنا شمل إعادة إنسان من الموت.

إذاً فالشفاء الجسدي، والتحرير من الأرواح الشريرة، وحتى إقامة فتاه صغيرة من الموت، يمكن وصفها كلها بكلمة واحدة "الخلاص". الخلاص هو كل شيء متاح لنا من خلال موت الرب يسوع على الصليب.

فى (أعمال ٤: ٧) "***وَلَمَّا أَقَامُوهُمَا فِي الْوَسْطِ، جَعَلُوا يَسْأَلُونَهُمَا:بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هذَا؟***".

وهنا يسأل رؤساء الكهنة والشيوخ الرسولين بطرس ويوحنا كيف استطاعا شفاء الرجل الأعرج الذي كان يوضع عند باب الهيكل الملقب بالجميل.

"***حِينَئِذٍ امْتَلأَ بُطْرُسُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَقَالَ لَهُمْ:يَا رُؤَسَاءَ الشَّعْبِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ، إِنْ كُنَّا نُفْحَصُ الْيَوْمَ عَنْ إِحْسَانٍ إِلَى إِنْسَانٍ سَقِيمٍ، بِمَاذَا شُفِيَ هذَا، فَلْيَكُنْ مَعْلُومًا عِنْدَ جَمِيعِكُمْ وَجَمِيعِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ بِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمُ، الَّذِي أَقَامَهُ اللهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِذَاكَ وَقَفَ هذَا أَمَامَكُمْ صَحِيحًا***".

كيف شُفي الرجل الأعرج؟ باسم المسيح المصلوب.

وبعدها يصل بطرس للنتيجة التالية:
"***وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ***"... (الآية ١٢).

أخيراً (٢تيموثاوس ٤: ١٨):
"***وَسَيُنْقِذُنِي الرَّبُّ مِنْ كُلِّ عَمَل رَدِيءٍ وَيُخَلِّصُنِي لِمَلَكُوتِهِ السَّمَاوِيِّ***".

كلمة "يخلص" هنا أيضاً التي يستخدمها بولس الرسول هي كلمة "sozoy" اليونانية، وهي في صيغة المضارع المستمر: أي "يخلصني الآن ويستمر في ذلك"، فالنتيجة المستمرّة لعمل المسيح على الصليب لنا هي الخلاص. من اللحظة التي تؤمن فيها حتى انتقالك من هذا الزمان إلى الأبدية، فأنت تتحرك ضمن الخلاص المُعَد لك في ذبيحة الرب يسوع المسيح على الصليب.

**نصل الآن إلي هذا التحدي:**
"***فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هذَا مِقْدَارُهُ ...؟***" (عبرانين ٢: ٣).

يرفض بعض الناس الخلاص، فهم لا يريدونه ولا يؤمنون به، وكثيرون من المؤمنون لا يرفضون الخلاص، بل يهملونه! وبذلك لا يكتشفون ما أعدّه الله لهم، لأنهم يقبلون تقاليداً وطقوساً طائفية عن الصليب.

قادني الله أثناء مرضي الطويل للنقطة التي اضطررت عندها لاكتشاف مكنونات الخلاص، ولم يكن هناك شيء آخر يستطيع أن يُخرجني من حالتي المرضية تلك. ربما يقودك الله إلى تلك النقطة عينها، لعلك تكف عن إهمال خلاصه! وستدرك في مرحلة ما من حياتك – ربما الآن – احتياجك الشديد للخلاص.

ليساعد الله كل واحد فينا حتى لا يهمل الجانب الجسدي من خلاصه العظيم.

**المطالبة بهذه المبادلات**:

من أسهل الطرق وأكثرها عملية لنوال ما أعدّه الله لك هو شكره عليه والاعتراف به بلسانك.

وسأضع هاتين المبادلتين في شكل اعترافين، فرددهما بالإيمان:

"عُوقب الرب يسوع لكي أنال أنا الغفران".

"جُرِحَ الرب يسوع لكي أنال أنا الشفاء".

إن آمنت حقاً بهذين الإعلانين، فلا بُد من أن تقول "**شكراً يا رب يسوع لأنك منحتني الغفران والشفاء من خلال ذبيحتك**".

# الفصل الخامس

# البر بدلاً عن الخطيّة

سنتحدث في هذا الفصل عن محاولات الشيطان أن يشعرنا بالذنب، وكيف نتمكن من هزيمة هذا المشتكي. تتأسس نصرتنا هنا على الجانب الثالث من جوانب المبادلة الإلهية التي أُنجزت من خلال عمل المسيح الكامل على الصليب، وهو مبادلة الخطيّة بالبر. والحقيقة الأخرى هي أن الكثير من المؤمنين قد فشلوا في إدراك هذه المبادلة حتى أن جزءاً من ميراثنا الروحي الضخم قد سُلب منا.

يجب أولاً أن نفرّق بين الخطايا (بالجمع) والخطيّة (بالمفرد). فالخطايا هي كل الأفعال الخاطئة التي نرتكبها، وقد عُوقب الرب يسوع حتى يغفر لنا هذه الأفعال الخاطئة. أمَّا الخطية فهي تلك القوّة الشريرة، أو الطبيعة الشريرة التي تدفعنا لارتكاب الخطايا. ولن يكون تحريرنا كاملاً، ما لم يتم التعامل مع هذه القوّة الشريرة للخطية.

نعود مرّه أخرى إلى أصحاح الكفّارة العظيم (إشعياء ٥٣):
"***أَمَّا الرَّبُّ فَسُرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزَنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةَ إِثْمٍ يَرَى نَسْلاً تَطُولُ أَيَّامُهُ، وَمَسَرَّةُ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ***" (الآية ١٠).

هذه نبوّة واضحة عن قيامة الرب يسوع. فالآية تقول إن هذا العبد المتألم بعد أن جعل "نفسه ذبيحة إثم" سيرى "نسلاً تطول أيامه، ومسرة الرب بيده تنجح". وهذا لا يمكن أن يحدث لو بقى الرب يسوع في القبر!

إن الله الآب قد جعل نفس الرب يسوع ذبيحة إثم (أى ذنب). تضع إحدى الترجمات هذه الآية كالتالي: "**... رضى الله أن يسحقه بالألم ، فجعل** (أي الله) **حياته ضحية للتكفير عن الذنب**". والمفتاح هنا هي كلمة "ذنب". ولنتذكر ونحن ندرس هذه الآية أن الذبائح في العهد القديم كانت مجرد رموز مسبقة لما سوف يعمله الله من خلال ذبيحة الرب يسوع المسيح.

كان من يرتكب خطايا معينّة في ظل العهد القديم، يُطالَب بأن يجد التقدمة المناسبة كثور أو كبش أو خروف، ويحضرها إلى الكاهن في الهيكل معترفاً بخطيّته. ثم يضع المذنب يده على الذبيحة الحيوانية، فتنتقل الخطيّة رمزياً من الشخص إلى الحيوان. وبانتقال الخطيّة إلى الحيوان يقع العقاب فيُقتل بدل الإنسان، وكأن الحيوان دفع عقاب خطيّة ذلك الشخص.

كانت هذه صورة لما حصل عندما سُمِّرَ الرب يسوع على الصليب، فقد نقل الله الآب كل خطايا البشرية على نفس ابنه. يقول إشعياء كلاماً مذهلاً لا أظن أن أحداً سيتمكن من كشف أسراره بشكل كامل، وهو أن الله جعل نفس الرب يسوع ذبيحة للتكفير عن الذنب... نفس الرب يسوع هي الذبيحة المقدّمة عن خطايا الجنس البشري كله.

حين نتأمل في قداسة الرب يسوع وطهارته الكاملة، لا يمكننا حتى أن ندرك ما يشمله كون "نفس" الرب يسوع هي ذبيحة إثم عن البشرية. كلنا نفكر بأشياء نتمني لو لم تحدث، أو لو أننا لم نفعلها، وكلنا نشعر بالحرج أو الاشمئزاز من ذكريات معيّنة. والآن فكّر في ابن الله الذي بلا خطيّة حين تحمّل جميع خطايا الجنس البشري. هذه هي الكأس التي كان الرب يسوع كارهاً لأن يشربها في بستان جسثمانى حين استعرض الرب يسوع في ذهنه الآلام الجسدّية، والثقل الروحي الهائل لخطايا البشر الذي كان سُيوضع على نفسه، فقال: "***يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ***" (لوقا ٢٢: ٤٢). ولكن شكراً لله، لأن الرب يسوع أضاف "***وَلكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ***". وبهذه تحققت لنا الكفَّارة.

والآن ستحتاج أن تفتح كتابك المقدّس على (٢كورنثوس ٥: ٢١)، ربما لم تدرك حين كنت تقرأ هذه الآية سابقاً أنها اقتباس م (إشعياء ٥٣: ١٠):

"***لأَنَّهُ (أى الله) جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً*** (أي الرب يسوع)، ***خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ***".

ما هو عكس الخطيّة؟ إنه البر. وهنا تحدث المبادلة.

جُعل الرب يسوع خطيّة بخطايانا، لكي نتبرّر نحن ببرّه.

هذه فكرة مربكة ومذهلة! لكنها كتابية تماماً، فلن نتمكن أبداً من بلوغ بر الله بمجرد محاولة عمل الصلاح. والإيمان هو الطريق الوحيد الذي به ندرك هذا البر، ويجب أن نؤمن بما لا يمكن تصديقه، فالرب يسوع قد جُعل خطية بخطايانا لنصير نحن بر الله فيه. يا له من إعلان قوي!

**ليس خلاص فقط بل وتبرير:**

صورة أخرى من إشعياء تُظهر لنا هذه المبادلة ونتائجها

"***فَرَحًا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. تَبْتَهِجُ نَفْسِي بِإِلهِي، لأَنَّهُ قَدْ أَلْبَسَنِي ثِيَابَ الْخَلاَصِ. كَسَانِي رِدَاءَ الْبِرِّ***" (إشعياء ٦١: ١٠).

لا يتكلم الكاتب في هذه الآية عن فرح عادي بل عن سعادة غامرة. الكلمة "أفرح" المستخدمة هنا هي "سوس" في العبرية، وعندما تريد أن تؤكد على فرحك في اللغة العبرية، يمكنك استخدام صيغة "سوس أسيس" (المعادلة للمفعول المطلق في العربية)، فتصير العبارة "أفرح فرحاً" بالرّب. لماذا؟ لأن الله قد ضاعف البركة.

لقد نزع الله عنّا ثيابنا القذرة المُلطخة بالخطايا، ثم ألبسنا ثياب الخلاص. من الرائع حقاً أن نلبس ثياب الخلاص، لكن البركة لا تتوقف هنا، فالله يريد أن يكسونا أيضاً برداء البر. تقول

ترجمة كتاب الحياة "**سَرْبَلَنِي** (أحاطني) **بِرِدَاءِ البر**". فالله لا يعطيك فقط الخلاص من الخطية، لكنه يحيطنا أيضا برداء بره الذي في المسيح يسوع.

والتبرير في أصل اللغات الكتابية يتضمن معنى التبرئة والتبرير (وفيها معنى التبرئة من الذنب في اللغة العربية).

لنفرض أنك متهم في محكمة الجنايات بجريمة عقوبتها المؤكدة هي الموت، وأنت جالس تنتظر صدور الحكم، وأخيراً يُتلى قرار الحكم "غير مذنب!" صدقني ستكون في غاية الفرح والإثارة! لن تتقدّم إلى القاضي حينها لتصافحه وتقول: "شكراً لك، لقد كانت رسالتك رائعة!" ولن تذهب إلى زوجتك أو صديقك لتقول له: "كانت محاضرة اليوم مفيدة!" بل ستقفز للأعلى وأنت تصرخ: "أنا لست مذنباً! أنا بريء! أنا حر!" وسيكون قد أُزيل عن كاهلك عبء ثقيل لا يطاق.

هذا هو معنى التبرير. كنت مُتهماً في محكمة السماء، وقد أعلن الحكم: براءتك. حُسبتَ مستقيماً وكاملاً وكأنك لم تُخطئ أبداً! لا شيء يستطيع الشيطان توجيه أصبعه نحوه ليقول أنك مذنب بهذا.

عندما بدأت كشاب بريطاني أذهب بانتظام إلى إحدى الكنائس الإنجليزية، كان ظاهراً لي حينها كمراهق أن الناس الذين كانوا يتلون تلك الكلمات الجميلة من كتاب الصلاة في الكنيسة لم يكونوا بالحقيقة يؤمنون بما يقولون. تصوّرتُ سيّدة وقورة تسير إلى خارج الكنيسة فيسقط منديلها المُطرّز على الأرض، فأركض خلفها وأقول: "سيدتي، ها هو منديلك، لقد سقط منك". إن فرح وإثارة تلك المرأة باسترجاع منديلها سيكون أكبر بكثير من فرحها بكل ما حدث في الكنيسة. لماذا؟ لأن ما كانت تقوله وتسمعه في الكنيسة لم يكن حقيقياً بالنسبة لها.

أنا أحاول أن أجعلك تتأكد أن حصولك على البر هو أمر حقيقي، لا شيء يظهر ضدك في سجلات السماء. إذا حافظت على مكانتك في المسيح، فلن يكون للشيطان مجال للشكاية ضدك.

**الحماية من الشعور بالذنب:**

إن سلاح الشيطان الرئيسي ضد البشرية هو الشعور بالذنب. لذلك كن حذراً من أي شخص أو أي شيء يجعلك تشعر بالذنب، فهذا الشعور لا يأتي من الله أبداً. الروح القدس "***يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ***" (يوحنا ١٦: ٨)، ولكن هذا التبكيت مختلفاً تماماً عن الشعور بالذنب.

عندما يبكّت الروح القدس على خطيّة، فهو يقول "أنت فعلت هذا الأمر، وهو خطأ. يجب عليك أن تتوب وتصحح مسارك، وهذه هي الطريقة التي بها تصحح مسارك"..، وحين تعترف وتتوب وتفعل ما هو ضروري وترد ما سلبته، ينتهي الأمر ولا يجب أن يتبع الأمر أي أفكار أخرى أو أشياء يجب أن تفعلها أو لا تفعلها. أما عند الشعور بالذنب، لن تتوقف عن التفكير بأن ما فعلته للتعويض كافياً. فقد يشعر أحدهم أنك لم تعامله بطريقة صحيحة، فيتولد لديه شعور بالرفض، أو الغضب أو الإساءة، ومهما كان ما تقوله أو تفعله لذلك الشخص لن يكون كافياً بالنسبة له مما يسبب لك شعوراً بالذنب من جهته.. ليس الروح االقدس هو من يعمل هنا، بل قوّة شريرة من مصدر مختلف.

قاوم كل ما يجعلك تشعر بالذنب، فالاستسلام لهذا الشعور هو إنكار لعمل الصليب، وهو مختلف عن تبكيت الروح القدس. الشعور بالذنب لا ينتهي، بل يستمر ويستمر وما تفعله لترتاح من هذا الشعور لن يكون كافياً. إذا كان الشيطان يَصر في محاولته أن يشعرك بالذنب، فاثبت في وعد الله كما جاء في (إشعياء ٥٤: ١٧):

"***كُلُّ آلَةٍ صُوِّرَتْ ضِدَّكِ لاَ تَنْجَحُ، وَكُلُّ لِسَانٍ يَقُومُ عَلَيْكِ فِي الْقَضَاءِ تَحْكُمِينَ عَلَيْهِ. هذَا هُوَ مِيرَاثُ عَبِيدِ الرَّبِّ وَبِرُّهُمْ مِنْ عِنْدِي، يَقُولُ الرَّبُّ***".

ما أروع هذه الأخبار! فلا شيء من أسلحة الشيطان ضدك سينجح! فإطمئن. سيستمر الشيطان في استخدام سلاح الشعور بالذنب ضدك، لكنه في النهاية سيفشل.

لاحظ أيضاً أن الله لا يقول إنه هو من سيحكم على كل لسان يقوم عليك، بل أنت من سيفعل هذا، فعلى أساس ما عمله الرب يسوع لأجلك على الصليب، يجب عليك أن ترفض جميع اتهامات الشيطان وترفض الاستسلام للشعور بالذنب والإدانة. ليس برك أنت هو ما يتحداه إبليس، بل بر الله الذي قد انتقل إليك.

وعلى هذا الأساس تستطيع رفض أي اتهام شيطاني ضدك، فأنت لست مُداناً. تذكر رداء البرّ. لا يهم من أي جانب يحاول الشيطان الاقتراب إليك، فكل ما يستطيع أن يراه هو بر المسيح الذي يغطيك وهذا ما جاء في (رومية ٨: ١).
**"لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"**.

الأصحاح الثامن من رسالة رومية يعطينا صورة حيّة للحياة المُقادة بالروح، والآية (١) هي المدخل لتلك الحياة. وهي تقول "لا شيء من الدينونة"... لا تستطيع أن تحيا حياة منقادة بالروح القدس وأنت تحت دينونة. ولهذا يجب أن تتعلم كيف تتعامل مع الدينونة. يقول الله أنّ عليك أن تحكم عليها، لماذا؟ لأن الرب يسوع جُعل خطيّة بخطايانا، لكي نتبرّر نحن ببرّه.

ترسم لنا (رؤيا ١٢: ١٠) صورة المعركة الأخيرة بين شعب الله ومملكة الشيطان:
**"وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا قَائِلاً فِي السَّمَاءِ:الآنَ صَارَ خَلاَصُ إِلهِنَا وَقُدْرَتُهُ وَمُلْكُهُ وَسُلْطَانُ مَسِيحِهِ، لأَنَّهُ قَدْ طُرِحَ الْمُشْتَكِي عَلَى إِخْوَتِنَا، الَّذِي كَانَ يَشْتَكِي عَلَيْهِمْ أَمَامَ إِلهِنَا نَهَارًا وَلَيْلاً"**.

يا لها من صورة رائعة لما سيحدث في المستقبل! ولكن هي أيضاً صورة للشكاية المستمرّة علينا أمام عرش الله. الشيطان يشتكي علينا باستمرار أمام عرش الله محاولاً أن يثبت أننا مذنبون،

فكيف نغلب هذا المشتكي؟

"**وَهُمْ** (شعب الله) **غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ**" (الآية ١١). حين نشهد شخصياً بما تقوله كلمة الله عن دم الرب يسوع وما عمله لأجلنا، يُغلق فم الشيطان.

**الإعتراف بالمبادلة الثالثة:**

من أبسط الطرق وأكثرها عملية لتنال ما أعدّه الله لك - كما أشرنا في الفصل الماضي - أن تشكر الله على عمله، وتعترف بفمك بهذا العمل. والآن أعلن هذه المبادلة الثالثة بأن تعترف بها بفمك: "***جعُل الرب يسوع خطيّة بخطاياي، لكي أتبرّر أنا ببرّه***".

**أشكرك يا رب يسوع لأنك جعلتني باراً.**

# الفصل السادس

# الحيـاة بدل المـوت

غطينا حتى الآن ثلاثة جوانب أساسية من المبادلة الإلهية العظمى التي سبق الله وأعدها ثم تممها الرب يسوع بموته على الصليب.

- عُوقب الرب يسوع لكي تُغفر لي خطاياي.
- جُرح الرب يسوع لكي أُشفى.
- جُعل الرب يسوع خطيّة بخطيتي لكي أتبرر أنا ببره.

والآن ننتقل إلى الجانب الرابع من المُبادلة وهو جانب عظيم برغم بساطته: مات الرب يسوع موتنا لكي نشترك معه في حياته.

لقد وضع الرب يسوع حياته، لكي يمنحنا الحياة. يقول الرب يسوع في (يوحنا ١٠: ١٠).
"***اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ***".

هناك اختلاف ضخم بين ما وهبنا إيّاه الرب يسوع وبين ما نستحقه: "***لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا***" (رومية ٦: ٢٣).

في هذه الآية هناك مقارنة مقصودة بين الأجرة والهبة المجانية. الأجرة نكسبها نتيجة أعمالنا، ومن العدل أن نأخذ أجرة على ما نعمل.. من يمنع عنك أجرتك هو شخص غير عادل. لكن الهبة المجانية هي شيء لا يمكنك أن تكسبه بمجهودك، فمن الحماقة أن تقول: "كل ما أريده هو العدل" إن أردت العدل، فسيعطيك الله كل العدل ما تريد. والعدل هو أن تأخذ أجرتك، وأجرتك هي الموت!

يسرد لنا لورين كننجهام "Loren Cunningham" قصة عن امرأة ذهبت إلى استوديو للتصوير من أجل صورة شخصية لها. وبعد فترة عادت تلك السيدة لتأخذ الصورة، فلمّا رأتها قالت للمصوّر: "هذا ليس عدلاً" فنظر إليها المصوّر وقال: "سيدتى، أنت لا تحتاجين إلي عدلٍ بل إلى رحمة!".

فكرت كثيراً بهذه القصّة، وحين أذكرها بين الحين والآخر أقول لنفسي: "أنا لا أحتاج إلى عدل بل إلى رحمة".

الرحمة هي البديل عن العدل. إذا تخلّيت عن أجرتك، فهذا يؤهلك للهبة المجانية للحياة الأبدية غير المُكتسبة بالجهد. هذا لأن الرب يسوع أخذ أجرة الخطية التي ارتكبناها نحن، وقبلها عوضاً عنّا. نقرأ في (عبرانيين ٢: ٩)، أن الرب يسوع "***وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ ... لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ***". لقد ذاق الرب يسوع الموت من أجلك ومن أجلي!

قلنا في الفصل الثالث إن الرب يسوع - الذي ذاق الموت عن كل نسل آدم - هو "***آدم الأخير***" (١كورنثوس ١٥: ٤٥)، وهو "***الإنسان الثاني***" (١كورنثوس ١٥: ٤٧). باعتباره "***آدم الأخير***" فقد ألغى كل الميراث الشرير المستحق علينا من آدم الأول ومن كل نسله بمن فيهم أنت وأنا. كانت آخر كلمات الرب يسوع قبل الموت: "قد أُكمِل"، كان موته هو النهاية. وحين دُفن، دُفن معه كل ميراثنا الشرير ثم قام في اليوم الثالث باعتباره الإنسان الثاني، رأس الجنس الجديد. لقد مات يسوع موتنا ليعطينا حياته.
نحتاج للعودة مرّة أخرى إلى العهد القديم لكي نفهم بدقة طبيعة هذه المُبادلة.

**عطاء الله الكامل من أجل فدائنا:**
سأقوم في هذا الفصل بتوضيح مفهوم هام، فإن تمسكت به، سيساعدك لتنال المزيد من حياة الله، وتصبح أكثر إدراكاً وتقديراً للرب يسوع. ولهذا الغرض فنحن نحتاج إلى البحث عن كلمات معيّنة

في الكتاب المقدّس تترجم في العربية بكلمة "حياة"، وسنتأمل في مبادىء العدل الإلهي الموجودة في ناموس موسى.

**نفسٌ بنفسٍ:**

يتكلم الكتاب في (خروج ٢١: ٢٣-٢٥) عن الأذى غير المتعمّد لشخص ما: "***وَإِنْ حَصَلَتْ أَذِيَّةٌ تُعْطِي نَفْسًا بِنَفْسٍ، وَعَيْنًا بِعَيْنٍ، وَسِنًّا بِسِنٍّ، وَيَدًا بِيَدٍ، وَرِجْلاً بِرِجْلٍ، وَكَيًّا بِكَيٍّ، وَجُرْحًا بِجُرْحٍ، وَرَضًّا بِرَضٍّ***". فلتعويض الأذى الذي حدث يجب أن يُقدّم مقابلة شيء له نفس القيمة.

والترجمات في أوقات كثيرة تغفل معاني عميقة لكلمات عديدة، سواء في العهد القديم أو الجديد. وفي الحقيقة، إن هذا الجزء من العهد القديم الذي نتطرق له الآن يُعتبر إعلاناً قوياً وهاماً جداً في العهد القديم الذي لم توضحه الترجمة كما أوضحته اللغات الأصلية نفسها.

لندرس معاً ما يتضمنه معنى قول الكتاب "تعطي... نفساً بنفس". توجد في اليونانية التي كتب بها العهد الجديد ثلاث كلمات مختلفة تماماً يجب أن نميز بينها. الكلمة الأولى "psuche" والتي تعني "نفس"، والثانية "zoe" وتعني "الحياة الأبدية"، والثالثة "bios" وتعني "الحياة الطبيعية". وفي لغة العهد القديم العبريّة هناك كلمة لافته للنظر هي "نفيش"[٣]. وهي تعني "نَفْساً" أو "حياة" أو "شخصاً". يقول الكتاب في (تكوين ٢: ٧): "***فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا*** (نفيش) ***حَيَّةً***". فإذ إتحد روح الله مع تراب الأرض، ظهر شيء جديد تماماً: "آدم، الشخص، الحياة الجديدة، الشخصية الجديدة، الـ "نفيش".

"***نَفْسٌ بِنَفْسٍ***" في (خروج ٢١: ٣)، هي في العبرية "نفيش بنفيش". فإذا قُتل شخص ما في جريمة، فالشخص الآخر عليه أن يدفع العقاب بحياته. أي بنفسه. وإذا نظرنا في (تثنية ١٩: ٢١): "***لاَ تُشْفِقْ عَيْنُكَ. نَفْسٌ بِنَفْسٍ. عَيْنٌ بِعَيْنٍ. سِنٌّ بِسِنٍّ. يَدٌ بِيَدٍ. رِجْلٌ بِرِجْلٍ***". فإننا نجد المبدأ نفسه: "نفيش بنفيش".

٣ "نفيش" في العبرية هي المرادف لكلمة "نِفس" العربية.

**النفس هي في الدم:**

ما هي النّفْسُ؟ نجد الإجابة على هذا في (لاويين ١٧: ١١) حيث يتكلم الله بكلمة نبوية رائعة:

"***لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ، فَأَنَا أَعْطَيْتُكُمْ إِيَّاهُ عَلَى الْمَذْبَحِ لِلتَّكْفِيرِ عَنْ نُفُوسِكُمْ، لأَنَّ الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ***".

في بداية هذه الآية نقرأ "لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ" ونفس هنا هي (نفيش) أيضاً. فما أهميّة ذلك؟ يمتلك الإنسان روح ونفس وجسد، وعندما تنطلق الروح من الجسد، فهو يتوقف عن التّنفس. وعندما تنطلق النفسُ، يتوقف الدّم عن السريان، فنَفْسُ الجسد هي في الدّم، ولهذا يقول الله: "***أنا أعطيتكم إياه على المذبح للتكفير عن نفوسكم***". وبالترجمة الأدق : "أعطيتكم إياها (أي النَفْس أو الحياة ) للتكفير عن نفوسكم". أي أنّ النفس تَكفّر عن نَفْسٍ أخرى. وبما أن النّفْسَ هي في الدّم، يجب أن يُسفك الدّم ككفَّارة، فتكون حياةٌ بحياة.

والآن نعود إلي أصحاح الكفَّارة العظيم (إشعياء ٥٣). تقول الآية الختامية من الأصحاح الذي يتحدث عن ما أنجزه عبد الرب بآلامه:

"***لِذلِكَ أَقْسِمُ لَهُ بَيْنَ الأَعِزَّاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ*** (نفيش) ***وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ، وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.*** "

وتستخدم بعض الترجمات كلمة "حياة" بدلاً من "نفس" فتكون الآية: "من أجل أنه سكب للموت حياته". ولكن الكلمة العبرية هي "نفيش" فكلمة "نفس" هي أفضل الترجمات.

فكيف سكب الرب يسوع نفسه للموت؟ الجواب: من خلال دمه؛ نَفْسُهُ بدل كل البشرية. لقد بذل يسوع نفسه عن البشرية عندما نزف ومات على الصليب.

حين أقرأ أحداث الصلب، يتولد لدي انطباع أن جسد الرب يسوع قد تصفى من الدّم حتى آخر قطرة. لقد مزّقوا ظهره، ووضعوا إكليل الشوك على رأسه، ثقبوا يديه ورجليه، فكان ينزف بغزارة. وحين مات، طعنه جندي برمح في قلبه، فخرج منه ماء ودم. وهكذا انسكب كل الدّم في جسده على الصليب. لقد سكب نَفْسَهُ عن كل الجنس البشري بصفته آدم الأخير.

**تقدير قيمة دم الرب يسوع:**

أنا من خلفية تزن الأمور بالمنطق، ورغم أني أقبل مبادىء معيّنة بالإيمان، فإني - عاجلاً أو آجلاً - أتوق أن تثبت هذه المبادئ نفسها بالمنطق. لذا لم يصبح هذا المبدأ حيوياً ومنطقياً بالنسبة لي، إلا بعد أن أدركت حقيقة أن النّفْسَ هي في الدّم.

لسنوات آمنت بالكفَّارة. آمنت بأن الرب يسوع كان ذبيحة عن خطايانا. كنت أعلم أن ذبيحته قدمت الغفران لكل البشرية. لكني بدأت أتساءل كيف قُدِّمت نَفْسُ ابن الله عن كل البشرية؟ وتوصلت إلى إجابة: إن حياة الله الخالق غير محدودة، وقيمتها أعظم بكثير من حياة كل الخليقة التي خلقها. لذلك فإن نَفْسَ الرب يسوع ابن الله كانت أكثر من كافية ككفَّارة عن نفوس كل الجنس البشرى. يقول (مزمور ١٣٠: ٧) "***لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ، لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ***". فالله لم يدفع فقط ثمن فدائنا، بل دفع أكثر من الثمن المستحق بكثير.

هذا هو المفهوم الذي قلت لك إنك إن تمسكت به تصبح أكثر إدراكاً وتقديراً للرب يسوع. فقد كانت نَفْسُهُ التي بذلها على الصليب، من خلال سفك دمه، ذبيحة فداء لكل الجنس البشري، وذلك وفقاً للمبدأ الذي درسناه للتو: نَفْسٌ بِنَفْسٍ.

لذلك يجب أن نكون في غاية الحذر حين نتكلّم عن دم الرب يسوع. كنت أسمع أحياناً حتّى بعض الإنجيليين والكارزماتيين يقولون: "كان الدّم شيئاً سلبياً، إنه ثمن الخطيّة فحسب!" أنا لا أؤمن بهذا، وأنصحك أن لا تفكر بهذه الطريقة، وألا تقلل من قيمة دم الرب يسوع. للأسف

فإن الكنيسة اليوم مليئة بأنواع كثيرة من هذه التعاليم غير الكتابية، وكثير من الطوائف حذفت من كتب الترانيم كل ما يتكلّم عن دم الرب يسوع. من الذي يقف خلف هذا؟ بالتأكيد ليس الله!

وكما قرأنا في (لاويين ١٧: ١١) "***لأَنَّ نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ***"، فَنَفْسُ الجسد ليست شيئاً سلبياً بل هي أكثر شيء إيجابي يمكن أن نفكر فيه. حياة الله هي في دم الرب يسوع، والسماء تنظرباشمئزاز لمن يقلل من قيمة دم الرب يسوع، لأن كل السماء قد شهدت على الذبيحة حين سكب الرب يسوع كل قطرة من دمه الحي.

أؤمن أيضاً، أننا حين نُعبّر عن امتناننا وتقديرنا لدم الرب يسوع، فإننا نجذب الروح القدس للمشهد. أتذكر ترنيمة جميلة لتشارلس وسلى يقول في أحد مقاطعها: "روح الرب يستجيب لإعلان الدّم"، فنحن نعلن الحق الخاص بدم الرب يسوع، يقول الروح القدس "هذا هو المكان الذي أريد أن أمكث فيه، هؤلاء الناس يقولون الأشياء التي أحب أن أسمعها".

## التغذي بدم الرب يسوع

قال الرب يسوع في (يوحنا ٦: ٥٤-٥٦):

"***مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ،لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق وَدَمِي مَشْرَبٌ حَقٌّ. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ***".

انزعج بعض تلاميذ الرب يسوع من هذا الكلام إلى درجة أنهم تركوه، وما زال هذا الموضوع اليوم يسبب مقاومة عند بعض الناس. يوجد في الدّم شيء يضايق النّاس. التفكير في الدّم "يقلب المعدة". حين كنت صغيراً، كان منظر الدّم يجعلني أتقيأ، واستمر الأمر سنوات حتى تخلصت من هذه الحالة. شيء ما داخل كل شخص فينا، لا يحب مشهد الدّم أو التفكير فيه.

ولكن بعض الأشياء التي تضايقنا هي أشياء ضرورية. الصليب عار، ولكن بدونه لا يوجد فداء ولا رجاء، فرجاؤنا يعتمد بشكل كامل على إمتيازات دم الرب يسوع.

"***فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ***" (يوحنا ٦: ٥٣).

لماذا؟ لأن الحياة هي في الدّم، ويجب أن نتغذّي على الرب يسوع حتى يكون لنا حياه كما يجب أن نقدّر ما في دمه من حياة لنا.

الوحيد في الكون الذي يمتلك حياة في ذاته هو الله، ولا أحد فينا له حياة في ذاته، فنحن لا نمتلك مصدر الحياة، بل نعتمد على مصدر آخر.

هذا هو في الواقع جوهر كلمة "نفيش"، فهذه الكلمة تصف الحياة غير المستقلة، والمُعتمدة على غيرها. صار آدم نَفْسا حية، وكانت حياته هذه معتمدة على نفخة الله التي فيه. من (١كورنثوس ١٥: ٤٥) "***صَارَ آدَمُ، الإِنْسَانُ الأَوَّلُ، نَفْسًا حَيَّةً، وَآدَمُ الأَخِيرُ رُوحًا مُحْيِيًا***". يتضح أن اللهُ قد أعطى يسوع حياة في ذاته، وأن يسوعُ يعطي الحياة.

تحدثنا في بداية هذا الفصل عن كلمات الرب يسوع في (يوحنا ١٠: ١٠) "***أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ***": فجميعنا نعتمد في حياتنا على الله، والطريق الوحيد للحياة الأبدية الذي يعطينا إياه الله هو دم الرب يسوع، فإن كنت تريد الحياة، فيجب أن تدرك أنها تأتي من خلال دم الرب يسوع. وكلما تعلمت أن تقدّر دم الرب يسوع، وتتأمل به، كلما أصبحت حياتك أفضل وأكثر وفرة.

## كيف نتغدي بدم الرب يسوع؟

بدأت خدمتي في فلسطين عام ١٩٤٦ في قرية اسمها رام الله، ورغم أني لم أكن أتكلم العربية بطلاقة، فقد كنا نتحدث بها في البيت. وقد عرفت أن العرب في تلك المنطقة حين يريدون أن يأخذوا مائدة الرب يقولون: "لنشرب دم الرب يسوع!" ولهذا أصبح تناول مائدة الرب بالنسبة لي يعني أن أشرب دم الرب يسوع، وهذه هي الطريقة التي ننال بها حياة ونَفْسَ الرب يسوع التي جعلها مُتاحة لنا.

**عندما مات الرب يسوع على الصليب وسكب دمه، انطلقت حياة الله في الكون، وأصبحت مُتاحة لكل من يقبلها بالإيمان بالرب يسوع المسيح. قبل ذلك كانت حياة الله مقتصرة على الله وحده.**

إن التفكير فيما حدث حين مات الرب يسوع على الصليب يذهل العقل البشري! فمن خلال دم الرب يسوع الذي سُفك مجاناً انطلقت حياة الله، وأصبحت متاحة لنا من خلال دم ابنه، ولا يوجد طريق آخر للحياة غير الدّم.

حين كنت متزوجاً من روز، وعلى مدار عشرين سنة، عشنا حياة الترحال. تنقلنا كثيراً، ونادراً ما مكثنا لمدة طويلة في مكان واحد، واكتشفنا أن ممارسة أمور معينة معاً كل يوم يحافظ على اتزان علاقتنا. من أكثر الأشياء العزيزة علينا والتي كنا نفعلها قبل أن ننخرط في الأعمال اليومية هي عمل كسر الخبز معاً، وكرأس وكاهن على بيتي، كنت أقدّم كسر الخبز لروز زوجتي كل يوم، وكنّا نعلن معاً هذا الاعتراف: "نشكرك يا رب لأنه من خلال دم الرب يسوع، أصبحت لنا حياة الله، تلك الحياة السماوية الأبدية الرائعة غير المنتهية". هذا ما أمنّا به طوال العشرين سنة، وما زلت أؤمن به.

**الاعتراف بالمبادلة الرابعة:**

هل تعلن اعترافك بهذه المبادلة الرابعة؟ ردد معي الكلمات التالية:

**"مات الرب يسوع موتي لكي أقبل أنا حياته".**

**أشكرك يا رب يسوع لأنك أعطيتني حياتك.**

# الفصل السابع

## البركة بدل اللعنة

والآن لننتقل إلى الجانب الخامس من المبادلة على الصليب، وهو الانتقال من اللعنة إلى البركة كما هو معلن بوضوح في (غلاطية ٣: ١٣-١٤):
"***اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِّقَ عَلَى خَشَبَةٍ»لِتَصِيرَ بَرَكَةُ إِبْرَاهِيمَ لِلأُمَمِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ***".

وهذه هي المبادلة: كل اللعنات التي يمكن أن تأتي علينا، أتت على الرب يسوع عوضاً عنا، لتكون كل البركات التي للرب يسوع متاحة لنا. لقد حُسب الرب يسوع لعنة بدلاً منا، لتكون لنا "بركة إبراهيم".

ما هي الطرق التي بارك بها الله إبراهيم؟ الإجابة في (تكوين ٢٤: ١) "***وَشَاخَ إِبْرَاهِيمُ وَتَقَدَّمَ فِي الأَيَّامِ. وَبَارَكَ الرَّبُّ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ شَيْءٍ***"، فبركة إبراهيم تغطي كل جوانب حياتنا. وهذه البركة متاحة لنا من خلال الإيمان بالمبادلة التي تمّت على الصليب حيث حُسب الرب يسوع لعنة لأجلنا.

حتّى نفهم البركات واللعنات، نحتاج أن نقرأ (غلاطية ٣: ١):
"***أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا***".

ثم يقول بولس الرسول في الآية ٥: "***فَالَّذِي يَمْنَحُكُمُ الرُّوحَ، وَيَعْمَلُ قُوَّاتٍ فِيكُمْ، أَبِأَعْمَالِ النَّامُوسِ أَمْ بِخَبَرِ الإِيمَانِ؟***" وفي لغتنا المعاصرة يمكننا أن نقول ألعله يتحدّث إلى كارزماتيين أو ممتلئين بالروح القدس؟ لكن بولس يسأل في بداية الأصحاح "من رقاكم (أي من سحركم)؟" هذا أمر غريب! فلماذا يقول بولس هذا الكلام عن أشخاص ممتلئين بالروح القدس؟ لأنهم فقدوا رؤيتهم

للصليب وحوّلوا نظرهم عنه. يقول بولس الرسول للغلاطيين إنهم عرفوا الرب يسوع المسيح وسمعوا عن الصليب حتّى وكأنه رُسم أمام عيونهم، لكن شيئاً ما حدث لهم وشتّت عيونهم عن الصليب. في الحقيقة، لقد تحركت قوّة شريرة شيطانية وحجبت عنهم مفهوم الصليب. إن الكلمة اليونانية المترجمة "رقاكم" هي "باسكينو - baskaino" والتي تعني "سحراً" أو "شعوذة".

**خداع السّحر:**

لن أدخل في تفاصيل عن السّحر الآن، ولكن من المهم أن تعرف أن نوالك الخلاص، أو امتلاءك بالروح القدس أو مشاهدتك للمعجزات لا يضمن لك الحماية من الخدع الشيطانية. من الممكن للشيطان أن يؤثر على المؤمنين، وذلك ليضللهم عن الصليب، فإذا فقدنا تركيزنا على الصليب الذي هو الأساس الوحيد لننال عطايا الله، فلن نتمكن من نوالها.

كما أن الصليب هو المكان الذي هزم فيه يسوع الشيطان ومملكته. يقول بولس الرسول عن يسوع في (كولوسي ٢: ١٥): "***إِذْ جَرَّدَ الرِّيَاسَاتِ وَالسَّلاَطِينَ أَشْهَرَهُمْ جِهَارًا، ظَافِرًا بِهِمْ فِيهِ*** (في الصليب)". فلا يستطيع الشيطان أبداً أن يلغي هزيمته في الصليب، لكن إستراتيجيته الماكرة هي في محاولة منع الناس (وحتى المؤمنين) من إدراك ما تم تحقيقه على الصليب.

تبدأ كل رسائل بولس الرسول تقريباً بتقديم الشكر لله لما يفعله في حياة من يرسل لهم تلك الرسائل. ورغم اضطراره لتوبيخ كنيسة كورنثوس على حالات من الزنى والسكر والخلاعة أمام مائدة الرب، إلا أنه بدأ الرسالة بالشكر لله على نعمته التي أعطاها لتلك الكنيسة، انظر (١كورنثوس ١: ٤). ولكن حين كتب لكنيسة غلاطية، فقط أظهر من بداية الرسالة قلقه الشديد على حالتهم: "***إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنَّكُمْ تَنْتَقِلُونَ هكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلٍ آخَرَ***" (غلاطية ١: ٦). ماذا كانت مشكلة الغلاطيين؟ ليست السُكْر أو الفجور، بل هي الناموسية! لقد أغضب التراجع إلى الشرائع والنواميس بولس الرسول أكثر مما أغضبته الخطايا الجسدية.

**نتيجتـان:**

لقد نتج عن هذا السّحر أمران: الأول هو الشهوات الجسدية، والثاني الناموسية. لقد وجّه بولس الرسول تحذيراً صارماً لأهل غلاطية من أعمال الجسد في (غلاطية ٥: ١٣-٢٤) والتي هي خطايا الفجور والنجاسة وغيرها، فالسّحر يفتح الباب للخطايا التي من هذا النوع. كما أصبح الغلاطيون بابتعادهم عن الصليب ناموسّيين، فقد كانوا يحاولون الوصول إلى البر بحفظهم القوانين والشرائع.

**في ما يلى تعريفان بسيطان للناموسية:**

**الأول:** الناموسية هي محاولة نوال البر أمام الله من خلال الحفاظ على مجموعة من القوانين، مع أن الله يرفض هذا تماماً. كنت أتحدث في إحدى المرّات إلى جماعة كبيرة من المسيحيين المؤمنين، وقلت العبارة التالية: "بالطبع المسيحية ليست مجموعة من القوانين". فنظروا إليّ باستغراب وذهول، وأعتقد أنني لو قلت "لا يوجد إله لكان تعجبهم سيكون أقل!" لكن ما قلته كان حقيقة، فالمسيحية ليست مجموعة من القوانين. الحفاظ على القوانين وطاعتها ليست الطريق لنوال البر أمام الله.

**الثاني:** الناموسية هي إضافة أي متطلبات أخرى لنوال البر غير تلك الموجودة في كلمة الله. فليس لأيّ شخص السلطة لإضافة أي شيء للمتطلبات التي وضعها الله، وهي بسيطة ومُعلنة في (رومية ٤: ٢٤-٢٥) عن البر الذي سيُحسب لنا نحن "***الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الأَمْوَاتِ. الَّذِي أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا***". والتبرير هو أن تقف أمام الله كما لو أنك لم تُخطئ على الإطلاق! لا تنس هذه الكلمة: "تبرير" فهي تعني "كأني لم أخطئ" وهذا هو كل ما تحتاج، وليس من سلطة أحد على الإطلاق إضافة أي متطلبات أخرى. لكن مؤمني كنيسة غلاطية أصبحوا شهوانيين وناموسيّين في الوقت نفسه. لقد وقعت هذه الكنيسة تحت لعنة، وهي النتيجة الحتميّة لكل من يتحول عن إنجيل النعمة إلى إنجيل الأعمال. وبولس الرسول يتكلم عن هذا في (غلاطية ٣: ١٠) "***لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ***

**لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»**". فعندما تحاول أن تنال البر لنفسك أمام الله بالمحافظة على مجموعة من القوانين التي لن تتمكن من الثبات في جميعها، بل ستخفق في أحدها على الأقل، فسوف تجلب على نفسك اللعنة! لأنك ملزم بإطاعة جميع القوانين والشرائع، في جميع الأوقات، وإلا فلن تتمكن من تحقيق البر.

**طريـق النجـاة:**

لحسن الحظ أن الرسول بولس لم يتوقف عند المشكلة، لكنه أعلن لنا عن طريق النجاة من اللعنة. إذا فكّرت بصورة الرب يسوع وهو يموت على الصليب، فلن ترغب أبداً في أن تكون تحت لعنة. كان معلَّقاً في خزي وألم، متروكاً من تلاميذه، مرفوضاً من شعبه لا يملك أي شيء في العالم، مرفوضاً من السماء، كما يعاني الظلمة التي أتت عليه من السماء، ويصرخ بشدة من الألم والكرب الشديد. وتلك هي النتائج المترتبة على اللعنة.

والمشكلة اليوم هي أن أغلب المسيحيين ليس لديهم فهم واضح عن ماهية اللعنة، وكيف تعمل، أو حتى كيف ندرك وجودها. إذا مرضنا فنحن عادة نشعر بمرضنا، وإذا أخطأنا فعلى الأرجح نعرف أننا أخطانا. لكن حين نكون تحت لعنة، فقد لا نفهم طبيعة مشكلتنا، ولا كيف نتعامل معها.

إلا أن هذا هو ما تحقق في المبادلة الإلهية الخامسة ألا وهو أنه يمكننا أن نُفتدى من اللعنة، فعلى الصليب حُسِب الرب يسوع لعنة لكي يفتدينا نحن من اللعنة، وننال بركة إبراهيم التي تمتد إلى كل ناحية من نواحي حياتنا.

والآن لنأخذ صورة عامة عن اللعنة، ثم نتحدث عن كيفية التحرر منها.

**طبيعة اللعنات والبركات:**

إن طبيعة اللعنات والبركات موضوع واسع، ولم أدرك ذلك حتّى بحثت وتعمقت في الموضوع، واستطيع القول أن الدرس الذي علّمني إياه الله عن هذا الموضوع يفوق في تأثيره سائر الدروس الأخرى، وهو حقيقة إعلان إلهي مغيّر للحياة.

إن البركات واللعنات في الأساس كلمات، فيمكن أن تُكتب ويمكن أن تُقال، ويمكن ببساطة أن نفكر بها. ولكنها كلمات مشحونة بقوّة وسلطان يفوقان الطبيعة. وكما تعلن (أمثال ١٨: ٢١) "***اَلْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ فِي يَدِ اللِّسَانِ، وَأَحِبَّاؤُهُ يَأْكُلُونَ ثَمَرَهُ***".

يعطي موسى في (تثنيه ٢٨) قائمة بكل البركات واللعنات. فنجد أن أول (١٤) آية من الأصحاح تصف البركات، أما الآيات الـ (٥٤) المتبقية فتصف اللعنات، وهي قائمة طويلة ومروّعة، ولا يوجد شخص عاقل يرغب في الوقوع تحت أي منها.

البركات واللعنات تؤثر على الناس وتؤدي إلى تغيّرهم بشكل يؤدي إمّا إلى الخير أو إلى الشر. وعادة تنتقل البركات واللعنات من جيل إلى جيل حتى يتدخل أحد لإنهائها. هناك بركات ولعنات ذُكرت في الكتاب المقدّس، ومازال تأثيرها وعملها مستمراً حتى اليوم وذلك منذ أربعة آلاف سنة.

لماذا يهمنا هذا الأمر؟ لأنه قد تكون هناك مشاكل في حياتنا، لم نستطع أن نعرف مصدرها، وهي في الحقيقة ترجع إلى تاريخ ماضٍ، وربما يعود مصدرها لعدة أجيال سابقة. أحياناً نصارع مع مشاكل ولا نتمكن من التعامل معها حتى نعرف طبيعة تلك المشاكل. وأكرر مرّة أخرى، إن أحد خصائص البركات واللعنات هي أن تأثيرها يستمر، إن لم يكن إلى الأبد، فإلى عدّة أجيال متعاقبة.

على سبيل المثال، يقول الله في الوصايا العشر إنّنا إذا عبدنا آلهة أخرى أو صنعنا تماثيل لنسجد لها، فإنه سيفتقد "***ذُنُوبَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ مِنْ مُبْغِضِيَّ***" (خروج ٢٠: ٥).

تعاملت في جنوب شرق آسيا مع أعداد كبيرة من الناس الذين كان لأسلافهم قبلهم بجيلين أو ثلاثة عبادات وثنية، وشاهدت بعيني كيف أن هذه الآيات حقيقية، ولكني شهدت أيضاً التأثير العظيم لتحريرهم من هذه اللعنة.

في ما يلي ملخص بالبركات واللعنات المذكورة في (تثنية ٢٨). أقترح عليك أن تقرأ الأصحاح بنفسك، وتقرر إن كنت تتفق معي على هذه القائمة أم لا.

## أولاً: البركات

١. **الرفعة الشخصية**: أي أن تكون في الارتفاع، وتنال الاحترام والشرف.
٢. **الإثمار**: أي أن تكون حياتك منتجة ومليئة بالثمر في كل الجوانب: الصحة والمال والعلاقات وغيرها.
٣. **الصحّة**: قد لا تُقدّر قيمة هذه البركة حتى تُصاب بمرض، وعندها فإنك تتمنى لو أنك شكرت الله كثيراً على بركة الصحة.
٤. **الازدهار والنجاح**: لا يعني الازدهار في الكتاب المقدّس ما يفهمه الأغنياء، ولا يعني ترف العيش أو وفرة الملذات المادية، بل يعني إنجاز هدف الله والنجاح في تحقيق إرادته. في (يشوع ٧: ٨) يعد الرب يشوع بالازدهار والنجاح في كل عمل يعمله. بعد هذا الوعد أمضى قائد بني إسرائيل هذا كثير من السنوات اللاحقة في الحروب، وتعرّض للأخطار الكثيرة، فكان ينام في الحقول المكشوفة ويقود حياة الجنود القاسية في الحروب.
٥. **الانتصار**: تجلب البركة الانتصار في كل صراع تخوضه وأنت في مشيئة الله.

٦. **تكون رأساً لا ذنباً**: سألت الرب قبل عدّة سنوات أن يخبرني الفرق بين الرأس والذنب. فأجابني ببساطة: "الرأس يتخذ القرارات، وأما الذَنَب فيُجَر هنا وهناك!" دعني أسألك عن حياتك، هل تحيا كرأس أم كذنب؟ هل تتخذ القرارات؟ هل تنفذ خططك بنجاح؟ أم تحيا كضحية للضغوط الخارجة عنك والظروف التي تجرّك هنا وهناك ولا تعلم ما تحمله لك ولا إلى أين تقودك.

**ثانياً: اللعنات وهي عكس البركات المذكورة سابقاً:**

١. الـذل
٢. الفشـل في الإثـمار، أو العقم (عكس الإثمار)، والعقم المستمر – في الغالب – هو نتيجة للعنة.
٣. المرض من كل نوع: من الأمراض التي تدل بشكل خاص على وجود لعنة، تلك المسماة أمراض وراثية، والتي تنتقل من جيل إلى جيل.
٤. الفقر والفشل.
٥. الهزيمة وهي عكس الانتصار المذكور في البركات.
٦. تكون ذنباً لا رأساً.
٧. تكون في الانحطاط ولا تكون في الارتفاع.

**سبعة مؤشرات تدل علي وجود لعنة:**

والآن سنعرض سبعة مؤشرات تدل على وجود لعنة. وهذه المؤشرات تعلمتها من ملاحظاتي الشخصية خلال التعامل مع الناس، ومع الاعتماد أيضاً على (تثنية ٢٨). إن كان لديك واحد فقط من هذه المؤشرات، فليس بالضرورة أن يكون السبب لعنة، ولكن إذا كان لديك عدد منها فغالباً ما يكون السبب وجودك تحت لعنة

١. الانهيار العصبي أو العاطفي.
٢. الأمراض المتكررة أو المزمنة، وبالأخص إذا كانت وراثية، فمن طبيعة اللعنة أن تنتقل عبر الأجيال.

٣. مشاكل نسائية (عقم، إخفاق الحمل، آلام شديدة أثناء الطمث، وغيرها الكثير). عندما أخدم المرضى، وتتقدّم سيدة تعاني من أحد هذه المشاكل إلى الأمام، فبكل بساطة أفترض أن مشكلتها هي لعنة، ونادراً ما كنت مخطئاً، وهناك الكثير والكثير من الشهادات لنساء تحررن تماما من هذه المشاكل بعد زوال اللعنة عن حياتهن.
٤. انهيار العلاقات الزوجية وتفكك العائلات، فبعض الأسر لا تستطيع الاستمرار، خصوصاً حين يتزوج الشخص ويطلّق لأكثر من مرّة، وكذلك انفصال الأطفال عن عائلاتهم.
٥. العوز المالي: أغلبنا قاس من أوقات صعبة مالياً، ولا أستثني نفسي من ذلك. لكن إن كان هذا حالك المستمر أو إن كان لا يتوفر لديك ما يكفي لسد احتياجاتك فربما تكون لعنة.
٦. التعرض الدائم للحوادث: إن كنت من الناس الذين يتعرضون للحوادث على الدوام، تنزل عن الرصيف فتكسر كاحلك، تجلس في سيارة فيصدمك أحدهم، وهكذا، فربما أنك تحت لعنة. عادة ما يكون رد فعلنا على هذه الحوادث هي القول: "لماذا يحصل هذا الشيء معي دائماً؟"
٧. انتحارٌ أو موتٌ غير طبيعي لأحد الأفراد في تاريخ العائلة.

تكونت لدي فكرة عملية عن كيف تكون حياة الشخص الذي يقع تحت لعنة وذلك منذ أن وضعني الله في هذه الخدمة، وخلال تنقلي حول العالم إلى مناطق كثيرة، ومشاهدتي لعدد كبير من الناس الذين كانوا بمثابة دروس تطبيقية واقعية لي.

يمكن تشبيه اللعنة بظلال معتمة آتية من الماضي، ربما لا تعلم من أين أتتك، وقد لا تكون قد تكونت في حياتك، ولكنها تعود لأسلافك في العائلة، وقد علقت بك أثناء حياتك، ومنعت إشراق بركات الله على حياتك. قد يكون الآخرون من حولك في النور، ولكن نادراً ما تكون أنت نفسك في النور، وقد لا تعلم ما هو السبب الذي حدث في الماضي وأدى إلى وجود اللعنة.

كما يمكنك تشبيه اللعنة أيضاً بذراع شريرة طويلة تمتد من خلفك، وبين الحين والآخر تضع هذه الذراع أمامك المصائد وتخرجك خارج مسارك بخبث. أنت تصارع بقوّة لإنجاز أشياء معينة في حياتك، ولكن في اللحظة الأخيرة، حين تظن أن كل شيء قد تم بنجاح يحدث شيء ما، ويهرب منك النجاح، وتعود لنفس المعاناة المؤلمة. وتحاول مرّة أخرى، لتصل إلى نفس النقطة، ولكن تعود تلك الذراع الشريرة لتبعدك عن مسارك مرة أخرى.ويتكرر هذا الأمر حتى يصبح نهجاً تسير عليه طوال حياتك. وربما إذا نظرت إلى حياة أبويك أو أجدادك أو أحد أقاربك، فستجد أنهم كانوا يحيون على نفس نمط الحياة هذا.

ليس بالضرورة أن تجلب لك اللعنة عدم النجاح. قابلت سيدة ذات نسب ملكي في جنوب شرق آسيا، وكانت متعلمة تعليم عالي المستوي وناجحة جداً في عملها كقاضية، أتت إليّ بعد أن أنهيت كلامي عن موضوع البركة واللعنة وقالت: "الوصف الذي قلته لا ينطبق عليَّ، فأنا ناجحة جداً، ولم أكن أبداً غير ذلك"، ولكنها أضافت: "لكني محبطة، فرغم إيماني بالرب يسوع، لم أحصل يوماً على ما يناله المؤمنون الآخرون".

تحدثت مع هذه السيدة لبضع دقائق، واكتشفت أنها تنحدر من عائلة لها تاريخ طويل في عبادة الأوثان، فنبهتها أن عبادة الأوثان في عائلتها هي أساس المشكلة علي الأغلب. وحين عرفت هذه السيدة مشكلتها الحقيقية، وطبقت الشروط الإلهية من أجل تحريرها، تمكّنا من إيقاف تلك اللعنة التي سببتها وثنية أجدادها.

يمكننا أن نجمع مفهوم اللعنة بكلمة واحدة: "الإحباط" فيمكن أن تفشل ويصيبك الإحباط، ولكن يمكن أن تنجح ويصيبك الإحباط أيضاً، فكثير من الناس في العالم هم ناجحون ولكنهم مُحبَطون.

**ما الذي يسبب اللعنة؟**

فيما يلي ثمانية مسببات للعنات التي تأتي على أي شخص:

**١. الوثنية:**

المسبب الرئيسي للعنة هو الوثنية، أي كسر أول وصيتين من الوصايا العشر. وتشمل الوثنية جميع مجالات السّحر والتنجيم. وهي بشكل أكيد ومحتّم تؤدي إلى بعض من أنواع اللعنة، فالذين يستخدمون السّحر والتنجيم يلجأون إلى آلهة كاذبة، بدلاً من اللجوء إلى الإله الوحيد الحقيقي القادر على إعانتهم. وتأتي عليهم نفس اللعنات الواقعة على من يصنع الأوثان ومن يعبدها.

**٢. الديانات الكاذبة والمجتمعات السرية:**

الديانات الكاذبة والمجتمعات السرية هي المسبب الثاني للعنة، وهي كالوثنية السابق ذكرها. فكل ديانة ترفض إعلان الكتاب المقدّس، أو ترفض شخص الرب يسوع وعمله على الصليب، هي ديانة كاذبة بمقياس الكتاب المقدّس. والعالم من حولنا مليء بمثل هذه الديانات. نستطيع أن نضم إلى هذه الديانات الكاذبة المجتمعات السرية، فكل من يشارك بهذه المجتمعات، يعقد ميثاقاً مع أناس يعبدون آلهة زائفة. وكثيراً ما صادفت أشخاصاً تعرّضوا للعنات بسبب الماسونية، واستنتجت من هذه الحالات الكثيرة إلى أن أية عائلة تورطت بالماسونية هي عُرضة للعنة.

**٣. سوء معاملة الوالدين:**

يقول الكتاب المقدّس في (أفسس ٦: ٢-٣):

"***أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، الَّتِي هِيَ أَوَّلُ وَصِيَّةٍ بِوَعْدٍ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ خَيْرٌ، وَتَكُونُوا طِوَالَ الأَعْمَارِ عَلَى الأَرْضِ***". أن تكرم والديك لا يعني أن تتفق معهما في كل شيء، فقد يكونان مخطئين أحياناً، ولكن يجب أن تعاملهما باحترام.

نسبة عالية من الناس هذه الأيام تسيئ معاملة الوالدين أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية. عندما يأتيني شاب من أجل المساعدة، فعادة أحاول معرفة شكل علاقته بوالديه. يمكنك أن تنال الخلاص وتنال مواهب الروح القدس وتذهب إلى السماء بعد الموت، ولكن بدون موقف صحيح مع والديك لن تجري الأمور معك في هذه الحياة بشكل سليم، ولن يكون لك خير.

**٤. ظلم الضعفاء:**

السبب الرابع للعنة هو ظلم الضعفاء والعاجزين. فالله يقف في صف الضعيف والمضطهَد. والمثال الواضح في هذه الأيام على اضطهاد الضعفاء والعاجزين هو الإجهاض، فهو سلب متعمّد للحياة من طفل لم يولد بعد، فالطفل غير المولود هو أقوى مثال للشخص الضعيف والعاجز. وفي رأيي، إذا تعمّدت أو تسببت في عملية إجهاض فقد جلبت لعنة على حياتك.

**٥. معاداة الشعب الذي اختاره الله :**

السبب الخامس لوجود لعنة هو كراهية الشعب الذي باركه الرب وكذلك مهاجمته. عندما دعا الله إبراهيم قال له في (تكوين ١٢: ٣) "***لاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ***"، وانتقل هذا الوعد إلى اسحاق ثم يعقوب ونسله وهكذا. لن تسير الأمور على ما يرام لأي شخص يكون له اتجاه سيء نحو الشعب الذي باركه الله. أحد أوضح الأمثلة على ذلك أحد أصدقائي، وجميع أسلافه الذين يستطيع تذكرهم قد كانوا يلعنون بإصرار شعوباً باركها الله في الكتاب المقدس. وعندما تاب عن هذا الأمر ورفضه تحرر من اللعنة وباركه الله روحياً وعائلياً وعملياً بصورة مذهلة، واليوم هو يخبر الجميع وخصوصاً من ينتمي إليهم بصلة قرابة أو نسب بأن من يريد بركة الرب على حياته فعليه أن يغير اتجاهه نحو الشعوب التي باركها الله.

**٦. كلمات ننطق بها ضد أنفسنا:**

تأتي كثير من اللعنات على الناس بسبب ما يقولونه عن أنفسهم مثل: "لن أنجح مطلقاً" "هذا الأمر يحدث معي دائماً"، "لا أستطيع مقاومة هذه الظروف"، عندما تقول كلمات كهذه فأنت تنطق باللعنة على نفسك. لقد خدمت عدداً كبيراً جداً من الناس كانوا بحاجة للتحرير من روح الموت، وقد وقعوا تحت تأثيره بسبب قولهم كلمات مثل "أتمنى الموت لنفسي، ما الجيد في هذه الحياة؟" هذه دعوة لروح الموت أن يأتي، فكأنك تقول له : "تعال، أنا أرحّب بك". لست بحاجة أن تعطي هذا الروح الكثير من الدعوات حتى يأتي. سنتحدث عن التحرير من روح الموت في نهاية هذا الفصل، فنحن لا نواجه هنا أمراً بسيطاً أو عديم الأهمية، بل مشكلة خطيرة وحقيقية جداً.

**٧. كلمات ينطق بها ذوو السلطان:**

بعض اللعنات تأتي من أشخاص لهم علينا سلطة كالوالدين والأزواج. كثير من الآباء يقولون كلمات قاسية ومليئة بالغضب حين يغضبون من أولادهم دون الاهتمام بنتائج هذه الكلمات ومن هذه الكلمات "أنت غبي جداً"، أو "لن تنجح أبداً". صليتُ مع أناس في الأربعين والخمسين من العمر مازالوا يعانون من تأثير كلمات قالها لهم آباؤهم أو أمهاتهم وهم أطفال.

هناك تعليقات يقولها الأزواج لزوجاتهم قد تجلب لهن اللعنة. قد يبدو هذا ظلماً، لكنه حقيقة، فقد أعطى الله الأزواج سلطاناً على نسائهم. تذكّر بماذا أجاب يعقوب لابان خاله حين اتهمه بسرقة آلهته، قال: "***اَلَّذِي تَجِدُ آلِهَتَكَ مَعَهُ لاَ يَعِيشُ***" (تكوين ٣١: ٣٢). ولم يكن يعقوب يعلم أن زوجته المحبوبة راحيل كانت قد سرقت آلهة أبيها. عندما ولدت راحيل ابنها الثاني، ماتت بسبب لعنة زوجها. بالطبع كان ما فعلته بسرقة آلهة أبيها خاطئاً.

وتخيل ذلك الزوج الذي يقول لزوجته: "أنت لا تتقنين الطبخ! هذا الطعام يتعب المعدة". لا أظنها ستتمكن أبداً من طهي طعام جيد. ربما تملك هذه الزوجة مواهب كثيرة، إلا أنها لن تنجح في المطبخ. ومن جهة أخرى، يجلب الزوج أمراضاً لمعدته بسبب كلامه. قد يبدو هذا الأمر وكأنه مزاح، لكنه حقيقة تحدث كثيراً.

**٨. السحر والعرِافة:**

المسبب الأخير للعنة هو السّحر والعرِافة، فأصحاب هذه المهن يتّصلون بقوى شيطانية. وهذه القوى حقيقية وقادرة على القتل، وقد مات كثير من الناس بسبب السّحر. للسّحر مراكز وتجمعات في كل المدن الرئيسية تقريباً، وحتى في كثير من المدن والقرى الصغيرة، وهم يقيمون صلوات خاصة ضد المسيحيين وضد العلاقات الزوجية للخدّام المسيحيين. وهدفهم الأول هو تدمير كنيسة الرب يسوع المسيح.

في بعض المناطق هناك أشخاص متخصصون يتصلون بقوى شيطانية. والمعروف بين الناس عن هؤلاء أنهم أشخاص ذوو قوّة، يلجأ المحتاجون إليهم لحل مشاكلهم وسد احتياجاتهم. في كثير من البلدان يذهب كثير ممن يقولون إنهم مسيحيون إلى هؤلاء. فهم حين يطلبون شيئاً ما من الله ولا يعطيهم إياه، يذهبون إلى السّحرة والعرّافين ليحصلوا على ما يريدون.

## كيف أتحرر؟

والآن نأتي إلى خطوات التحرر من اللعنة. شكراً لله على المبادلة التي تمت على الصليب.

**١. مـــيّز:**

أطلب من الله أن يظهر لك ما هي مشكلتك. إن هدفي من كل كلامي هو مساعدتك لتميز مشكلتك. ربما ميّزت أنك أطلقت لعنة على نفسك، أو ربما ترى أن مشكلتك تبدأ في أسلافك.

**٢. تــب:**

إن كنت منخرطاً في أي عمل شرير فتب عنه. ربما أنت تمارس السّحر أو التنجيم أو قمت بزيارة عرّاف أو لعبت بلوح "الويجا" أو قرأت كتبا عن التنجيم. فإن كان الأمر كذلك فعليك أن تتوب ربما كان السبب في فتح باب اللعنة على عائلتك هو أحد والديك أو أجدادك أو أحد أسلافك. نعم أنت لست مذنباً، ولكنك تعاني من عواقب أعمالهم، وحتى تنقي ماضيك من هذه الخطيّة، تب بالنيابة عن الشخص المسؤول.

**٣. أعــلن رفضــك:**

أعلن الإعلان التالي بخصوص اللعنة، مهما كان نوعها: "قد نلت الخلاص، ليس بمحهودي ولكن من خلال دم الرب يسوع. أنا أؤمن بذبيحة الرب يسوع الكفّارية. علي الصليب أخذ الرب يسوع كل لعنة، ورَفَعَها عني لكي يكون لي كل الصلاح الذي له". بهذه الطريقة أنت تتبرأ وتلغي اللعنة.

**٤. قــاوم:**

يقول الكتاب المقدَّس في (يعقوب ٤: ٧): "***فَاخْضَعُوا لِلّٰهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ***". لن يهرب إبليس إلا إذا خضعت لله أولاً. وإذا لم تخضع لله، فإبليس سيستمر في الاستهزاء بك. لقد عكس بعض المسيحيين ترتيب هذه الآية، فهم يخضعون لإبليس ويقاومون الله! ربما أنت تفعل الشيء نفسه، فتخضع لضغوط الشيطان وهجماته وتسمح له بأن ينتصر عليك. هذه الحالة لا تُسر الله، وهذا ليس اتضاعاً بل عدم إيمان. إنهض وقاوم وقل "أنا ابن الله. هذه اللعنة ليست لي. لقد أُفتديت من قبضة الشيطان بدم الرب يسوع".

يقول المرنم في (مزمور ١٠٧: ٢): "***ليقلْ هذا مفديُّو الرب***". (ترجمة كتاب الحياة). ففداؤك لن يكون فاعلاً حتى تعلنه في شهادتك الشخصية، فالآية في (رؤيا ١٢: ١١) تقول: "***وَهُمْ غَلَبُوهُ بِدَمِ الْخَرُوفِ وَبِكَلِمَةِ شَهَادَتِهِمْ***".

ردد اعترافك هذا عالياً عدّة مرّات:
"لقد افُتديت من قبضة الشيطان بدم الرب يسوع".

إن كنت تشعر بلعنة الموت عليك، ابدأ بإعلان ما يقوله (المزمور ١١٨: ١٧):
***"لاَ أَمُوتُ بَلْ أَحْيَا وَأُحَدِّثُ بِأَعْمَالِ الرَّبِّ"***

أنا لا أستطيع إحصاء المرات التي واجهت فيها حروباً روحية، واحتجت أن أردد هذا الإعلان: "لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب".
هذا الإعلان قادر أن يغير الكثير في حياتك.

**إعـــلان المبادلة:**
والآن سأساعدك في تطبيق هذا الجزء الخاص من المبادلة التي تمت على الصليب في حياتك. ربما شعرت بنوع من اللعنة على حياتك، لكنك تؤمن أن الرب يسوع حُسب لعنة على الصليب لكي يفتديك من اللعنة، فإن كنت تريد أن تطبّق شروط الله لتحريرك، ردد هذه الصلاة التي فيها كل المتطلبات الضرورية من أجل تحريرك.

"يا رب يسوع المسيح، أنا أؤمن أنك أنت ابن الله، وأنك الطريق الوحيد إلى الآب. أؤمن أنك متَّ على الصليب من أجل خطاياي وأنك قُمتَ من الموت. أؤمن أنك على الصليب جُعلتَ ذبيحة خطيّة بسبب خطاياي، ليكون ليَّ البر الذي منك. وأنك حُسبتَ لعنة بسبب كل لعنة كان ينبغي أن تأتي عليّ، لكي أنال البركة.

والآن يا رب، أنا آتي إليك لتحررني من كل لعنة. أُعلن توبتي عن أيّة خطايا قد سببت هذه اللعنة سواء كنت أنا ارتكبتها أو أيّ من أسلافي، وأنا أقبل غفرانك.

أنا أقف الآن ضد الشيطان وضغوطه وكل ما يريد أن يفعله ضدي. أنا أقاومه باسم الرب يسوع وأرفض الخضوع له. باسم الرب يسوع أنا أُطلق نفسي من أي لعنة على حياتي، وأطلقها باسم الرب يسوع ومن خلال عمله على الصليب. إني أقبل التحرير الآن بالإيمان وبكل الامتنان والشُكر والتسبيح.

يا رب، أنا أشكرك. وأسبحك. وأؤمن أنك إله أمين وأنك تستجيب. أُكرس حياتي لك، لتحل علي بركاتك من الآن فصاعدا. أشكرك يا رب يسوع".

والآن اصرف بعض الوقت في شكر الله بكلماتك الخاصة. أقبل شاكراً ما عمله لك.

إن اتّباعك لخطوات التحرير هذه، واعترافك بالمبادلة الإلهية، لا يحل كل مشاكلك من هذه اللحظة بشكل آلي سريع، ولكنه يفتح لك طريقاً جديداً في حياتك. تقابلت مع كثيرين تحرروا من لعنات، ومنهم من خاض حروباً قوية، فالتغيير لا يحصل بالضرورة بين ليلة وضحاها، بل يجب أن تكون مستعداً لمقاومة الشيطان ولتقول له: "لقد طبقت الشروط الإلهية وليس لديك أي شكاية ضدّي. إبتعد عن طريقي. أنا ابن لله الحي، فابتعد عن طريقي".

حين يرى الشيطان أنّك بالفعل تعني ما تقوله، فسيبتعد عن طريقك، فلا تفشل حين تواجه بعض المشاكل المُتبقية، فأعلم أنك قد وجّهت نظرك نحو النور وأنك تتقدّم في الاتجاه الصحيح. **ما أريد تأكيده لك، أنه يوجد رجاء!**

# الفصل الثامن

# الفيض بدل الفقر

الموضوع الذي نبحثه في هذا الكتاب هو ذبيحة الرب يسوع الواحدة على الصليب، تلك الذبيحة التّامة، الكاملة، الذبيحة الكافية التي تُعطي جميع الإحتياجات في حياة الإنسان في هذا الوقت وفي الأبدية. ما قمنا بتوضيحه في الصفحات السابقة هو حقيقة تلك الذبيحة التي تحمل في جوهرها مبادلة إلهية حَمَلَ الرب يسوع بموُجبها كل شرورنا، ليتوفر لنا بالمقابل كل الصلاح الذي له. إننا لا نستحق هذا العمل، كما جاء في (أفسس ٢: ٨): "**لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ**"، والنعمة تشمل كل ما عمله الرب يسوع لأجلنا على الصليب.

وقد تكلمنا عن خمسة جوانب من هذه المبادلة، وسنعيد كتابتها لتبقى واضحة في ذهنك:

- عُوقب الرب يسوع لكي يُغفر لنا.
- جُرح الرب يسوع لكي نُشفى.
- جُعِل الرب يسوع خطية بخطيتنا لكي نتبرر نحن ببره.
- مات الرب يسوع موتنا لكي نقبل نحن حياته.
- حُسب الرب يسوع لعنة لكي ننال البركة.

والآن سنتحدث عن جانب آخر من جوانب هذه المُبادلة:

"**فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ**" (٢كورنثوس ٨: ٩).

ونستطيع صياغة هذه المُبادلة هكذا:

تحمّل الرب يسوع فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه.

هل تتفق معي أن الفقر شيء سيئ ؟ يعيش بعض المسيحيين الفقر الإرادي، وأنا أُقدّر قناعتهم. ولكن في أغلب الحالات يكون الناس مُجبَرين على حياة الفقر غير مُخيَّرين، وذلك بسبب الحاجة. سافرت كثيراً في بقاع مختلفة على الأرض، وشاهدت الفقر لدى أمم مختلفة، رغم ذلك أفضل القول إن الأصل هو الوفرة. أنا لا أؤمن أن قيادة سيّارة كاديلاك أو مرسيدس، أو العيش في بيت به حوض سباحة هو دليل على الحياة الروحية المرتفعة.

ولكن ما أؤمن به هو أنّ الله يعطينا بوفرة، بمعني أن نملك ما يكفي لسد حاجاتنا، ويبقى معنا المزيد لنعطي الآخرين. هذا ما يمنحه ويوفره الله لنا.

في (٢كورنثوس ٩: ٨) يتكلم بولس الرسول عن مستوى ما يوفره الله لخدّامه:
"***وَاللهُ قَادِرٌ أَنْ يَزِيدَكُمْ كُلَّ نِعْمَةٍ، لِكَيْ تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ***".

هذه آية مدهشة فعلاً، فكلمة "كل" تظهر فيها خمس مرّات وكذلك الكلمة يزيد أو (تزداد) تظهر مرتين. وهذا في الحقيقة هو مستوى ما يمنحه ويوفّره الله لخدامه. ولكن يجب أن نلاحظ أن كل هذا نحصل عليه فقط من خلال النعمة. فلا نستحق أو نكسب هذه الأمور بمجهوداتنا، ولكن ننالها فقط من خلال الإيمان المبني على أساس ذبيحة الرب يسوع على الصليب.

لكن قد تضطر لخوض معركة روحيّة ذهنيّة لتنال وتقبل هذا الحق. وهذا ما حصل معي. كشاب صغير لم أكن منخرطاً كثيراً في الأمور الروحيّة، ولكن لمدة عشر سنوات كنت مُجبَراً - وأنا في مدرسة بريطانية - على حضور الكنيسة ثماني مرّات في الأسبوع. وخلال هذه الفترة تكوّن لدي الانطباع أنّه على المؤمنين ألا يتوقعوا سوى أن يكونوا فقراء وبؤساء. إن كانت لك خلفية مشابهة لخلفيتي، وتكوّن لديك نفس الانطباع، فاطلب من الله أن يحرر ذهنك من قيود هذه الأفكار التقليديّة.

في الأصحاح العظيم للبركة واللعنة وهو (تثنية ٢٨) نقرأ الكلمات التالية:
**"وَتَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ ...لأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ ... مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ لَمْ تَعْبُدِ الرَّبَّ إِلهَكَ بِفَرَحٍ وَبِطِيبَةِ قَلْبٍ لِكَثْرَةِ كُلِّ شَيْءٍ. تُسْتَعْبَدُ لأَعْدَائِكَ الَّذِينَ يُرْسِلُهُمُ الرَّبُّ عَلَيْكَ فِي جُوعٍ وَعَطَشٍ وَعُرْيٍ وَعَوَزِ كُلِّ شَيْءٍ.."** (الأيات ٤٥، ٤٧ ، ٤٨).

حين نفشل سواء بسبب عدم الإيمان أو عدم الطاعة في أن نعبد الرب بفرح وبطيبة قلب ستأتي علينا أربعة أشياء كما يقول الله. وهي الجوع والعطش والعري والعوز في كل شيء. فماذا نسمي هذه الأشياء مجتمعة معاً؟ بكل تأكيد نسميّها "فقراً شديداً".

أريد أن أشاركك الآن بإعلان أخذته وأنا في نيوزيلاندا قبل عدّة سنوات. أكد لي الأشخاص الذين دعوني أنا وزوجتي الأولى أن كل مصاريف زيارتنا ستكون مُغطاة، ولكن حين وصلنا، أخبرونا أن لا نقود لديهم لتغطية تكاليف سفرنا أو طعامنا، وقالوا: "يجب عليك أن تطلب من الناس أن يقدموا تقدمة خاصة".

وبينما كنت أعظ عن آيات البركة واللعنة في (تثنية ٢٨)، أعطاني الروح القدس صورة ذهنية للرب يسوع وهو على الصليب رأيت لعنة الفقر وهي تتحقق في الرب يسوع، فلقد كان جائعاً، لأنه لم يكن قد أكل لمدّة ٢٤ ساعة، وكان عطشان جداً، فمن بين آخر ما قاله على الصليب "أنا عطشان". وأيضاً كان الرب يسوع على الصليب عرياناً فقد أخذوا كل ثيابه، وحين مات لم يكن يملك أي شيء، حتى أنه دُفن في قبر مستعار وكسوه كفنٌ مستعار.

وبينما كنت أتحدث في ذلك اليوم، تبلورت الحقيقة أمام عيني، ففي الصليب أخذ الرب يسوع كل لعنة الفقر. لم يكن الرب يسوع قبل أن يذهب إلى الصليب فقيراً، لم يكن يحمل معه كثيراً من النقود، لكنه دائماً كان لديه ما يكفيه، فالذي يستطيع إطعام آلاف الرجال عدا النساء والأطفال في صحراء قاحلة ليس فقيراً. سأستعير هذا التعبير من ثقافتنا المعاصرة، كان الرب يسوع يحمل

"بطاقة الائتمان" الخاصة بالآب وهي صالحة للاستعمال في كل مكان. والافتراض أن الرب يسوع كان فقيراً قبل أن يذهب إلى الصلب هو تضليل كبير.

لم يحمل الرب يسوع على الصليب لعنة العوز فحسب، ولكنه استنفذها، فحين تجوع وتعطش وتعرى، وتحتاج لكل شيء، لن تصل إلى فقر أكثر من هذا.

اخترقت هذه الرؤيا هؤلاء الناس في نيوزيلاندا. كان عدد الحاضرين لا يتجاوز ٣٠٠ شخص، ولم يكونوا أغنياء، لكنهم أعطوا بسخاء، فغطوا كل نفقاتنا أنا وليديا طوال المدّة التي قضيناها هناك، وأيضاً كل نفقات الرحلة ذهاباً وإياباً. لقد فهم هؤلاء الأشخاص تلك الرؤيا التي كانت للرب يسوع على الصليب، الذي أخذ وأستنفذ لعنة الفقر حتى يعطينا بركة الغني والفيض.

**ثلاث مراحل للعطاء الإلهي:**

هناك ثلاث مستويات للانتقال من الفقر إلى الفيض: عدم الكفاية، الكفاية، ثم الفيض. عدم الكفاية هو عدم امتلاكك ما يكفي لسد احتياجاتك، فإذا كنت تحتاج مثلاً ١٠٠ دولار وأنت لا تملك سوى ٧٥ دولار فأنت في مرحلة عدم الكفاية. لكن إن كنت تملك ١٠٠ دولار فأنت في مرحلة الكفاية. أما إذا كنت تحتاج ١٠٠ دولار ولديك ١٢٥ دولاراً فأنت في مرحلة الفيض. وتأتي كلمة "فيض" من كلمة لاتينية تعني "موجة تدفق". وعليك أن تكون ذلك الشخص الذي يقبل من الله موجة تتدفق عليه.

لماذا يريد الله أن يكون أولاده في وفرة؟ اسمع ما يقوله بولس الرسول لشيوخ كنيسة أفسس: "***فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ***" (أعمال ٢٠: ٣٥).

ليس عند الله تحيّز، فهو يمنحنا بوفرة حتّى لا نأخذ فقط ولكن نُعطي أيضاً، وعندها يمنحنا بركة أعظم. أنا أؤمن أن الله لا يستثني أحداً من أبنائه من هذه البركة العظيمة التي للعطاء".

العطاء هو جزء هام في الحياة المسيحية. هذا لا يعني أن جميعنا يجب أن نعطي مبالغ كبيرة، لكن الله يأمر شعبه في العهد القديم بأن لا يظهروا أمامه فارغين (خروج ٣٤: ٢٠). ويقول (مزمور ٩٦: ٨): "***قَدِّمُوا لِلرَّبِّ مَجْدَ اسْمِهِ. هَاتُوا تَقْدِمَةً وَادْخُلُوا دِيَارَهُ***". فلا تأتِ إلى الرب بأيدٍ فارغة.

لكن تذكر، الله ليس بحاجة لنقودك! وحين تقترب سلة العطاء، فلا تمد يدك إلى جيبك باحثاً عن أصغر قطعة نقد لتضعها في السلة. هذا ليس فيه احترام لله. أنت لست مضطراً لأن تُعطي لكن إن أعطيت، أعطِ بطريقة فيها احترام لله. وتذكر أيضاً، أن العطاء هو جزء من العبادة، فإذا لم يكن في عطائنا عبادة لله، فمن الأفضل لنا أن لا نعطي.

أثناء السنوات الخمس التي قضيتها في شرق أفريقيا، رأيت أنه حين يلمس الله قلوب الناس، فإنهم يحبون العطاء أكثر. يقول الكتاب المقدّس في (٢كورنثوس ٩: ٧).
"***الْمُعْطِيَ الْمَسْرُورَ يُحِبُّهُ اللهُ***". وقد رأيت في أفريقيا أشخاصاً من هؤلاء يُسرّون كثيراً بالعطاء، ولأن أغلب الناس هناك لا يملكون إلا القليل من المال، فقد كانوا يأتون إلى الكنيسة بتقدمات مختلفة. بعضهم يتقدّمون إلى الأمام في الكنيسة بسلال من حبوب القهوة، ويلمس الله قلوبهم مرة أخرى فيأتون ربما ببعض الذرة، ثم يلمس الله قلوبهم بقوّة أكبر فيتقدّمون هذه المرّة بدجاجة حيّة، وهم مسرورون جدّاً بعطائهم.

**درجة أعلى من الغنى:**
سأضيف هنا كلمة تحذير. إن كانت كل ثروتك عبارة عن منزل فخم وسندات تجارية وسيّارة كاديلاك وبيت ريفيّ جميل، فتذكّر شيئاً واحداً: حين تموت، لن تأخذ معك أى شيء، بل ستذهب إلى الأبدية بنفسك العارية. ولكن هناك درجة أعلى من الغنى. في (أمثال ٨: ١٧-١٨) تقول الحكمة الإلهية:
"***أحب من يحبُّونني، ومن يجدُّ في البحث عنّي يعثر عليَّ. لديَّ الثراء والمجد والغنى الدَّائمُ والصلاح***" (ترجمة كتاب الحياة).

لاحظ كلمة "دائم". لا شيء في هذا العالم دائم، ولا شيء نستطيع أن نأخذه معنا. فما هو الغنى الدائم إذاً؟ الغنى الدائم هو كل تقدمة لملكوت الله. يقول الرب يسوع:
"***وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ***" (متى ١٩: ٢٩).

ما نُعطيه للرّب من ثروتنا يصبح غِنىً دائماً، والمئة ضعف التي نأخذها على عطائنا، تعني نسبة مقدارها عشرة آلاف بالمئة! أليست هذه نسبة فائدة جيدة!

ولكن الله لا يباركنا فقط بالغنى المادّي، فبولس الرسول يتكلّم عن طريقتين نستطيع أن نخدم الله بهما على هذه الأرض، وينتج عنهما غنى دائم:
"***فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَضَعَ أَسَاسًا آخَرَ غَيْرَ الَّذِي وُضِعَ، الَّذِي هُوَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ: ذَهَبًا، فِضَّةً، حِجَارَةً كَرِيمَةً، خَشَبًا، عُشْبًا، قَشًّا، فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ، وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ. إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ، وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ***" (١كورنثوس ٣: ١١-١٥).

يعطي الرسول بولس هنا أمثلة لنوعين من الخدمة تُقدّم للرب. أحدها كبير في الكميّة ولكن قيمته قليلة مثل الخشب والعشب والقش، والنوع الآخر ذهب وفضّة وحجارة كريمة،كميتها قليلة لكنها تقاوم النار وتَثْبُت أمام اختبار الزّمن. احذر من أن تكوّم كميّات كبيرة من الخشب والعشب والقش لأن النار آتية وستلتهم كل هذا في لحظة.

إن الغنى الدائم هو تلك النفوس التي نباركها ونبنيها بالحق المُعلَن في كلمة الله وبقوّة الروح القدس، لتنشأ منها شخصيات مسيحيّة حقيقيّة. بهذه الطريقة نحن نبني رجالاً ونساءً لله، حتى وإن لم يكن بأعدادٍ كبيرة. على الرغم من ميلنا الخاطئ في الكنيسة للتركيز على الأعداد، فالقضية

ليست في عدد أعضاء الكنيسة، بل كم عدد التلاميذ الذين نرعاهم. لم يخبرنا الرب يسوع أبداً أن نقدم له أعضاء للكنيسة، ولكنه أمرنا بأن نجعلهم تلاميذ. ما لاحظته خلال خدمتي الطويلة أنك إن أردت أن تتلمذ آخرين، ففي العادة يجب أن تبدأ بعدد قليل، كما فعل الرب يسوع نفسه. لكن هؤلاء التلاميذ سيبدأون بالتضاعف ذاتياً، وعلى المدى الطويل سيصبح لديك الكثير من التلاميذ وتكون في هذه الحالة قد حصلت على النوعية وليس الكميّة.

**وجهة النظر الصحيحة:**

سننهي هذا الفصل بآيتين من الكتاب المقدّس تصفان ما يقدّمه الله من غنى من وجهة النظر الصحيحة: الآية الأولى هي (أمثال ١٣: ٧): "***يُوجَدُ مَنْ يَتَغَانَى وَلاَ شَيْءَ عِنْدَهُ، وَمَنْ يَتَفَاقَرُ وَعِنْدَهُ غِنًى جَزِيلٌ***". يوجد أشخاص يتعمّدون التحوّل عن ثروتهم الماديّة في هذا العالم، ليجعلوا من أنفسهم فقراء، لكن في المجال الروحي لهم غنى عظيم. واعتقد أن بولس الرسول كان واحداً من هؤلاء.

إنه يشهد في (٢كورنثوس ٦: ٤) (وهي الآية الثانية التي سنتحدث عنها) فيقول: "***فِي كُلِّ شَيْءٍ نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كَخُدَّامِ اللهِ: فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ، فِي شَدَائِدَ، فِي ضَرُورَاتٍ، فِي ضِيقَاتٍ***". يتبع هذه شهادة قائمة طويلة بما اختبره هو والعاملون معه في الخدمة، وأغلب هذه الأشياء ليست ضمن مناهج كليات اللاهوت، فقد أظهروا أنفسهم "***فِي صَبْرٍ كَثِيرٍ، فِي شَدَائِدَ، فِي ضَرُورَاتٍ، فِي ضِيقَاتٍ، فِي ضَرَبَاتٍ، فِي سُجُونٍ، فِي اضْطِرَابَاتٍ، فِي أَتْعَابٍ، فِي أَسْهَارٍ، فِي أَصْوَامٍ***"... (الأيات ٤، ٥). ثم يسرد بولس الرسول طرق أخرى تؤكد على أنه والعاملين معه هم خدّام لله:

"***كَمَجْهُولِينَ وَنَحْنُ مَعْرُوفُونَ، كَمَائِتِينَ وَهَا نَحْنُ نَحْيَا، كَمُؤَدَّبِينَ وَنَحْنُ غَيْرُ مَقْتُولِينَ، كَحَزَانَى وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ، كَفُقَرَاءَ وَنَحْنُ نُغْنِي كَثِيرِينَ، كَأَنْ لاَ شَيْءَ لَنَا وَنَحْنُ نَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ***".(آية ٩-١٠).

إن الفقر لعنة، لكن الله يهبنا الفيض، ولكن لا تركّز على الجانب المادي فحسب، لأنّك حين تموت سيكون الموت نهاية هذا الجانب، وأقول لمن يرتبون أولوياتهم بطريقة صحيحة، الله سيوفر لكم الكثير من الغنى العظيم الدائم.

**إعلان هذه المبادلة:**

مرّة أخرى لنعترف بهذه المبادلة بصوت مسموع:

**"تحمّل الرب يسوع فقرنا لكي نشاركه في فيض غناه".**

**«أشكرك يارب يسوع لأنك تعطيني فيض غناك».**

# الفصل التاسع

# المجد بدل الخزي

سنتناول الآن جانبين آخرين من جوانب المبادلة التي تمت على الصليب. وهذان الجانبان يقدّمان الشفاء لمشاعر المجروحين بالخزي والرّفض. لقد قرأنا الآية في (إشعياء ٥٣: ٥) عدة مرّات: "**بِحُبُرِهِ** (جراحه) **شُفِينَا**" وهي لا تتكلم عن الشفاء الجسدي فحسب ولكن تشمل شفاء المشاعر.

هناك أنواع كثيرة من الجروح التي تصيب المشاعر، وبكل تأكيد يقدّم الصليب العلاج لها جميعاً. لكن جروح الخزي وجروح الرّفض هما الأكثر انتشاراً وعمقاً بين ما يعانيه البشر.

**الخزي:**

ما هو نقيض الخزي؟ إنه المجد. لقد عانى الرب يسوع على الصليب من جرح الخزي في أقسى درجاته، لكي يهبنا الشفاء منه، فقد تحمّل الرب يسوع خزينا لنشاركه في مجده. سنناقش في هذا الفصل خزي الصليب، وسنتحدّث عن بعض مسببات الخزي بين الناس اليوم، وسنناقش كيفيّة العلاج.

أعظم امتياز لي في خدمتي أن أرى الناس يُشفَون من جراح الخزي والرّفض، فعلاج الله ليس مجرد نظرية أو عقيدة، لكنه حقيقة فعّالة، لأن الله يعمل فعلياً ويقوم بالشفاء. أنا أؤمن أنك لو قبلت مبدأ أن الشفاء مُتاح من خلال ذبيحة الرب يسوع البديلة عنك، فستجد الشفاء لنفسك، وإن كنت تخدم خدمة المشورة أو التعليم فسيكون لك امتياز قيادة آخرين للشفاء.

لقد وجدت من خلال خبرتي الطويلة في الخدمة والمشورة أن الخزي هو من أكثر المشاكل العاطفية انتشاراً بين شعب الله. والأسوأ من ذلك أن المؤمنين يخجلون من إخبار الآخرين بمشكلتهم. لقد أصبح الخجل سجّاناً يغلق عليهم الأبواب.

نقرأ في (عبرانيين ٢: ١٠): "***لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ*** (الله الآب) ***الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ*** (أنا وأنت) ***إِلَى الْمَجْدِ، أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ*** (الرب يسوع) ***بِالآلاَمِ***".

لقد سمح الله للرب يسوع أن يحمل كل هذه الآلام لكي يُدخلنا في كمال الرب يسوع. لاحظ الغرض الإلهي في الآية: "***وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلَى الْمَجْدِ***". فإن كنت مؤمناً، فأنت كابن لله مثبّت في المجد. تحمّل الرب يسوع على الصليب خزيك ليكون لك نصيب في مجده.

تتكلّم (عبرانيين ١٢: ٢) أيضاً عن تحمّل الرب يسوع لخزينا، وهي تحثنا أن نبقي "***نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ***".

تحمّل الرب يسوع على الصليب خزياً شديداً يصعب علينا تخيّله، ولكنه لم يسمح لهذا أن يعيقه. فقد كان ذهنه مركّزاً على السرور الموضوع أمامه، ولم يكن هناك ما يستطيع أن يحوّل نظره عن هدفه. فما هو السرور الموضوع أمامه؟ هو أن يأتي بأبناء كثيرين إلى المجد. فلكي يحضرك ويحضرني ويحضر ملايين من البشر إلى المجد، تحمّل خزي الصليب.

**خزي الصليب:**

قبل عدة سنوات، ساعدنا أنا وزوجتي الأولى سيدتين يهوديتين كانتا قد هربتا من الأتحاد السوفيتي، وقد واجهتُ مشاكل كثيرة لمساعدتهما. وبينما كنت أصعد تلة مرتفعة في أحد الأيام الحارّة في حيفا، بدأت أتذمّر في داخلي، وأفكر كم من الصعاب والمشاكل ستواجهني من أجل هاتين السيدتين، مع أنهما كانتا شاكرتين جدّاً على ما نفعله معهما. وفي تلك اللحظة، وضع الله على قلبي الآية الموجودة في (٢تيموثاوس ٢: ١٠):

"***لأَجْلِ ذلِكَ أَنَا أَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لأَجْلِ الْمُخْتَارِينَ، لِكَيْ يَحْصُلُوا هُمْ أَيْضًا عَلَى الْخَلاَصِ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، مَعَ مَجْدٍ أَبَدِيٍّ***".

أدركت حينها أن ما كنت أحتمله بسيطاً جداً، ولا يمكن مقارنته بما احتمله الرب يسوع على الصليب، فشعرت أن ما أعمله قليل ومُتواضع جداً.

لا توجد طريقة مخزية للموت أكثر من الصليب، وقد كانت أحقر طريقة عقاب لأحقر المجرمين. لقد أخذوا كل ثياب الرب يسوع عنه، وعلقوه عارياً أمام عيون الناس وعابري السبيل يهزأون به. فما احتمله الرب يسوع يمكن تلخيصه في كلمة واحد: "الخزي". لقد تحمّل الرب يسوع الخزي لكي يحضرنا إلى المجد.

يعطينا العهد الجديد وصفاً مختصراً لما احتمله الرب يسوع على الصليب. وفي الحقيقة لا يمكنك أن تجد اقصر من هذا الوصف، فروايات البشائر الأربعة تقول بوضوح "صلبوه"، لكن العهد القديم في المزامير والأنبياء يكشف لنا بطريقة رائعةما كان يجول داخل الرب يسوع.

بالعودة إلى (إشعياء ٥٣)، أصحاح الكفَّارة العظيم، نرى التأكيد علي الخزى الذي عانى منه الرب يسوع. "***مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ***" (الآية ٣).

وما أفهمه أننا حوّلنا نظرنا عنه لأنه منظره كان رهيباً جداً. والآية (٢) من نفس الأصحاح تقول: "***لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ***". لقد فقد الرب يسوع حتّى صورة وجهه كإنسان، وكانت الجراح والكدمات والتقرحات المتعفّنة في جسده مكشوفة أمام مبغضيه وصالبيه، بل كانت أيضاً مكشوفة لعابري السبيل الكسالى.

يعتبر (مزمور ٦٩) من أقوى وأروع المزامير المسيانية[٤] التي لا تشير فقط إلى داود قائل وكاتب كلمات المزمور، لكنها تشير أيضاً إلى المسيا نفسه:
"***لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي***" (آية ٧).

٤ "المسيانية"، تعبير يطلق علي مقاطع معينة من العهد القديم تشير أو تتنبأ بأمور تتعلق بالمسيح.

نفهم من هذه الآية شيئاً آخر عن ما احتمله الرب يسوع على الصليب. هل لاحظت من قبل أن من يشعر بالعار، يصعب عليه النظر في وجوه الناس؟ لقد غطى الخجل وجه ذلك العبد المتألم.

تعطينا أول آيتين من (مزمور ٦٩) تصوّراً أبعد لما جرى:
"**خَلِّصْنِي يَا اَللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ، وَلَيْسَ مَقَرٌّ**". وحيداً وبدون أي سند، هكذا غرق الرب يسوع في عمق الحمأة (المستنقع) القذرة لخطايا العالم.

اقتبس العهد الجديد أربع آيات من (مزمور ٦٩) ليتحدّث بها عن الرب يسوع، وأولها الآية (٤) التي اقتبسها الرب يسوع في (يوحنا ١٥: ٢٥): "**لكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ**". حيث يقول المزمور:
"**أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ**" (مزمور ٦٩: ٤).

وأيضاً الآية (٨):
"**صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيبًا عِنْدَ بَنِي أُمِّي**".
تذكر أن الرب يسوع رُفض من أقربائه وعائلته (مرقس ٣: ٢١، يوحنا ٧: ٣-٥).

كما تحققت الآية (٩) في حياة الرب يسوع حين طهّر الهيكل في (يوحنا ٢: ١٧): "**غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ**".

وأخيراً الآية (٢١) والتي تحققت حين عُلق الرب يسوع على الصليب (متّى ٢٧: ٣٤، ٤٨).
"**وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ**" (الآية ٢١).

لم يحدث هذا لداود على الإطلاق، ولكن روح المسيا الذي كان في داود، كان يتحدث من خلال داود عن أشياء ستحدث للرب يسوع على الصليب.

يوَضح الرسول بطرس في رسالته الأولى كيف يتحدّث أنبياء العهد القديم مستخدمين صيغة المتكلم عن أشياء لم تحدث أبداً معهم ولكنها تمت في حياة الرب يسوع:
"***الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا***". (١بطرس ١: ١٠-١١).

والآن لنقرأ الآية التالية التي تصف الصلب في (متّى ٢٧: ٣٥) والتي يقتبسها البشير متّى من (مزمور ٢٢)، وهو أحد المزامير المسيانية أيضاً:
"***وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا، لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالنَّبِيِّ:اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً***".

أتعجب كيف اكتفى كتّاب العهد الجديد بالقول: "صلبوه". لم يعطونا صورة من الدّم المسفوك أو عن معاناة الرب يسوع. لو أراد أي كاتب من الكتاب المعاصرين أن يصف حدث الصلب، لملأ صفحات عديدة من التفاصيل. لكن يترك العهد الجديد هذا الأمر للروح القدس ليوّضح لنا التفاصيل التي نحتاج أن نعرفها.

والآن تصوّر منظر الجنود وهم يقتسمون ثياب الرب يسوع. يتفق أغلب الدّارسين على أنّ ثياب الرجل في أيام الرب يسوع كانت عبارة عن أربع قطع، ولأنه يوجد أربعة جنود فقد أخذ كل جندي قطعة. لكنهم اقترعوا على الثوب لأنه كان جيد الصنع. لاحظ دقة النص الكتابي، وانظر إلى النتيجة النهائية: كان الرب يسوع مُعرّى بالكامل ومكشوفاً للجميع وهو على الصليب.

ولكن ماذا عن النساء اللاتي تبعن الرب يسوع؟ ثلاث نساء فقط اقتربن من الصليب: العذراء مريم أمّه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية (يوحنا ١٩: ٢٥) أما بقية النساء فبقين بعيدات. وهذا يدل أن الرب يسوع كان عارياً أمام الناس. وأما صورنا اللطيفة عن الصلب،

فتظهر جسم الرب يسوع مغطّى بشيء على حقويه، وترسم نقاطاً قليلة من الدّم على يديه وعلى رجليه، وإكليلاً جميلاً مرتّباً من الشوك على رأسه. هذه الصورة لا تعطينا أي إدراك أو فهم لحقيقة الصليب.

إن الرب يسوع تحمل عارنا ليحررنا من خجلنا وخزينا، وليكون لنا نصيب في مجده.

**لماذا يعاني الناس من الخزي:**

هناك عدة أسباب تؤدي بالناس للإحساس بالعار والخجل والخزي. من هذه الأسباب تجارب مُهينة من الماضي. في العادة تحدث لنا هذه التجارب في المدارس. لسببٍ أو لآخر قد يُصبح أحد التلاميذ "فُرجة" لباقي صفه. جرت العادة قديماً أن يعاقب الأستاذ الطالب المُهمل بإيقافه في زاوية الصف، فمع أن فرض النظام في الفصل أمراً ضروريا، لكن هذه الطريقة من العقاب تؤدي بالطلاب للإحساس بالخزي، وقد يُجرَح أحد التلاميذ الحساسين من الداخل طوال أيام حياته بسبب هذا العقاب.

سبب آخر للإحساس بالخزي هو الذكريات التي نحتفظ بها لما كنّا نفعله قبل أن نتقابل مع الرب. أشياء قد تكون مخزية ومهينة. بعض الأحيان استغرب كيف كنت أجرؤ على عمل مثل تلك الأمور.

ربما يكون التحرش الجنسي للأطفال هو المسبب الأكثر انتشاراً للإحساس بالخجل والخزي. الإحصاءات هذه الأيام تُعطي أرقاماً مخيفة، فقد أظهرت الأبحاث أن فتاة من بين كل أربع فتيات في أمريكا، وشاب من بين كل خمسة قد تعرّضوا للتحرش الجنسي قبل أن يبلغوا سن الثانية عشر. إن كنت تظن أن هذا لا يحدث داخل الكنيسة، فأنت مخطئ كان من الصعب عليَّ احتمال ما اكتشفت أنه يحدث "تحت غطاء" الكنيسة. لا أريد أن أكون سلبياً، ولكن حتى أطفال شيوخ الكنيسة وأطفال الوعّاظ يتعرضون للإساءة الجنسية، فالكنيسة ليست مستثناة.

حين ينخرط الخادم في عمل المشورة، يواجه أثناء خدمته أناساً يعانون من جراح الخزي. بعضهم بسبب التحرش أثناء فترة الطفولة. لكن يجب أن نتذكر أنّ هذه الجراح قد عولجت على الصليب، فمن أجل شفاء هذه الجراح، احتمل الرب يسوع العُري أمام الناس وهو معلّق على الصليب.

ربما أنت نفسك تحمل في داخلك جرحاً يسبب لك الخجل والخزي. إن كان الأمر كذلك، اسمح للروح القدس أن يتعامل مع هذه الجراح، فهو شفوق ورقيق وبارع ولكنه أيضاً صادق.

لا تتهرب من هذا الموضوع وتذكّر هذه الأخبار السارة: لقد حمل الرب يسوع على الصليب كل الخزي الذي يمكن أن يعاني منه أي منا، وحمله كله على نفسه، فأزاله وأبعده عن طريقك.

تدعونا الفقرتان التاليتان من سفر أيوب لأن نرفع وجوهنا إلى الله.
الفقرة الأولى: في (أيوب ١١: ١٤-١٥):
"***إِنْ أَبْعَدْتَ الإِثْمَ الَّذِي فِي يَدِكَ، وَلاَ يَسْكُنُ الظُّلْمُ فِي خَيْمَتِكَ، حِينَئِذٍ تَرْفَعُ وَجْهَكَ بِلاَ عَيْبٍ، وَتَكُونُ ثَابِتًا وَلاَ تَخَافُ***".

شيء آخر لاحظته في من يعانون من الخزي أنهم نادراً ما يرفعون وجوههم في الصلاة إلى الله، فهو يصلون ووجوههم منخفضة إلى أسفل، لماذا؟ بسبب خجلهم. أحد مؤشرات العار والخجل هو عدم الرغبة في النظر إلى الله، أو حتى إلى الإنسان وجهاً لوجه.

لكن الأية التالية من أيوب تصف لنا ما يحدث للشخص الذي يتحرر من العار:
"***لأَنَّكَ حِينَئِذٍ تَتَلَذَّذُ بِالْقَدِيرِ وَتَرْفَعُ إِلَى اللهِ وَجْهَكَ***" (أيوب ٢٢: ٢٦).
وأنت تستطيع أن تختبر هذا الشيء نفسه.

**الاعتراف بهذه المبادلة:**

كيف تُشفى من جُرح الإحساس بالخزي؟ بالإيمان. الأمر في غاية البساطة. أشكر الرب يسوع لأنه حمل عارك ليحررك منه، فتقديم الشُكر هو أبسط طريقة للتعبير عن الإيمان.

والآن للحظات بسيطة فقط، التفت إلى الله، وصل الكلمات التالية:

"أبي السماوي، إن كان في قلبي أو حياتي عار يمنعني من رفع وجهي إليك، فأريد أن أتحرر منه، فلا أعود أخجل بعد الآن. وأنا أؤمن أن الرب يسوع حمل عاري وخزيي لكي أشاركه في مجده".

دع حضور الله يستقر عليك ويحررك من عبودية الخزي. ثم ارفع وجهك إلى الله واشكره لأنه سمح بأن يكون لك نصيب في مجد المسيح.

في (١بطرس ١: ١٠-١١) يصف لنا الرسول بطرس نتيجة هذه المبادلة العظيمة، وهو يتحدّث عن أنبياء العهد القديم فيقول: "***الْخَلاَصَ الَّذِي فَتَّشَ وَبَحَثَ عَنْهُ أَنْبِيَاءُ، الَّذِينَ تَنَبَّأُوا عَنِ النِّعْمَةِ الَّتِي لأَجْلِكُمْ، بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا***".

**تمسك بهذه الحقيقة: تحمّل الرب يسوع خزيك لكي تشاركه في مجده. هذه عطيّة الله لك في هذه الحياة والحياة القادمة.**

# الفصل العاشر

# القبول بدل الرفض

تكلَّمنا في الفصل الماضي عن جروح المشاعر الناتجة عن الخزي، ورأينا كيف تحمّل الرب يسوع خزينا لكي نشاركه في مجده. وفي هذا الفصل سنتحدث عن الرفض.

ما هو نقيض الرفض؟ إنه القبول. والمُبادلة هي كالآتي:
**تحمل الرب يسوع رفضنا لكي نحظى بالقبول الذي له عند الآب.**

استطيع القول إنني شخصياً لم أعان من الرفض. في الحقيقة كنت أنظر إلى الأمور بطريقة مُختلفة، فدائما كان موقفي من الآخرين (وأنا لا أقوال إنه موقف صحيح) هكذا: "إن لم تكن تحبني، فهذه مشكلتك!" لكني تعلمت عن الرفض من خلال تعامُلي مع مشاكل الاخرين، وقد أذهلني ما اكتشفته. في البداية لم أكن أصدّق أن الناس يمكن أن يعانوا من أمر كهذا! ولكن أثناء خدمتي مع أناس يعانون من الرفض، تعلمت من الله عن الأمر، وأصبحت أتفهم وأشفق على هؤلاء الناس.

يمكن تعريف الرفض بأنه الإحساس بأنك شخص غير مرغوب فيه وغير محبوب. ونستطيع تمثيل الأمر بشخص يقف من بعيد وينظر إلى مجموعة من الناس معاً وهو لا يستطيع الانضمام إليهم.

أنا أتفق مع الأم تريزا في تشخيصها لمشكلة الإنسانية الأساسيّة حين قالت: "أسوأ مرض يمكن أن تعاني منه هو الشعور بأنك غير محبوب".

تعلن لنا (رسالة يوحنا الأولي ٤: ١٩) هذه الحقيقة العميقة:
"***نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً***"، فنحن لا نستطيع أن نحب الله حتى يأتي حبه أولاً ويوقظ المحبة في داخلنا، وهذا صحيح أيضاً في علاقاتنا البشرية. نحن عاجزون عن الحب حتى يأتي شخص ما ويوقظ بحبه الحب في داخلنا، فمن لم يعرف الحب من الآخرين لن يستطيع أن يقدّم الحب. عدد كبير ممن يعانون من الرفض، يرغبون في تقديم الحب لكنهم غير قادرين على ذلك لأن الحب لم يُوقَظ في داخلهم.

**أسباب الرفض**:
الرفض، كما أعتقد هو أكثر جروح المشاعر انتشاراً في ثقافاتنا المعاصرة، وهناك عدّة أسباب لهذا أحدها تفكك العلاقات الأسرية.

لكل طفل يولد في العالم احتياج بارز: وهو أن يَحِب وأن يُحَب. الطفل يحتاج لأن يُضَم، وهو يعرف بغريزته أنك تُسَر وتبتهج حين تضمه بين ذراعيك. الطفل لا يحتاج للحب النظري المجرَّد، ويجب أن يُعَبّر له عن الحب بطريقة فعّالة ..

بل أني أرى أيضاً، وهذا ما توصّل إليه علماء النفس حديثاً، أن محبّة الأب لطفله لا يمكن استبدالها بأيّة محبّة أخرى. ليس هذا تقليلاً من محبة الأم، فهي محبّة فريدة، لكن الطفل يجد الأمان بين ذراعي أبيه. كأن الطفل يقول في داخله.: "مهما حصل حولي، فأنا بأمان بين هاتين الذراعين القويتين اللتين تحملاني وتحبّاني". في مجتماعتنا المعاصرة، لا يختبر الأطفال هذا الحب والقبول من آبائهم، وذلك لأن كثير من العلاقات الأسرّيّة مفككة.

في بعض الأحيان يرجع تاريخ مشكلة الرفض لدى بعض الناس إلى ما قبل الولادة، فيكونوا بحاجة للتحرير من روح رفض أتى إليهم وهم في أرحام أمهاتهم. هذه أمَّ تكافح من أجل إطعام أبنائها الأربعة، وتكتشف أثناء معاناتها أنها حامل، فتستاء من هذا الحدث غير المرحّب به فهي تفتقر

للوقت والمال وكثير من الأشياء الضرورية لإعالة هذا الطفل الجديد. تفكر هذه المرأة أو تقول: "لو أني لم أحمل بهذاالطفل .. أتمنى لو أنه لا يولد!" هي ليست مضطرة لقول هذه الكلمات بصوتٍ مرتفع، فالجنين الذي هو شخص صغير داخلها في رحمها يشعر بأنه غير مرحّب به، وحين يُولد يأتي معه روح رفض.

قبل عدّة سنوات أثناء خدمة التحرير، ابتدأت ألاحظ أن كثيراً من الأميركيين المولودين عامي ١٩٢٩ أو ١٩٣٠ وبعدهما يحتاجون بشكل خاص إلى التحرير من الرفض. ولكوني بريطانياً لم أكن أعلم ما الذي حدث في أمريكا في ذلك الوقت. لكن حين كان الأمريكيون يسمعون "١٩٢٩" كانوا يقولون "آه ... الكساد العظيم"[٥] وهكذا بدأت استنتج ما كان يجري في قلوب الأطفال الذين كانوا على وشك الولادة أثناء تلك السنوات.

سبب أساسي آخر للرّفض هو انهيار الزواج. أغلبنا يعلم أن خمسين في المئة من حالات الزواج هذه الأيّام تنتهي بالطلاق وكلا الطرفين المنفصلين في العادة يعاني من هذا، بعض النساء يعتقدن أنهن الوحيدات في هذه المعاناة، هذا ليس صحيحاً، فشعور الرجال بالرفض ليس أقل عمقاً.

يخاطب الرب في (إشعياء ٥٤: ٦) بني إسرائيل، ولكن الكلمات تنطبق أيضاً علي كُل زوجة مرّفوضة، وكل شخص يعاني من الرفض:
***"لأَنَّهُ كَامْرَأَةٍ مَهْجُورَةٍ وَمَحْزُونَةِ الرُّوحِ دَعَاكِ الرَّبُّ، وَكَزَوْجَةِ الصِّبَا إِذَا رُذِلَتْ، قَالَ إِلهُكِ".***

من منا يستطيع أن يُحصي عدد الأشخاص الذين يعانون من الرفض بسبب انهيار العلاقات الزوجية؟ تخيّل امرأة ضحّت وقدّمت كل شيء لزوجها، وهي مصممة أن يكون زواجها ناجحاً، وبعد كل هذا يذهب الرجل مع امرأة أخرى! لا أعتقد أنّي استطيع تصوُّر صعوبة هذا الظرف، ولا

٥ عانت الولايات المتحدة من فترة ما يسمي بـــ "الكساد العظيم – Great Depression" في الأعوام ما بين ١٩٢٩ و ١٩٣٩. وكانت تلك من أعسر الأزمات الاقتصادية حيث وصل عدد العاطلين عن العمل إلى ١٥ مليون شخص، وأعلنت ثلث بنوك أمريكا إفلاسها.

استطيع أن أشعر بما تشعر به هذه السيّدة، ولا أن أضع نفسي مكانها. لكن الشيء الرائع أن الله يستطيع، وقد فعل!

من الأسباب الأخرى للرّفض المظهر الخارجي، فعلى السيّدات اليوم أن يصبحن نحيلات الجسم ليحظين بحب الناس لهن . وهذا شيء سخيف! فقد تشعر الفتاة بالرفض لأنها أكثر امتلاءاً ولو قليلاً من زميلاتها بالدراسة، أو لأنها أكثر هدوءاً، أو حتى بسبب خطأ بسيط في ملابسها، وقد يشعر الفتى بالرفض لمجرّد أنه أقصر أو أبطأ قليلاً من زملائه، أو لأنه لا يجيد الرياضة كالآخرين، فأبسط الأشياء يمكن أن تجعل شخصاً ما يشعر بالرفض.

يمكننا بسهولة التعرُّف على هذه المشكلة في الآخرين، أو ربما بعضنا يعاني منها. ولكن لنبحث عن الحل. مرّة أخرى يقدّم الرب يسوع العلاج، فعلى الصليب تحمّل الرب يسوع الرفض إلى أقصى حدوده.

**معاناة الرب يسوع علي الصليب:**

يقدّم لنا (إشعياء ٥٣: ٣) صورة نبوية عن صلب الرب يسوع، رُسمت قبل ٧٠٠ سنة من حادثة الصلب:

"***مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ، رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحَزَنِ، وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا، مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ***".

كان ذلك العبد المُتألم مرفوضاً من الناس. وكما يقول الرسول يوحنّا: "***إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ***" (يوحنا ١: ١١). رفضه إخوته وبنو أمه. نرى هذا في (مزمور ٦٩: ٨)، وهو المزمور المسياني الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق:

"***صِرْتُ أَجْنَبِيًّا عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيبًا عِنْدَ بَنِي أُمِّي***".

لاحظ أن المزمور يقول "بني أمّي" وليس "بني أبي". فكثير من النبوّات المسيانية تشير إلى العذراء أمُّ المسيح، ولا إشارة إلى وجود أبٍ أرضي، وذلك لأن ولادة المسيح فريدة.

إن كان أي منا يعاني من هذا الرفض، فعليه أن يدرك أن الرب يسوع نفسه قد اجتازه، فعائلته وشعبه رفضوه، ولم يقف بجانبه في النهاية سوى مجموعة صغيرة من ثلاث نساء. لم يكن ذلك كل شيء، فالرفض من الناس مُؤلم، لكن أن يُرفَض من الآب السماوي فهذا ذروة الرفض. ويقدّم لنا (متّى ٢٧: ٤٥-٤٧) وصفاً للحظات الرب يسوع الأخيرة على الصليب:

"***وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي، إِيلِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَيْ: إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا»***".

لم يفهم السامعون اللغة، فظنوا أن كلمة "إيلي" هي "إيليا". بينما هي "إلهي".

"***وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاً وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ***" (آية ٤٨).

مرّتين على الصليب، قُدّم للرب يسوع شيء ليشرب. يُسجل لنا الكتاب في (مرقس ١٥: ٢٣) أنهم أعطوا الرب يسوع خمراً ممزوجاً بمرّ ليشرب لكنه رفض، فالمر كان عقاراً مخدّراً، كان سيخفف من ألمه. لكن الرب يسوع وضع في قلبه أن يحتمل كل الآلام بلا تخفيف.

بعد ذلك وفي اللحظات الأخيرة، قدّموا للرب يسوع خلاً شديد المرارة. ربما كان المقصود منه أن لا يفقد وعيه. وبقبول الرب يسوع للخّل فقد شرب الرب يسوع رمزيّاً كأس الرفض المر حتى آخر قطرة. لا أحد من البشر جاز في هذا الرفض الكامل الذي عاناه الرب يسوع على الصليب.

"***وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ!». فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ***" (الآيات مت٢٧ :٤٩-٥٠).

لأول مرّة في تاريخ الكون، يصلّي ابن الله للآب فلا تأتيه إجابة، لماذا؟ لأن الرب يسوع حُسِب خطيّة بخطايانا، كما رأينا في الفصل الخامس، وكان على الله الآب أن يرفض قبوله. فمات ليس بسبب الصليب ولكن بسبب انكسار قلبه.

**كيف كانت حقيقة موت الرب يسوع:**

تذكّر أن العهد الجديد لا يخبرنا عمّا كان يجول داخل نفس يسوع وقت الصلب، لكن العهد القديم يفعل ذلك. لنعد إلى (مزمور ٦٩: ٢٠، ٢١).

"***الْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ. وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَمًا، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ***".

في الوضع الطبيعي لا يسبب الصلب هذا الموت السريع، وفي الحقيقة واضح من العهد الجديد أن الصلب لم يكن سبب موت الرب يسوع المُباشر.

"***... جَاءَ يُوسُفُ الَّذِي مِنَ الرَّامَةِ، مُشِيرٌ شَرِيفٌ، وَكَانَ هُوَ أَيْضًا مُنْتَظِرًا مَلَكُوتَ اللهِ، فَتَجَاسَرَ وَدَخَلَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَتَعَجَّبَ بِيلاَطُسُ أَنَّهُ مَاتَ كَذَا سَرِيعًا. فَدَعَا قَائِدَ الْمِئَةِ وَسَأَلَهُ:«هَلْ لَهُ زَمَانٌ قَدْ مَاتَ؟» وَلَمَّا عَرَفَ مِنْ قَائِدِ الْمِئَةِ، وَهَبَ الْجَسَدَ لِيُوسُفَ***". (مرقس ١٥: ٤٣-٤٥).

في الوضع الطبيعي، ما كان يحدث أن يموت الرب يسوع بهذه السرعة، فاللصان اللذان معه قتلهما الجنود. لذلك نستطيع أن نستنتج من (مزمور ٦٩) ومن تسجيل العهد الجديد أن الرب يسوع لم يمت بسبب الصلب، مع أن الصلب كان سيؤدي في النهاية إلى الموت، ولكنه مات بسبب انكسار قلبه ومن المهم أن ندرك هذا. فما الذي كسر قلب الرب يسوع؟ إنه الرفض من أبيه، ذلك الرفض المُطْلَق. لكن الرب يسوع تحمل هذا لنحظى نحن بالقبول.

نعود الآن إلى (متّى ٢٧: ٥٠-٥١):

"***فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ***".

يفصل حجاب الهيكل بين الله القدوس والإنسان الخاطئ، وقد انشق هذا الحجاب ليُعلن لنا القبول لدى الله. لقد انشق من فوق إلى أسفل حتى لا يعتقد أي إنسان أنه هو من فعل هذا الأمر. فهذا العمل أُنجِز من قبل الله. الآب هو من شقّ الحجاب، داعياً بهذا ومُرحّباً بكل شخص يؤمن بالرب يسوع وقائلاً: "ادخل، مرحباً بك فقد تحمّل ابني رفضي له لأمنحك القبول".

"***مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ***"... (أفسس ١: ٣-٤).

لاحظ أن الإختيار المُطلق هو لله وليس لنا، فلا تفترض يوماً أنك خَلُصت بسبب اختيارك! لقد خلصت لأن الله اختارك، وأنت تجاوبت مع اختياره. قد تغيّر أنت رأيك، لكن الله لا يفعل.
"***... لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ***"... (الآية ٤).

وبالفعل هذا أمر رائع ! فلولا أن الأساس هو اختيار الله، لما كنّا نستطيع أن نؤمن أن نكون قدّيسين وبلا لوم قدّامه في المحبة، فالاختيار اختيار الله، وليس اختيارنا.

في الطرق المعاصرة لعرض بشارة الإنجيل، هناك اهتمام وتركيز على الجانب الخطأ، فتُعرض بشارة الإنجيل كما لو أن كل شيء يعتمد على ما نفعله نحن. نعم علينا أن نختار، ولكن ما كان هذا الاختيار ممكناً لولا أن الله قد اختارنا أولاً. ستجد نفسك كمسيحيّ مؤمن أكثر شعوراً بالأمان والثقة حين تربط علاقتك بالله على أساس ما فعله هو وليس على ما تفعله أنت، فالله يمكن الاعتماد عليه أكثر مني ومنك.

"***إذ سبق فعيّننا في المحبة ليتخذنا أبناء له بالرب يسوع المسيح، وذلك موافق للقصد الذي سُرّت به مشيئته، بغرض مدح مجد نعمته التي بها أعطانا حُظوة لديه في المحبوب***" (أفسس ١: ٥-٦ ترجمة كتاب الحياة).

"أعطانا حظوة" المُستخدمة هنا هي ترجمة للكلمة اليونانية "Charitoo" والتي تعني "أنعم أو فضّل". وهي نفس الكلمة التي استخدمها الملاك جبرائيل حين كلّم العذراء مريم بالقول "***سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا***" (لوقا ١: ٢٨).

وأن ينعم عليك الله أفضل حتى من أن يقبلك، ويجب أن تفهم ذلك، فالله ليس لديه أبناء من الدرجة الثانية، وكل أولاده ليس فقط لديهم حظوة وقبول في الرب يسوع المسيح فحسب ولكنهم مُنعم عليهم. فمن خطط لكل هذا؟ بالطبع الله.

**قبول عمل المسيح:**

حدثت معي حادثة عرضية قبل عدّة سنوات جعلت هذه الحقيقة تشرق أمامي. كنت مدعوّاً لأعظ في أحد المخيمات الكبيرة. ومن خشيتي أن أتأخّر على موعد العظة، كنت أمشي بخطوات سريعة مُتجها نحو مكان الاجتماع. فاصطدمتُ بسيدة، أو بالأحرى هي اصطدمت بي. بينما كنّا نعدل مسارنا بعد التصادم قالت لي: "سيّد برنس، كنتُ أصلّي أن يسمح الله بأن ألتقيك، إن أرادني أن أتحدث معك بخصوص مشاكلي".

فقلت لها: "حسناً، لقد تقابلنا، لكني لا أستطيع أن أُعطيك أكثر من دقيقتين، وإلا سأتأخر عن وقت العظة".

في دقيقة واحدة عدّدت لي هذه السيّدة الكثير من الويلات والمشاكل في حياتها، فطلبت منها أن تتوقف عن الكلام وقلت لها: "لا استطيع أن أُعطيك المزيد من الوقت، ولكن رددي معي هذه الصلاة".

لم أخبرها عن ماذا كنت سأصلي، ولا شخصت لها حالتها، لكني ببساطه قدتها في صلاة كهذه:

"يا إلهي، أشكرك لأنّك في الحقيقة تحبني، ولأنني ابنتك وأنت أبي. أشكرك لأنني أنتمي لأفضل عائلة في كل الكون. أنا لست مرفوضة، ولا منبوذة، أنا مقبولة. أنت تحبني وأنا أحبك، أشكرك يا رب".

بعد هذه الصلاة، افترقنا وتوجهت إلى عظتي ونسيت ما حدث.

بعد نحو شهر، تلقيت رسالة من هذه السيّدة تتحدث عن تلك الحادثة وكيف تقابلنا (حتى تتأكد من أني سأعرف من هو مرسل الرسالة)، ثم قالت في رسالتها: "تلك الصلاة التي صلّيتها معك غيّرت حياتي بالكامل، وأنا الآن امرأة مختلفة".

ماذا جرى؟ لقد انتقلت من الرفض إلى القبول، ليس بسبب شيء عملته، ولا بالمحاولات المضنية أو بمحاولة تحسين نفسها أو عن طريق الصلوات الطويلة. لقد تحررت من الرفض بمجرّد قبولها ما عمله الرب يسوع لأجلها على الصليب.

**الاعتراف بهذه المبادلة:**

أسوأ شيء يمكن أن نفعله لمن يعاني من الرفض هو أن نطلب منه أن يحاول أكثر. لن يؤمن هذا الشخص أن ما فعله كافٍ على الإطلاق، بصرف النظر عن حجم المحاولات التي يقوم بها.

وأمّا الشيء الرائع فهو أن الله يحبنا. الله يحبك بشكل شخصي، ويحبني أنا أيضاً. قد يبدو هذا صعب التصديق، لكننا في المسيح أبناء الله، ونحن ننتمي إلى أفضل عائلة في الكون. لا يوجد أي شيء يمكن أن يخزينا. نحن لسنا من الدرجة الثانية لدى الله، ولا نحن منبوذون أو غير مرغوب فينا. نحن مقبولون.

وحتى تحصل على هذه المُبادلة المدهشة اعترف بها بفمك قائلاً:
"*تحمّل الرب يسوع رفضي لكي أحظى بالقبول عند الآب مثله*".

إن كنت حقاً تؤمن بهذا، فقل "**أشكرك يا أبي، ولأنك تحبني حقاً، ولأنك أعطيتني ابنك الوحيد. أنت أبي، والسماء هي بيتي، وأنا جزء من أفضل عائلة في الكون. وأنا في أمان لأن محبتك واهتمامك بي غير مشروطين، أشكرك يا رب**".

# الفصل الحادي عشر

## الإنسان الجديد بدل الإنسان العتيق

ما زلنا نتحدث عن ما عمله الصليب من أجلنا، وبالطبع هذه حقائق مُبهجة. لكن كثيراً من المؤمنين يقفون عند هذا الحد، فكل صلواتهم في طلب المزيد والمزيد! وتصبح مسيحيتهم ضحلة وغير مرضية، لأن مشيئة الله لحياتنا ليست ذلك فقط.

لذلك ننتقل الآن إلى جانب آخر من عمل الصليب، وهو ليس ما يستطيع الصليب أن يفعله لنا، ولكن ما يستطيع أن يفعله فينا. وسنرى كيف يتعامل الله مع ما يُسمّي الإنسان العتيق، وهذا هو المدخل للجزء التالي من الكتاب والذي يغطي ما يجب أن يفعله الصليب فينا.

في البداية يجب أن نوضح ما يعنيه الإنسان العتيق. تكلم العهد الجديد عن إنسانين: الإنسان العتيق والإنسان الجديد. لم يطلق الكتاب عليهما أية أسماء، ومع ذلك، فهما من أهم شخصيات العهد الجديد.

الإنسان العتيق، هو الطبيعة الخاطئة التي ورثناها بانحدارنا من آدم. بعض الناس يسمونها "آدم العتيق" وهذا جائز، فلم ينجب آدم أي أبناء إلا بعد أن تمرّد، ولهذا فكل نسل آدم وُلِدوا وفي داخلهم التمرد. ليس المهم كم أنت ذكي، أو إذا كنت شاباً أو شيخاً، فهناك تمرُّد في داخلك لأنك من نسل آدم. وتستطيع أن ترى هذا التمرد حتى في الأطفال الصغار. تبنيت تسع بنات، فصارت لدي خبرة في التعامل مع الفتيات. البنت الصغيرة في عُمر سنتين تكون في غاية اللطف والجمال والجاذبية، ولكنك إذا قلت لها: "تعالي إلى هنا!" فد تُدير وجهها وتركض في الاتجاه المُعاكس، فحتى في الطفولة يبرهن التمرد عن وجوده.

يسمّي الكتاب المقدّس هذا التمرد بالإنسان العتيق، وخطة الله هي استبدال هذا الإنسان العتيق بآخر جديد. ويمكن تلخيص هذه الخطة بقولنا:
"**مات إنساننا العتيق على الصليب، لكي يحيّا فينا الإنسان الجديد**".

أعلن يوحنّا المعمدان، الذي مهَّد الطريق لقدوم المسيح، ما يلي في (متّى ٣: ١٠) وهي الآية التي تقدم رسالة الإنجيل: "***وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ***". كلمة "أصل" التي تعني هنا جذر مترجمة من كلمة تعود إلى اللاتينية وهي "radi" ومنها الكلمة الإنجليزية "radical" التي تصف "التعامل مع الشيء من جذوره". فبشارة الإنجيل هي أكثر رسالة أتت للبشريّة لتتعامل مع الشيء من جذوره. ورغم أن كثيراً من الناس يعرضون صوراً سطحيّة للبشارة، لكن الله لا يقلّم الأغصان، ولا يكتفي بقطع السّاق بل يصل إلى الجذور.

**التعامل مع الجذور:**
حين قادني الله للخدمة في مجال التحرير كنت في البداية أتعامل في أغلب الأحيان مع الأغصان في قمة الشجرة، كأنواع الإدمان والخطايا الجسديّة الواضحة التي لا يحبها الناس المتدينون. لكني عرفت بعد ذلك أن أي نوع إدمان هو مجرّد فرع يخرج من غصن أكبر. إذا قمنا ببتر هذا الفرع، فنحن لا نحلّ جذر المشكلة. فالمشكلة الأساسية في كل أنواع الإدمان هي وجود مُفشّلات معينة، فعليك أن تكتشف هذا الشيء المحبط والمُفشّل الذي أدّى لوجود الإدمان.

حتى المُفشلات هي مُجرّد أغصان، وحتى تُعالَج مشكلة البشرية عليك أن تبحث تحت السطح حيث الجذور. هذا هو ما قاله يوحنّا المعمدان: "***وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ***". ولكن ما هو هذا الأصل؟

يعطينا إشعياء النبي الجواب:
**"كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا"** (إشعياء ٥٣: ٦).

هذا هو أصل المشكلة، تمرُّدنا على الله. هناك تمرّد يسكن في داخل كلٍّ منا، فقد يكون الشخص شيوعياً، أو مدمناً على الكحول، أو حتى مُتديّناً لطيفا، ولكنه يبقى في جميع الأحوال متمرّداً. ليس لدى الله سو علاج واحد للتمرد. لا يعالِج الله التمرد بإرسال الشخص لمدارس الأحد أو الكنيسة، ولا بتعليمه الوصايا العشر، أو بتحفيظه مقاطع من الكتاب المقدّس، ولكن الله يحكم على التمرد بالموت، فحُكم الموت هو الحل الذي يقدّمه الله.

لكن رسالة الرحمة هي أن حُكم الموت قد نُفِّذ بالفعل على الرب يسوع في الصليب وبحسب (رومية ٦: ٦-٧):
**"إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ"**.

لا يتحدث بولس الرسول هنا عن خطاياك الماضية، لكنه يتحدث عن التمرد الموجود الآن في داخلك. قد تذهب إلى الكنيسة وتصلّي فتُغفَر خطاياك، ولكن حين تخرج من الكنيسة وهذا التمرد حيّ فيك، تعود إلى الخطيّة، وحتى تتحرر من عبوديّة الخطيّة عليك أن تفعل أكثر من قبول الغفران عن خطايا الماضي، عليك التعامل مع هذا التمرد الداخلي.

يتضمن موت الرب يسوع على الصليب حقيقة مهمة وهي صلب إنساننا العتيق معه، هذه حقيقة تاريخية، وهي حقيقة حتى لو لم تكن تعرفها أو تؤمن بها. مشكلة الكثير من المؤمنين هي عدم معرفتهم بهذه الحقيقة، فحقيقة أن إنسانك العتيق قد صُلِب مع المسيح لا تكون فعّالة في حياتك حتى تعرفها وتؤمن بها. عندما تعرف وتؤمن بهذه الحقيقة يصبح هذا الصلب حقيقي في اختبارك.

كل من لم تُعالج في حياته مشكلة الإنسان العتيق هو عبد للخطيّة، وهذا ما تُوضحه (روميه ٦: ٦-٧) التي قرأناها للتو. الشخص الذي مات مع المسيح "***قَدْ تَبَرَّأَ*** (أو تحرّر) ***مِنَ الْخَطِيَّةِ***". عندما يستوفي العقاب النهائي حقه، لا يكون هناك أي جزاء آخر لتدفعه، فلا سلطان للقانون على الشخص بعد أن يموت.

"***فَإِنْ كُنَّا قَدْ مُتْنَا مَعَ الْمَسِيحِ، نُؤْمِنُ أَنَّنَا سَنَحْيَا أَيْضًا مَعَهُ. عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَمَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يَمُوتُ أَيْضًا. لاَ يَسُودُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بَعْدُ. لأَنَّ الْمَوْتَ الَّذِي مَاتَهُ قَدْ مَاتَهُ لِلْخَطِيَّةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَالْحَيَاةُ الَّتِي يَحْيَاهَا فَيَحْيَاهَا لِلّٰهِ***". (الآيات ٨-١٠).

تعرض هذا الآيات الحقيقة التاريخية، بينما الآية اللاحقة تعرض التطبيق:
"***كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلّٰهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا***". (الآية ١١).

والآن لديك الحقائق، ولكن عليك تطبيقها، فقد صُلب إنساننا العتيق، والله هو من فعل هذا. لهذا عليك أن تحسب نفسك قد مُت مع الرب يسوع بالإيمان، وأنت من عليه أن يفعل ذلك، وإن لم تفعل فستبقى مُستعبَداً من إنسانك العتيق.

تخيّل معي هذه النوعية السّيئة من الرّجال التي لا يحتملها من يذهبون للكنيسة باستمرار، رجل يلعن، ويشرب الويسكي، ويدخن السيجار، وهو قاسٍ مع زوجته ومع أولاده. تؤمن زوجته وأولاده بالمسيح. وفي مساء الأحد تخرج الزوجة والأولاد لحضور خدمة في إحدى الكنائس المحلية، بينما يمكث الرجل في البيت مُستلقياً على كرسيه، والسيجار في فمه، وزجاجة الويسكي على المنضدة بجانبه، وهو يتابع فيلماً هابطاً. وبينما هم خارجون يبدأ هذا الرّجل بسبهم وشتمهم.

تستمتع العائلة بأمسية رائعة في الكنيسة ويعودون إلى البيت فرحين مرنمين. يدخلون من الباب الأمامي للبيت متوقعين أن يبدأ بسبّهم وشتمهم، لكنه لا يفعل. الدخان يخرج من السيجار

الموضوع في مطفئة السجائر، لكن الرجل لا يدخن، الويسكي في الزجاجة، لكنه لا يشرب، بل حتى لا يشاهد فيلم الفيديو، أو ينظر إلى شاشة التلفزيون! لماذا؟ لقد أصابته نوبة قلبية أثناء خروجهم ومات. وهو الآن ميّت عن الويسكي، ميّت عن السيجار، ميّت عن السب والشتم، ميّت عن أفلام الفيديو. لم تعد الخطيّة جذابة بالنسبة له، وهو لا يُبدي أي رد فعل تجاه الخطيّة، فهو ميّت!

هذا ما رأيناه في (رومية ٦: ١١): "***كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ***"، هذا يعني أن الخطية لم تعد لها أي جاذبية عليك، وليس لديك أي رد فعل تجاهها وليس للخطيّة أي قوّة أو سلطان عليك. كيف يمكن أن يحدث هذا؟ بالإيمان بما عمله الرب يسوع على الصليب. لقد نُفّذ حُكْم الموت على إنساننا العتيق المُجْرم.

**علاج الله للفساد:**

في وقت عيد القيامة في لندن قبل عدّة سنوات، كنتُ أعقد اجتماعات في الهواء الطلق، وفي الشوارع، وكنتُ أعظ ثلاث مرّات في الأسبوع. حلمتُ في ذلك الوقت حلماً قويّاً، شاهدت فيه رجلاً يعظ في الشارع بنفس طريقتي وكان يُبلي بلاءاً حسناً. وجماهير من الناس مجتمعه حوله، ولكن الرّجل كان مُشوّهاً، وفيه شيء من الالتواء والخداع.

قلت لنفسي: من يكون هذا الرّجل؟

وبعد أسبوعين حلمتُ نفس الحلم تماماً.

ففكرت في نفسي لابد أن الله يحاول إخباري شيئاً ما، وعُدت للتساؤل من هو هذا الرجل. كان وعظه جيداً ولكن هناك شيء من الخداع والالتواء لديه. وبينما أنا أفكر بمن يكون ذلك الرجل، أجابني الله بنفس كلمات ناثان النبي لداود في (٢صموئيل ١٢: ٧): "***أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ***".

كان الله يكشف لي الإنسان العتيق الذي في داخلي، فرغم أني مؤمن مُخلص، وأعمل في حقل الخدمة، فقد كان الإنسان العتيق موجوداً. وعندما أدركت ذلك بدأت بدراسة المقاطع الكتابية

حول هذا الموضوع، واكتشفت أن علاج الطبيعة الملتوية الفاسدة هو الصلب.

ولأنه كان وقت عيد القيامة، فقد كان لدي في مُخيّلتي صورة الجلجثة وعليها ثلاثة صُلبان. كان الصليب الأوسط هو أطول الصلبان. بينما كنت أفكر وأتأمل بهذه الصورة الذهنية قال لي الروح القدّس: "قل لي لمن في الأصل كان الصليب الذي في الوسط؟ فكّر قبل أن تجيب".
فكّرت للحظة وأجبت: "كان لباراباس".
فقال لي الروح القدس: "هذا صحيح، وبرغم ذلك ففي اللحظة الأخيرة أخذ الرب يسوع مكان باراباس".
فقلت: "نعم، هذا ما فعله الرب يسوع".
فقال لي الروح القدُس: "أفلم يأخذ الرب يسوع مكانك أنت".
فقلت: "نعم، هذا صحيح".
فأجاب: "إذاً أنت هو باراباس"

عندها عرفت ما يريد أن يخبرني به الله. أنا هو المجرم الحقيقي الذي أُعِدّ الصليب لأجله، وهو مناسب لي، ومصنوع على مقاسي. لكن الرب يسوع أخذ مكاني. لقد صُلِب في الرب يسوع إنساني العتيق. هذا مذهل لكنه حقيقي.

تعطينا (أفسس ٤: ٢٢-٢٤) صورة عن الإنسان العتيق والإنسان الجديد، حيث يحث بولس الرسول قُراءُه على:
***"أَنْ تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَتَجَدَّدُوا بِرُوحِ ذِهْنِكُمْ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ".***

لاحظ هنا أن بولس الرسول يتحدث لأناس قد نالوا الخلاص، لكنه يطلب منهم أن يخلعوا الإنسان العتيق ويلبسوا الإنسان الجديد. هذا لا يحصل حين ننال الخلاص، بل نحتاج لأن نفعل هذا بعد أن نخلص.

فبولس الرسول يقول إن الإنسان العتيق في فساد مستمر بسبب شهوة الغرور الموجودة فيه. لكن الإنسان الجديد مخلوق "**بحسب الله للبر وقداسة الحق**". أو "**المخلوق على مثال الله في البر والقداسة بالحق**". (ترجمة كتاب الحياة). القداسة هي نتيجة الحق، وننال القداسة فقط حين تُصبح لدينا معرفة الحق عن أنفسنا، وعن الطبيعة القديمة التي فينا.

تعمل في كل إنسان قوّتان مُتعارضتان، الخداع والحق. الإنسان العتيق هو نتاج الخداع الشيطاني. فقد صدّق آدم وحوّاء كذب الشيطان حين قال لهما "***لَنْ تَمُوتَا ... وَتَكُونَانِ كَاللهِ***"، (تكوين ٣: ٤، ٥) فحين فتحا أنفسهما لخداع الشيطان، نتج فيهما الفساد. إذاً فالمفتاح لوصف الإنسان العتيق هي كلمة "الفساد".

وعلى النقيض من هذا، فالإنسان الجديد هو خليقة جديدة من الله. هو خليقة جديدة في المسيح، وهو نتاج للحق الذي في كلمة الله، الذي ينتج البر والقداسة. علاج الله للفساد هو صلب الإنسان العتيق الذي نتج من الخداع، وخلق إنسان جديد فينا ناتج عن الحق.

لاحظ الفرق بين كذب الشيطان وحق الله. حق الله من خلال هذا الإنسان الجديد ينتج فينا البر والقداسة، وفي المقابل فالإنسان العتيق الناتج من كذب الشيطان ينتج الفساد الأخلاقي؛ الجسدي والعاطفي.

أراني الله قبل سنوات أن الفساد شيء لا يزول. تستطيع إبطاء مفعوله لكن لا يمكن أن تُلغيه بأيّة طريقة طالما هو موجود.

خذ مثلاً قطعة فاكهة جميلة ولنقل ثمرة خوخ تبدو من الخارج بلا عيب، ولكن في داخلها يعمل الفساد، فإذا تركتها على منضدة المطبخ لمدة أسبوع فسيصبح لونها أصفر، ذابلة ومنظرها غير جذّاب. لماذا؟ لأن الفساد كان في داخلها. والحل العصري لهذه المشكلة هو أن تضع ثمرة الخوخ الناضج هذه في الثلاجة. لا تلغي الثلاجة الفساد لكنها تُبطئ مفعوله.

كثير من الكنائس اليوم تعمل كالثلاجات، فهي لا تغيّر الفساد، ولكنها تبطئ من مفعوله، وأمّا الطريقة الوحيدة لتغييّر الشخص هي بجعله خليقة جديدة.

لا يعدّل الله الإنسان العتيق أو يصلحه أو يحسّنه أو يثقفه، لكنه يميته ليستبدله بخليقة جديدة ناتجة عن الحق الإلهي القائل «**إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ**» (٢كورنثوس ٥: ١٧).

**طبيعة الخليقة الجديدة:**

في نهاية تحليلنا لهذه المُبادلة حول استبدال الإنسان العتيق فينا بإنسان جديد، سنتحدث باختصار عن طبيعة هذه الخليقة الجديدة. يكتب الرسول بطرس للمؤمنين المولودين ثانية فيقول:

"***مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ***" (١بطرس ١: ٢٣).

نوع البذور تحدد نوع الحياة التي تأتي منها، فأنت لا تحصل على تفاح إذا زرعت البرتقال، ونفس الشيء لا تحصل على برتقال إذا زرعت تفاح. وبنفس القانون فإن كنت مولوداً من زرع فاسد، فستكون حياتك فاسدة، لأنها خاضعة لعملية الفساد، وإذا كنتَ مولوداً ثانية من زرع غير فاسد، فستنعم بحياة غير فاسدة، لأن من المستحيل أنّ الزرع غير الفاسد ينتج حياة فاسدة. إن أفضل وصف للطبيعة الجديدة هي عدم الفساد.

ما هي البذور التي تخلق الإنسان الجديد؟ وما الذي يجعل هذه الخليقة الجديدة غير فاسدة؟ إنها بذور كلمة الله، التي تنتج حياة غير فاسدة.

اقرأ ما هو مكتوب في (يعقوب ١: ١٨): "***شَاءَ*** (الله) ***فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ***". لاحظ أن الإنسان الجديد ناتج من الحق، فالحق الموجود في كلمة الله يلد فينا طبيعة غير فاسدة.

ماذا يعني هذا من ناحية ميلنا للخطيّة؟ تقول (١يوحنا ٣: ٩): "***كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ***".

ولد ديريك برنس (مؤلف هذا الكتاب) الولادة الجديدة من الله قبل ٥٩ سنة من تاريخ كتابة هذا الكتاب، فهل يعني هذا أن ديريك برنس لم يخطئ أبداً منذ نال الخلاص؟ أستطيع أن أؤكد لك، أن هذا غير صحيح. لكن الآية تقول إن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ. من دراستي لهذه الآية خرجت بالنتيجة التالية، لا يتحدث يوحنا هنا عنا كأفراد، ولكن عن الإنسان الجديد الموجود في كل واحد منا، فلأن الإنسان الجديد مولود بعدم فساد، فهو لا يستطيع أن يخطئ.

أحب الآية المذكورة في (١يوحنا ٥: ٤): "***كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ***". لا يتكلم الرسول يوحنّا هنا عنا كأفراد، فهو لا يتحدث عن شخصيات محددة، بل يتحدث عن الإنسان الجديد الذي وُلِد فينا بكلمة الله. مرّة أخرى الزرع غير الفاسد ينتج طبيعة غير فاسدة. فهل هذا يعني أننا حين نولَد ثانية، لن نفعل الخطية؟ ليس هذا هو المقصود! فهذا يعتمد على أي من الطبيعتين نسمح بأن تسيطر علينا. الإنسان العتيق لا يستطيع أن يمتنع عن الخطية، والإنسان الجديد لا يستطيع أن يُخطئ، وما تفعله أنت يعتمد على من يسيطر عليك.

الشخص الذي لم يولد ثانية لا يستطيع أن يمنع نفسه عن الخطية، لأن طبيعته تجعله يُخطئ، لكن الشخص المولود ثانية لديه الخيار. إذا سمحنا للطبيعة الجديدة أن تسيطر علينا لا نخطئ، وأما إذا سمحنا للطبيعة العتيقة أن تسيطر فسنخطئ.

**الاعتراف بهذه المبادلة:**

في أي عمل تعمله، لا تحاول جعل إنسانك العتيق يتصرف بتديّن، فهذا لن ينجح. بدلاً من ذلك استخدم الحل الإلهي:

**"إنساني العتيق المتمرد الفاسد، صُلب في الرب يسوع حتى أتحرر من هذه الطبيعة الشريرة الفاسدة، ووُلِد فيَّ الإنسان الجديد من خلال كلمة الله، وسيكون له السلطان على حياتي".**

سنتحدث في الفصول الأربعة القادمة عما يعمله الصليب فينا، فكوننا نخطئ أو لا نخطئ، ننتصر أو ننهزم، يعتمد على مقدار ما نسمح للصليب بأن يعمله فينا.

# الجزء الثالث

# جوانب التحرير الخمس

# الفصل الثاني عشر

# التحرير من الدهر الحاضر

تجولنا في الفصول السابقة في رحلة. لنكتشف فيها ما الذي تحقق لنا من خلال صلب يسوع المسيح. نستطيع تلخيص ما اكتشفناه في تسع نقاط تشمل جوانب المُبادلة الإلهية على الصليب.

١. عُوقب الرب لكي يُغفر لي.
٢. جُرح الرب يسوع لكي أُشفى.
٣. جُعل الرب يسوع خطيّة بخطيتي لكي أتبرر أنا ببره.
٤. مات الرب يسوع موتي لكي أشاركه حياته.
٥. حُسب الرب يسوع لعنة لكي أنال البركة.
٦. تحمّل الرب يسوع فقري لكي أشاركه في فيض غناه.
٧. تحمّل الرب يسوع خزيي لكي أشاركه في مجده.
٨. تحمّل الرب يسوع رفضي لكي أحظى بالقبول عند الآب مثله.
٩. مات إنساني العتيق في الرب يسوع لكي يحيا الإنسان الجديد فيَّ.

والآن نستكمل استكشافنا في منطقة جديدة:وهي ما يقصد الله أن يعمله الصليب فينا، وهذا يختلف عمّا فعله الرب يسوع على الصليب لنا. لن ننعم أبداً بالفوائد الأبدية التي أُنجزت على الصليب لنا ما لم نسمح للصليب أن يعمل فينا ما يريده الله. أغلب المشاكل التي تواجه الكنيسة، سواء كمجموعة أو كأفراد، هي بسبب فشلنا في السماح للصليب بأن يعمل فينا.

لندرس مرّة أخرى مشكلة كنيسة غلاطية، وهي ظهور الشهوة بسبب تطبيق الناموسيّة. كان بولس غاضباً بسبب هذه المشكلة أكثر من غضبه على الخطايا الجسديّة التقليدية والظاهرة في كنيسة كورنثوس، فقد كان التعامل معها وحلّها أسهل على بولس من التعامل مع هذا الشكل الزائف من المسيحيّة في كنيسة غلاطية.

لم يقدّم بولس الرسول في رسالته للغلاطيين بحثا لاهوتياً، وإنما كتب رسالته ليعالج ظرفاً جادّاً وطارئاً لدى الغلاطيين. تحدثنا في الفصل السابع عن الأمور التي كان بولس يحذر منها.
"***أَيُّهَا الْغَلاَطِيُّونَ الأَغْبِيَاءُ، مَنْ رَقَاكُمْ حَتَّى لاَ تُذْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمُ الَّذِينَ أَمَامَ عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَصْلُوبًا***" (غلاطية ٣: ١).

كان أهل غلاطية المؤمنون المملوؤون من الروح القدُس قد سُحروا! فما الذي عمله السّحر بهم؟ لقد حجب رؤيتهم عن الرب يسوع المسيح المصلوب، مع أنّ الصليب هو الأساس الوحيد لننال بركات وهبات الله، وبدونه لن نتمكن أبداً من التمتع بها.

كان الشيطان أيضاً يعمي عيون الغلاطيّين المؤمنين عن حقيقة الهزيمة الكاملة التي لحقت به من خلال صلب يسوع. على الصليب، ألحق الرب يسوع بالشيطان ومملكته هزيمة أبدية كاملة لا تُمحى،والشيطان لا يستطيع أن يفعل شيء تجاه هذه الحقيقة المجيدة سوى محاولته أن يعمي عيون الكنيسة عنها، وهو يتوق بشدة لعمل هذا.

وما يبهجني حقيقةً أن بولس الرسول في رسالته للغلاطيين لا يقدّم فقط المشكلة، لكنه أيضاً يقدّم الحل لهذه الكنيسة التي فقدت رؤيتها للصليب.

تكشف رسالة غلاطية - كما أفهمها - خمسة مجالات متتالية للتحرير تحدث إذا سمحنا للصليب بأن يعمل فينا. مرّة أخرى أكرر بأني لا أتحدث هنا عمّا عمله الرب يسوع لأجلنا على الصليب. شكراً لله من أجل هذا العمل، لكن عمل الصليب لا يتوقف هنا، فهناك ما يريد الله أن يعمله فينا كمؤمنين من خلال الصليب، وذلك حتى يعالج مشاكلنا من جذورها. مجالات التحرير الخمس والتي أصبحت ممكنة من خلال الصليب هي:

١. التحرير من هذا الدّهر الحاضر الشرير.
٢. التحرير من الناموس.

٣. التحرير من الذّات.
٤. التحرير من الجسد.
٥. التحرير من العالم.

في هذا الفصل سنتحدث عن المجال الأول، بينما نتحدث عن باقي المجالات في الفصول اللاحقة من هذا الجزء.

**ما الذي نعرفه عن هذا الدهر الحاضر؟**

قدّمَت لي أخت عزيزة مرّة قميصاً أسود مكتوب عليه باللون الأبيض "كن مؤمناً جذريا!" (نفس الكلمة المستخدمة سابقا في تغيير الأمور من جذورها) وأنا أشجعك أن تتبنى هذا الموقف.

يظهر هذا النوع من التحرير بصورة جذرية (نفس الكلمة) في رسالة (غلاطية ١: ٣-٤):
"***نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِ خَطَايَانَا، لِيُنْقِذَنَا مِنَ الْعَالَمِ*** (الدهر) ***الْحَاضِرِ الشِّرِّيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللهِ وَأَبِينَا***".

هل تدرك أنّ قصد الله هو أن يحررنا من خلال الصليب من هذا الدهر الحاضر الشرير؟ تخلط ترجمات الكتاب المقدّس أحياناً بين الكلمتين "دهر" و"عالم" في أصلها اليوناني. من الكلمات التي تعني دهر "كوزموس cosmos". وهي مصطلح اجتماعي في العهد الجديد يصف مجموعة من الناس ينتمون لفئة معينة، وسنتحدث في الفصل الخامس عشر عن كيفية التحرر من هذا الـ "cosmos"، أي العالم الحاضر الذي نعيش فيه.

ولكن حين يتكلم بولس الرسول عن تحريرنا من هذا الدهر الشرير، فهو يستخدم كلمة يونانية أخرى تعني "دهر" أو "جيل" وهي "أيون aeon" والتي تعني فترة ممتدة من الزمن، غير محدّدة الطول. يُقاس الوقت في الكتاب المقدّس بالدهور والأجيال. كل دهر يتضمن عدداً من الأجيال. من

التعبيرات الجميلة في الكتاب المقدّس: "إلي أبد الأبدين". لكن الترجمة الأدق لهذه الكلمات هي "إلى دُهُور الدُهُور!" فالأبدية لا تتكون من دهر واحد، بل من دُهُور تتكون من دُهُور.

ولكي تدرك لماذا تحتاج أن تتحرر من هذا الدهر الحاضر أريد أن أشير عليك بهذه الحقائق:

**نحن لا ننتمي إلي هذا الدهر:**

نحن لا ننتمي إلى هذا الدهر فنحن شعب من دهر آخر. يكثر الحديث في هذه الأيّام عن حركة "الجيل (الدهر) الجديد" (New Age). لكن الحقيقة هي أن المؤمنين بالمسيح هم أبناء الجيل الجديد. نحن نعيش في هذا الدهر، ولكننا ننتمي إلى دهر سيظهر في المستقبل، فإن كنّا أنا وأنت نحيا وكأننا ننتمي إلى الأبد لهذا الدهر، نكون بذلك قد ضللنا عن قصد الله.

**هذا الدهر سينقضي:**

الدهر الحاضر ليس دائماً، وسينتهي. يوضّح الكتاب المقدّس ذلك في كثير من المواضع:

في (متّى ١٣: ٣٩) على سبيل المثال، يتحدث الرب يسوع عن الزوان المزروع بين الحنطة، فيقول: "العدو الذي زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم (الدهر – aeon)، والحصّادون هم الملائكة". وفي (الآية ٤٠) من نفس الأصحاح يقول الرب يسوع: "هكذا يكون في انقضاء العالم (الدهر – aeon) ومرّة أخرى في (الآية ٤٩) يقول: "هكذا يكون في انقضاء العالم (الدهر – aeon).

فقرات كثيرة في الكتاب المقدّس تخبرنا أن هذا الدهر سينقضي. لو علمتَ ما هو هذا الدهر بالحقيقة، فستقول: "شكراً يا رب لأنه سينقضي". فأنا لا استطيع التفكير بشيء أسوأ من أن يستمر هذا الدهر بكل بؤسه وأمراضه وظلامه وجهله وقسوته وحروبه! شكراً لله فهو لن يستمر إلى الأبد!

**لهذا الدهر إله شرير:**

يتحدث بولس الرسول في (٢كورنثوس ٤: ٣-٤) عن الناس الذين لا يستطيعون رؤية بشارة الإنجيل فيقول: "***إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُومًا، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ، الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى***

**أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ**". من هو إله هذا الدهر؟ إنه الشيطان. لماذا يُعتبَر هذا الدهر شريراً؟ ببساطة لأن له إلهاً شريراً.

يستطيع الله أن يعزل الشيطان، ونحن نعلم ذلك، ولكن ليست هذه خطته. سيبقى الشيطان إلهاً لهذا الدهر ما دام هذا الدهر مستمراً، فخطّة الله هي أن ينهي الدهر، وحين ينتهي الدهر فلن يكون الشيطان فيما بعد إلهاً. ولأن إبليس يعلم هذا جيداً، فهو يحاول بكل قوّته أن يحول دون انتهاء هذا الدهر!

هل تعلم أن من أسباب مقاومة إبليس للكنيسة أنها أداة الله لإنهاء هذا الدهر؟ وهذه واحدة من مسؤولياتنا الأساسية. لن ينتهي هذا الدهر حتى ننجز نحن ما يجب علينا إنجازه. ماذا ينبغي علينا أن نفعل؟ ها هي الأوامر الخاصة بالتقدُّم للأمام التي يعطيها المسيح لكنيسته: ينبغي أن "**يُكْرَزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي الْمُنْتَهَى**" (متّى ٢٤: ١٤).

السياسيون والقادة العسكريّون والعلماء الأكاديميون لا يهددون الشيطان، إنّما يهدده من يكرزون ببشارة الملكوت، والشيطان يُقاوِم الكرازة ببشارة الملكوت، لأنه بإتمام هذه المهمة، سينتهي هذا الدهر، ولن يكون الشيطان إلهاً فيما بعد. المؤمنون المسيحيّون الحقيقيون وفقاً لكلمة الله هم الذين يهددون الشيطان.

**التمسك بهذا الدهر يجعلنا غير مثمرين:**

يتكلم كاتب العبرانيين عن أناسٍ كانت لهم حياة واختبارات روحيّة، لكنهم اختاروا التراجع وأنكروا هذه الاختبارات، وأنكروا الرب يسوع المسيح. يذكر الكاتب خمسة اختبارات عاشها هؤلاء الناس: "**لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً**[١]، **وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ**[٢] **وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**[٣]، **وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ** [٤] **وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي** [٥]، **وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضًا لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمِ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ**" (عبرانيين ٦: ٤-٦).

كثير من الناس اليوم، وأنا واحد منهم، يتمتعون بهذه الاختبارات. وحيث أننا استنرنا وذقُنا الموهبة السماويّة وذقنا كلمة الله وصرنا شركاء الروح القدس، فقد ذقنا قوّات الدهر الآتي. أحد الأسباب التي يُعطي الله لأجلها هذه الاختبارات، هو أن يجعل مذاق قوات هذا الدهر الحاضر غير مُستساغ، ويريد لنا أن نتذوق شيئاً مُختلفاً ومرتفعاً تماماً حتى لا نعود نُفتتن بقوّات الدهر الحاضر. وبكل أسف لا نرى هذا يحدث في حياة كثير من المؤمنين.

يُفسّر الرب يسوع في (متّى ١٣) مثل الزارع، فيذكر أنواع التربة المُختلفة والزرع الذي نتج في كل منها، وخاصة المزروع بين الشوك:
" ***وَالْمَزْرُوعُ بَيْنَ الشَّوْكِ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، وَهَمُّ هذَا الْعَالَمِ*** (الدهر-aeon) ***وَغُرُورُ الْغِنَى يَخْنُقَانِ الْكَلِمَةَ فَيَصِيرُ بِلاَ ثَمَرٍ***" (الآية ٢٢).

ولأن كلمة "العالم" هنا في الأصل هي "aeon" وليس "cosmos" فمن الأفضل ترجمة "همُّ هذا العالم"... إلى "مخاوف هذا الدهر". يظن كثيرون أن الغنى سيجلب لهم السعادة، لكن غرور الغنى (أى خداعه) يصيبهم، ولا يرون السعادة أبداً. بعض من أتعس الناس هم أغنى الناس في هذا العالم، ومن خداع الغنى أيضاً أن تتخيل أن الغنى سيدوم إلى الأبد، ولكن في النهاية حين تغادر هذه الحياة، فستترك كل هذا الغنى خلفك.

إن كانت أمور الدهر الحاضر هو شغلك الشاغل، فستكون مؤمناً غير مثمر، ولن تعمل كلمة الله فيك. ربما تقول: "لماذا لا توجد نتائج؟ لماذا لا أحظى باستجابات للصلاة؟ لماذا أواجه الفشل في قيادة النفوس إلى الله؟" لربما أنت مشغول بهموم هذا الدهر، كالنجاح المالي، أو السلطة، أو التميّز العلمي، أو الحياة المُترَفة. الانشغال بمثل هذه الأمور سيجعلك غير مثمر.

هل تعيش كما لو أن هذا الدهر سيستمر إلى الأبد؟ هو لن يستمر، فهناك نهاية لكل البؤس والعار والإجرام والجوع حين يأتي الرب يسوع، ولن ينهي هذه المشاكل إلا مجيئه. مرّت على الكنيسة الفا

سنة وهي تحاول حل كل هذه المشاكل، لكنها لم تحقق إلا القليل. وفي الحقيقة هناك في وقتنا الحاضر المزيد من البؤس والحرب والمرض والفقر والجهل في هذا العالم أكثر من أي وقت مضى. لكن شكراً لله، فالرّب يسوع آتٍ عن قريب.

**المشاكلة أم التغيّر؟**

كعالم بالمنطق وفيلسوف سابق، أرى أنّ رسالة رومية هي أروع قطعة أدبية منطقية كُتبَت بقلم إنسان. لا يجب أن تشعر أبداً بأنك تفعل شيئاً غير عقلاني بإيمانك بالكتاب المقدّس فلا يوجد أي كتاب أو عمل آخر يستطيع أن ينافس الكتاب المقدّس في دقته ووضوحه.

يتفق أكثر المفسّرين على أنّ اصحاحات رومية ١٠-١١ هي قلب عقيدة الإنجيل. يتحدث بولس الرسول في قسم كبير من رسالة رومية عن أمور لاهوتية تختص بموت الرب يسوع الكفّاري، ويُنهي حديثه في بقية الرسالة عن النتيجة العملية لهذه العقيدة في الحياة. لا يوجد أي جزء في العهد الجديد يفصل العقيدة عن الحياة، ولهذا يصل بولس الرسول إلى نقطة التطبيق العملي للاهوت في (رومية ١٢: ١): "***فاطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله***" فما الذي يطلبه بولس الرسول بعد كل هذا التعليم الرائع؟ هل يطلب منا أن نصبح روحيّين أكثر فندرس المزيد ونلحق بحلقات دراسية؟ لا، أنه يقول: "***... أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ***" (رومية ١٢: ١-٢).

يا لواقعيّة وعملية الكتاب المقدّس فحين نكون روحيّين، يقول لنا الله: "أنا أريد أجسادكم على المذبح دون تحفُّظ، وحين تقدمون أجسادكم فساجدّد أذهانكم".

الله لا يُغيّرك من الخارج إلى الداخل، لكنه يُغيّرك من الداخل إلى الخارج. التديّن يُنظّفك من الخارج، ويلبسك ثياباً جديدة، ويقول لك لا تأكل هذا ولا تشرب ذاك، لكن الله يُغيّرك من

الداخل، فحين تفكر بطريقة مختلفة، فستحيا حياة مختلفة. الله ليس مُهتماً بالتغيُّر الخارجي الذي يخفق في الوصول إلى طبيعتنا الداخلية، بل إن أردت ذهناً مُجدّداً فعليك أن تقدّم جسدك. هذه هي القاعدة ليجدد لك الله ذهنك.

يؤكد بولس هنا، أن لا نسلُك كسائر الأمم من أهل الدّهر الحاضر، ولا نفكر أو نعمل بطرقِهم، بل تكون أولوياتنا مختلفة وننظر إلى الأمور الأبدية وليس إلى الأمور الوقتية.

لا يعني هذا أن تصبح شخصاً غير عملي. إن الذين يركّزون على ما هو أبدي، هم الأكثر عمليّة على الأرض، وهم الذين يحرزون النتائج.

في نهاية خدمة بولس الرسول، نرى هذا الشيخ يجلس في سجن بارد ومهجور حتى من بعض أصدقائه، في انتظار صدور حكم الإعدام الظالم. هل حقّق بولس النجاح بحسب مقاييس العالم؟ لا، ولا حتى بحسب مقاييس الكنيسة! أنا متأكد من أن بولس الرسول قد ذرف دموعاً كثيرة وهو يخبر تيموثاوس بأن ديماس مساعده الذي وثق به، وأمضى معه عدّة سنوات قد تركه "إذ أحب العالم (الدّهر – aeon) الحاضر" (٢تيموثاوس ٤: ١٠). لقد وثق بولس في ديماس، لكن ديماس تركه. لماذا؟ لأنه أحب هذا الدهر الحاضر.

لا تستطيع أن تحب هذا الدهر الحاضر وتكون أميناً للرب يسوع المسيح. شكراً لله فهو يقدّم لنا من خلال الصليب طريق التحرير من هذا الدهر الحاضر.

# الفصل الثالث عشر

# التحرر من الناموس والذات

ناقشنا في الفصل السابق التحرر من هذا الدّهر الحاضر الشرير، وسنتحدث في هذا الفصل عن اثنين من جوانب الأربعة الأخرى التي يذكرها بولس الرسول، ونقرأ عن هذين الجانبين في (غلاطية ٢: ١٩-٢٠).

***"لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لأَحْيَا للهِ. مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ، فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي".***

التحرر المذكور أولاً هنا هو التحرر من الناموس، يليه التحرر من الذات. وهذان الاثنان يسيران دائماً معاً

## التحرر من الناموس

لا يدرك كثير من المؤمنين احتياجنا للتحرر من الناموس. في الحقيقة فإن علاقة المسيحي بالناموس هي من أهم الموضوعات التي تهملها نظريات العهد الجديد اللاهوتية، وكثير من المؤمنين ممن يقولون إنهم يحيون تحت النعمة، ليسوا بالحقيقة كذلك، وإنما هم في منتصف المسافة بين النعمة والنّاموس، ولا يتمتعون بمزايا أي من الطرفين.

من الخطير قول هذا، لكن ما لاحظته أن كثير من الكنائس التي تضع ضمن اسم الكنيسة كلمة "النعمة" عادة تضم أناساً لا يعرفون إلا القليل عن النعمة، فرغم أنّنا لسنا تحت ناموس موسى، فنحن وفي حالات كثيرة نضع لأنفسنا نواميس دينية سخيفة. يقول بولس الرسول إن ناموس موسى كان مقدّساً، وصالحاً ومُعطى من الله (رومية ٧: ١٢) فاذا كان ناموس الله نفسه لا يستطيع

أن يجعلنا كاملين، فلن يقدر أي ناموس آخر على فعل هذا، ومن السذاجة أن نتوقع من نواميس أو شرائع أخرى أن تفعل هذا.

حين نقول "تحت الناموس" أو "خاضع للناموس" فنحن نعني بذلك محاولة تحقيق البر أمام الله من خلال حفظ وتطبيق مجموعة من القوانين،ونحن لا نعني بعدم الخضوع للناموس أن لا نخضع لأي قانون، ولكن ما نعنيه أن برّنا أمام الله لا يمكن تحقيقه بحفظ مجموعة قوانين.

لنفحص النوع الأوّل من التحرير، ولنعد لقول بولس: "***لأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ***" ... (غلاطية ٢: ١٩).

الشيء النهائي الذي يستطيع الناموس أن يفعله هو الحكم عليك بالموت، وبعد الموت لا يعود للناموس أي حكم أو سلطان عليك. الحقيقة المجيدة هنا أننا قد متنا مع المسيح وإنساننا العتيق قد صُلِب معه، ولذلك فنحن لا نخضع للناموس بعد، لقد انتقلنا من المنطقة التي يُدبّرها الناموس، ونحن الآن في منطقة جديدة.

ولهذا يقول بولس الرسول "لأني متُّ بالناموس للناموس لأحيا لله". وحتى أحيا لله يجب أن أتحرر من الناموس ولن أتمكن من أن أحيا لله حتى أموت عن الناموس. هذا التصريح المُذهِل هو بالضبط ما يقوله العهد الجديد، إقرأ (رومية ٦: ٦-٧) مرّة أخرى.
"***إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ. لأَنَّ الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ***".

فلا مفرّ من عبوديّة الخطيّة - كما سبق وذكرنا-إلا بالإفلات من تلك الطبيعة الآدمية القديمة الشهوانية. نستطيع ترجمة الآية السابقة - كما قلنا في الفصل الحادي عشر بصورة أكثر دقة كما يلي: "قد تبرّأ (أو تحرّر) من الخطيّة". وبكلمات أخرى، فحين أدفع العقاب بالموت، لا يعود للناموس أي مطلب عليّ. فهناك من بررني ودفع ديوني وحررني من نطاق حكم الناموس.

لننظر إلى (غلاطية ٣: ١٠-١٢) المكتوبة لأناس قد اختبروا النعمة، وخلُصوا، وتعمّدوا بالرّوح القدّس، وشهدوا المعجزات، ولكنهم رغم هذا قرَّروا أنّ عليهم أنْ يبدأوا في حفظ وتطبيق الناموس حتى يكونوا كاملين ويدعو بولس هؤلاء الناس في بداية الأصحاح الثالث من رسالة غلاطية "الأغبياء" ثم يقول في (الآية ١٠).

***"لأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لاَ يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ»"***.

عندما تلزم نفسك بحفظ الناموس كطريقة لتحقيق البر، فعليك أن تحفظ كل الناموس في كل وقت، وإذا كسرت أي وصية من وصاياه في أي وقت، فأنك تقع تحت لعنة، هذا ما يقوله الناموس نفسه في (تثنية ٢٧: ٢٦):

(ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها). ويتابع بولس في رسالته لأهل غلاطية ويقول:

***"وَلكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللهِ فَظَاهِرٌ، لأَنَّ «الْبَارَّ بِالإِيمَانِ يَحْيَا». وَلكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الإِيمَانِ، بَلِ «الإِنْسَانُ الَّذِي يَفْعَلُهَا سَيَحْيَا بِهَا»"***. (آية ١١، ١٢) فالبديل البسيط كما هو مُعلَن أيضاً في (حبقوق ٢: ٤) بسيط وواضح: ***"الْبَارُّ بِإِيمَانِهِ يَحْيَا"***.

لدينا خياران: نستطيع أن نحيا تحت الناموس، فإذا كسرناه نأتي تحت لعنة، أو نستطيع أن نحيا بالإيمان ولا نحيا تحت الناموس ومُتطلباته، وهذان الخياران هما بديلان قطعيان فلا يمكنك أن تنتقي الأشياء الحسنة من كليهما معاً، فإذا فعلت فلن تجني إلا الأسوأ في كليهما.

**هل تحيا بالناموس أم بالإيمان:**

هل أعتمد على حفظ الناموس حتى أكون باراً أمام الله، أو هل أنا ببساطة أعتمد على إيماني بحقيقة موت وقيامة الرب يسوع المسيح بدلاً عني؟

نرجع مرّة أخرى إلى رسالة رومية، ففيها نجد التعليم والعقيدة اللاهوتية لهذا الموضوع. بينما تُقدّم رسالة غلاطية تطبيق أناس لم يفهموا هذه العقيدة ولم يطبقوها بشكل صحيح "**فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ**" (رومية ٦: ١٤).

هذه بُشرى سارّة بالتأكيد، لكن المعنى المقابل المُتضمَّن في هذا النص مروّع! فإن كنت تحت الناموس، فستكون للخطية سيادة عليك، فالسبب في عدم سيادة الخطيّة عليك، هو أنك تحت النعمة ولست تحت الناموس. مرّة أخرى، هذان بديلان قطعيّان، فيمكنك أن تكون إمّا تحت الناموس أو تحت النعمة، ولكن لا يمكن أن تكون تحت كليهما في نفس الوقت.

ونرى هذان البديلان القطعيّان في (رومية ٧: ٦):
"**وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ**".

لاحظ في هذه الآية أن بولس الرسول لم يقل إننا تحررنا من الخطيّة أو من الشيطان، ولكن من الناموس. أين مُتنا؟ على الصليب. عندما مات الرب يسوع، فقد مات مكاننا، وإن لم نكن قد تحررنا من الناموس بالموت، فلا نستطيع أن نعبد بجدّة الروح.

ولتوضيح هذه النقطة، تصوّر أنّك تخطط للذهاب في رحلة إلى منطقة تجهل الطريق المؤدي إليها، ولديك خياران: يمكن أن تأخذ خريطة أو تستعين بمرشد شخصي. الخريطة كاملة، ودقيقة تماماً، ولكن المرشد يعرف الطريق جيّداً ولا يحتاج إلى الخريطة. فالخريطة هنا تمثّل الناموس، ولم يستطع أحد الوصول إلى منطقة البر باستخدام خريطة الناموس حتى الآن مع أن الملايين حاولوا، فالإحصائيات ضدك! ولكن من الجانب الآخر، الروح القدُس يقدّم نفسه كمرشد شخصي ليقودك إلى مقصدك.

فماذا تختار؟ هل تختار الخريطة، لتتعثّر وتسقط وينتهي بك المطاف في جرف مليء بجثث الملايين ممن حاولوا قبلك؟ أم ستطلب الروح القدُس ليقودك؟

يعرف الروح القدُس الطريق مُسبَقاً، وهو لا يحتاج للخريطة، فهو نفسه الذي رسم هذه الخريطة!

**قيادة الرّوح القدس:**

إن كنت تريد أن تنقاد بالروح القدس، فيجب أن تكون حسّاساً له، وأن تبني علاقة معه. فلنتأمل في العددين التاليين، العدد الأوّل:

"***لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ***" (رومية ٨: ١٤).

يأتي الفعل "ينقادون" في زمن المضارع المستمر، ولهذا يمكن ترجمة الآية بشكل أفضل هكذا "لأن كل الذين ينقادون باستمرار بروح الله، فأولئك هم أبناء الله".

لا تعني كلمة "أبناء" في هذه الآية "أطفال" بل هي ترجمة لكلمة يونانية معناها "أبناء ناضجون" فحين تولد ثانية بالروح القدس، تكون طفلاً روحياً، ولا توجد سوى طريقة واحدة لتنمو من الطفولة إلى النضوج، وهي أن تنقاد بالروح القدُس، فماذا يجب أن تفعل حتى تصبح ابناً ناضجاً لله؟ يجب أن تنقاد بالروح القدس. ومن عبارة "كل الذين" في أول الآية، نعلم أنه لا توجد طرق أخرى للنضوج.

الآية الثانية في (غلاطية ٥: ١٨):

"***وَلكِنْ إِذَا انْقَدْتُمْ (باستمرار) بِالرُّوحِ فَلَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ***".

هل أدركت مغزى الآية؟ لقد رأينا للتوّ أن الطريقة الوحيدة لنصبح ناضجين روحيّاً، هي أن ننقاد بالرّوح القدُس، وبهذا فحين تنقاد باستمرار بالروح القدس، فإنك تصبح ناضجاً روحياً، فلا تكون بعدُ تحت الناموس.

لا تستطيع أن تخلط بين الناموس والروح. عليك أن تأخذ قراراً حاسماً ولربما مخيفاً. ينبغي أن نقول لن اعتمد فيما بعد على مجموعة من القوانين لأصبح باراً ولكن ببساطة، سأثق في الروح القدُس ليقودني.

ولكن يأتي السؤال المُقلِق: إذا توقفت عن حفظ القوانين، فما الذي سيحدث؟ هل سأعمل الأشياء الخاطئة؟ أريد أن أؤكد مرّة أخرى أن الروح القدس لن يقودك لعمل أي شيء خاطىء. هل تستطيع أن تثق به؟ إن في هذا أمانك الوحيد.

**السماح للرب يسوع أن يتولى أمر العناية بك:**

قبل أن ننتقل للحديث عن النوع الثاني من التحرير، أريد أن أكرر أنه لا توجد إلا طريقتان لتحقيق البرّ: بالأعمال أو بالنعمة، الناموس أو الإيمان، حفظ القوانين، أو الانقياد بالروح القدس.

هل تعلم أن لدى اليهود المتشددين (٦١٣) وصيّة؟ وأغلب اليهود المتشددين يعترفون - وذلك بشكل سرّي وليس على الملأ - بأنهم لا يحفظون سوى (٣٢) وصيّة منها. لكن طريقة الله للبر ليست بالمعاناة والنضال، لكنها بالخضوع لمن؟ الخضوع للرب يسوع المسيح الساكن فيّ من خلال الروح القدُس، فالرب يسوع هو برّي وحكمتي وقداستي وفدائي.

أتذكر قصّة امرأة أُقدّرها جداً من أجل حياة القداسة التي تحياها. سألها أحدهم ذات يوم "أيتها الأخت، ماذا تفعلين حين تواجهين تجربة؟".

فأجابت: "حين يقرع الشيطان على الباب، أترك الأمر للرب يسوع ليجيبه".

فالنجاح لا يُحرَز - كما ترى - حين تواجه الشيطان بقوّتك الذاتية، ولكن حين تسمح للرب يسوع أن يتحرك ويتولى أمر الموقف. وليس بالنضال ولكن بالخضوع، وليس بالجهد ولكن حين تتحد بالرب يسوع. قال الرب يسوع: "أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ" (يوحنّا ١٥: ٥)، فهل تنتج

الكرمة العنب بحفظ القوانين؟ فحتى لو طبّقت جميع القوانين حتى تثمر بدون الاتحاد بالكرمة. فلا داعي حتى للنظر إلى ثمرك. ينتج غصن الكرمة العنب لأن حياة الكرمة تتدفق إلى الغصن.

يمثّل جذع الكرمة في هذه الصورة المُبسَّطة الرب يسوع، والغذاء أو العصارة التي تتدفق من الكرمة للأغصان هو الروح القدس.

إذا سمحنا لأنفسنا بان تُقطع عن الرب يسوع، نكون في مشكلة حقيقة، ولكن ما دمنا ثابتين فيه، فنحن بخير.

## الموت عن الذات

تتحدث (غلاطية ٢: ٢٠) عن النوع الثاني من التحرير "***مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ***". يمكننا التعبير عن هذا النوع من التحرير بأربع كلمات قصيرة "لا أنا بل المسيح". يجب أن نتحرر من ذواتنا.

لن تتوقف النّفْسُ عن الطلب: "أنظر إليَّ، ساعدني، صلّي من أجلي، إشفني، أحتاج للمساعدة الآن". حين يعاني الأشخاص المتمركزون حول ذواتهم من مشاكل يصبحون عبيداً لهذه المشاكل، وكلما ركزوا على نفوسهم وعلى مشاكلهم، كلما أصبحوا أكثر تمركزاً حول الذات وصاروا عبيداً لذواتهم. والبديل هو المسيح. "لا أنا بل المسيح" هذا قرار عليك أن تتخذه: "أنا أتنازل، وأسمح للرب يسوع بأن يأخذ مكاني ويتولي الأمر". يحاول كثير من الناس إتّباع الرب يسوع دون أن يتخذوا هذه الخطوة الأساسيّة.

هذه الخطوة مُعلَنة بوضوح في (متّى ١٦: ٢٤): قال الرب يسوع لتلاميذه:
"***إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي***".

لا تستطيع أن تتبع الرب يسوع المسيح دون أن تعمل هذين الأمرين: تنكر نفسك، وتحمل صليبك.

ماذا يعني أن تنكر نفسك؟ كلمة "تنكر" أن تقول "لا" وأن تنكر نفسك يعني أن تقول "لا" لنفسك. النفس تقول: "أنا أُريد" فترد أنت عليها: "لا"، النفس تقول: "أنا أشعر" فترد عليها: "ليس شعورك هو المهم، ولكن المهم هو ما يقوله الله". يجب أن تتغلب علي هذه النفس التي فيك.

الأمر الثاني أن تحمل صليبك. سمعت تعريفين للصليب، الأول يقول: الصليب هو المكان الذي تلتقي فيه إرادتك مع إرادة الله، والثاني: الصليب هو المكان الذي تموت فيه. لن يضع الله الصليب عليك، أنت من يجب أن تأخذ الصليب وتحمله تبعاً لإرادتك الحرّة.

قال الرب يسوع وهو في طريقه إلى الصلب: "**لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا** (حياتي) **مِنِّي، بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي**" (يوحنّا ١٠: ١٨).

وهذا أيضاً ينطبق عليك حين تتّبع الرب يسوع، فلا يستطيع أحد أن يأخذ حياتك منك. لا الواعظ يستطيع ذلك ولا الكنيسة، أنت فقط تقرّر أن تحمل صليبك وتموت عليه. حين مات المسيح، مُتّ أنت معه. "مع المسيح صلبت" هذا هو مصير الأنا لديك، وعندها فقط تستطيع أن تتبع المسيح.

**يسوع الوديع المتواضع:**

تصوّر لنا أحد الفقرات الرائعة من رسالة فيلبي ما تضمنته واقعياً هذه المُبادلة الإلهيّة:

"***فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ***" (فيلبي ٢: ٥-٨).

وصف بولس الرسول في الآيات السابقة وداعة النفس عند الرب يسوع من خلال سبع خطوات عملها يسوع انتهت بموته على الصليب:

**الخطوة ١**: "**أَخْلَى نَفْسَهُ**" والمعنى في اليوناني هو "إفراغ نفسه". كتب تشارلز وسلي عن الرب يسوع: "أخلى نَفْسَهُ من كل شيء سوى المحبّة".

**الخطوة ٢**: "**آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ**". كان بإمكانه أن يأخذ صورة ملاك فيكون بهذا عبداً، لكنه انحدر إلى ما هو أدنى من ذلك بكثير.

**الخطوة ٣**: "**صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ**". لقد أخذ الرب يسوع طبيعة البشر.

**الخطوة ٤**: "**وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ**"، ما أفهمه من هذه العبارة أن الرب يسوع حين كان يتجول في شوارع النّاصرة، لم يكن أي شيء يميز هيئته عن الرجال والنساء من حوله.

**الخطوة ٥**: "**وَضَعَ نَفْسَهُ**". لم يصر الرب يسوع إنساناً فحسب، لكنه صار إنساناً مُتواضعاً، فلم يكن كاهناً ولا حاكماً بل كان نجّاراً.

**الخطوة ٦**: "**أَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ**". لقد عاش الرب يسوع كإنسان، ومات أيضاً كإنسان.

**الخطوة ٧**: "**مَوْتَ الصَّلِيبِ**". لقد مات الرب يسوع بطريقة قاسية.

## الله يرفع الرب يسوع:

ويتابع بولس الرسول في تلك الفقرة، ليصف لنا كيف رفّع الله الرب يسوع سبعة أضعاف فيقول: "***لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، وَأَعْطَاهُ اسْمًا فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ***" (فيلبي ٢: ٩-١١).

لاحظ كلمة "لذلك" في بداية المقطع السّابق. لماذا رفّع الله الرب يسوع؟ لأنه وضع نَفْسَهُ، فقد قال الرب يسوع: "***مَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ***" (متّى ٢٣: ١٢).

هذا هو الطريق المضمون من أجل الارتفاع، والله نفسه يتحمّل مسؤوليّة النتائج، فكلما اتضعت أكثر، ترتفع أكثر في النهاية، فمهمتك هي النزول لأسفل ومهمّة الله هي أن يرفعك للأعلى.

وفيما يلي مراحل الارتفاع السبعة التي رفع بها الله الرب يسوع:

**المرحلة ١: "رفّعه الله".**

**المرحلة ٢: "أعطاه (الله) اسماً فوق كل اسم".**

**المرحلة ٣: تجثو باسم الرب يسوع كل ركبة".**

**المرحلة ٤: "كل شيء في السماء سيجثو".**

**المرحلة ٥: "كل شيء على الأرض سيجثو".**

**المرحلة ٦: "كل شيء تحت الأرض سيجثو".**

**المرحلة ٧: "يعترف كل لسان أن الرب يسوع المسيح هو ربٌّ لمجد الله الآب".**

لاحظ التوازن التّام في بناء هذه الفقرة. هل خطط بولس الرسول وهو جالس في زنزانته لإنشاء هذه الفقرة المُحكَمة المُتقَنة؟ لا بل الروح القدس أوحى إليه بها.

**الطريق للأعلى هو النزول:**

رغم أن المسيح "***لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلّهِ***"... (فيلبي ٢: ٦)[٦]، إلا أن هناك شخصاً آخر حسب المعادلة لله شيء يجب إدراكه. ارتفع لوسيفر[٧] للأعلى، لكنه انزلق وسقط، أمّا الرب يسوع فقد وضع نَفْسَه لأسفل فرُفِع لأعلى.

قال مرّة المبشر الأمريكي مودي: "كنت أعتقد عندما كنت واعظاً مبتدءاً، أن الله يحتفظ بمكافأته على رفوف، وأن أفضل المكافآت تكون على الرفوف العالية، وعليّ أن أرتفع لأصل إليها، لكنني اكتشف لاحقاً، أن أفضل المكافآت هي التي في الرّفوف السُفلى وأنه عليَّ الإنحناء لأصل إليها".

٦ "... لم يحسب مساواته لله خِلسة أو غنيمة يُتمسك بها"... (ترجمة كتاب الحياة).
"... لم يعتبر أن مساواته لله غنيمة يتمسك بها" ... (ترجمة الكتاب الشريف).
"... لم يعتبر مساواته لله امتيازاً يغتنمه لنفسه" ... (الترجمة العربية المبسطة).
"... ما اعتبر مساواته لله غنيمة له" ... (ترجمة العربية المشتركة).

٧ لوسيفر، من أسماء الشيطان.

الدّرس الذي نتعلمه هو الآتي: الطريق للأعلى هو النزول، الطريق للحياة هو الموت، فإن أردت أن ترتفع، فانزل إلى أسفل وأنت تقول: "لا أنا بل المسيح".
هذا قرار قد جعله الله ممكناً لك، ولكن هذا قرار شخصيّ يجب أن تتخذه بنفسك ..

كي نرى التطبيق العملي لهذا المفهوم، لنفتح كتبنا المقدّسة على (فيلبي ٢: ٣-٤) وهذ الآيات التي تسبق الفقرة العظيمة السابقة مباشرة، حيث يحث بولس الرسول المؤمنين فيقول: "***افتكروا لا بتحزُّب أو بُعُجب*** (افتخار الباطل) ***بل بتواضع، حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم. لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً***".

كما قلت في الفصل السابق، إن أغلب المشاكل التي تواجه الكنيسة، سواء كأفراد أو كجماعة، ناتجة عن إخفاقنا في السماح للصليب أن يعمل فينا. أنا أؤمن أن أغلب مشاكل الكنيسة وبالأخص في الخدمة - كالتحزّب والافتخار الباطل - ناتجة عن سبب واحد. صحيح أن التمرّد هو جِذْر للعديد من المشاكل الشخصيّة ولكن هناك "جذر الجذر" وهو الكبرياء، فالكبرياء هو الذي يَطلق بقيّة المشاكل.

إذا تتبّعت تاريخ الخطيّة في الكون، فستجد أنها قد بدأت ليس على الأرض وإنما في السماء. كانت أوّل خطيّة هي كبرياء لوسيفر، وهي التي قادته للتمرُّد، وكل من يتكبر، فسينتهي به الأمر إلى التمرد والعصيان. إنها النتيجة النهائية للتمركز حول الذات.

أقابل دائماً أناساً يهربون من مشاكلهم وبعضهم يرغبون في السفر حوْل العالم هرباً من مشاكلهم. لكن في الحقيقة، أينما ذهبتَ، فأنت تأخذ أكبر مشاكلك معك: إنها نَفْسُك! والحل الوحيد لهذه المشكلة هو الصلب، والمقطع الكتابي التالي يلخّص الأمر:

"... **أَرَادَ اللهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ** (يعرّف المؤمنين) **مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هذَا السِّرِّ فِي الأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ**" (كولوسي ١: ٢٧).

وهذا هو السرّ: "**المسيح فيك**". ومتى يصبح هذا الأمر حقيقة في حياتك، عندئذٍ تختبر التحرر من الذات، حين تقول: "**لا أنا بل المسيح**".

# الفصل الرابع عشر

## التحـرر من الجسـد

درسنا حتى الآن ثلاثة من جوانب التحرير الخمسة المُعلَنة في رسالة غلاطية، والتي يقدّمها الله لنا من خلال عمل الصليب فينا وهي:

**الجانب الأول**، مذكور في (غلاطية ١: ٤)، والذي يقول أن الله قد حررنا من الدهر الحاضر الشرير.

**الجانب الثاني** في (غلاطية ٢: ١٩)، ويقول أن الله حررنا من الناموس.

**الجانب الثالث** في (غلاطية ٢: ٢٠) عن إمكانية تحريرنا من الذات.

والآن ننتقل إلى **الجانب الرابع**، وهو موجود في (غلاطية ٥: ٢٤).

"***وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ***".

لنتأمل قليلاً في معنى صلْب الجسد. إنه يعني هنا تحريرنا ليس من الجسد المادي المحسوس، بل من الطريقة التي يعبّر بها الإنسان العتيق عن نفسه فينا ومن خلالنا. هذا هو معنى الجسد في هذه الآية، وقد تحدّثنا سابقاً عن الإنسان العتيق والطبيعة العاصية المتمردة التي ورثناها من آدم، فالجسد والإنسان العتيق مرتبطان بقوّة.

تُعطي الآية السابقة علامة مميزة لمن ينتمي للمسيح فهي تقول: "***الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا***"... ونفس هذا التعبير يستخدمه بولس الرسول في (١كورنثوس ١٥: ٢٣) في حديثه عن ترتيب قيامة الراقدين:

"***وَلكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ: الْمَسِيحُ بَاكُورَةً***، (وقد قام بالفعل) ***ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ***".

سيأتي المسيح كلص، بمعنى أنه سيأتي في وقت غير متوقَّع ولكن عند المنتهى، وسوف يأخذ المسيح الذين ينتمون إليه فقط.

بالعودة إلى (غلاطية ٥: ٢٤)، نكتشف نوعية الأشخاص الذين سيأخذهم الرب يسوع: "***وَلكِنَّ الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ***".

الانتماء للمسيح ليس مسألة طائفية: لن يأتي المسيح من أجل الإنجيليين أو الكاثوليك أو الأرثوذكس، ولكنه سيأتي لمن يطبقون شرطه هذا من كل الشعوب والقبائل، فيصلبون الجسد مع الأهواء والشهوات.

**أعمال الجسد الأربعة:**

يتحدث الرسول بولس في الأصحاح الخامس من رسالة غلاطية عن أعمال الجسد، والطريقة التي تُعبّر بها الطبيعة الجسدية عن نفسها في حياتنا، فيقول: "وأعمال الجسد ظاهرة". قد لا تكون هذه الأعمال ظاهرة دائماً لمن يمارسها، لكنها ظاهرة للآخرين من حوله.

**وهذه الأعمال هي:**

"***زِنىً، عَهَارَةٌ، نَجَاسَةٌ، دَعَارَةٌ، عِبَادَةُ الأَوْثَانِ، سِحْرٌ، عَدَاوَةٌ، خِصَامٌ، غَيْرَةٌ، سَخَطٌ، تَحَزُّبٌ، شِقَاقٌ، بِدْعَةٌ، حَسَدٌ، قَتْلٌ، سُكْرٌ، بَطَرٌ، وَأَمْثَالُ هذِهِ الَّتِي أَسْبِقُ فَأَقُولُ لَكُمْ عَنْهَا كَمَا سَبَقْتُ فَقُلْتُ أَيْضًا: إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ***". (غلاطية ٥: ١٩-٢١).

مهما بحثت فسوف لا تجد في هذه القائمة أي شيء صالح، فالجسد لا يَخرُج منه الصلاح مطلقاً، وهو حتى غير قادر على ذلك. الآية واضحة أنك لا تستطيع أن تحيا بحسب الجسد، وترث ملكوت الله، فملكوت الله وأعمال الجسد متضادان بشكل صارم.

تذكّر المفتاح الذي يصف الطبيعة القديمة وهي كلمة: "الفساد"، فأي شيء ينتجه الجسد هو فاسد، ولا يستطيع الجسد إنتاج أي شيء صالح.

**هناك أربع فئات لأعمال الجسد:**

**١. عدم النقاء الجنسي:**

يشمل عدم النقاء الجنسي العهارة والنجاسة والدّعارة، هذه الكلمات تُغطي جميع أنواع الفجور الجنسي كالجنس قبل الزّواج، إذا أردت تسميته بهذا الأسم اللطيف، والزنى الذي يعني كسر عهد الزواج، والشذوذ الجنسي، وكل أنواع الفساد والانحراف الأخلاقي.

قد تضم الطوائف والكنائس من تشاء، لكن هذا لن يغيّر ما يقوله الكتاب المقدّس، فالذين يفعلون مثل هذه الأمور غير مشمولين في ملكوت الله.

**٢. مسائل السّحر والتنجيم:**

الفئة الثانية من أعمال الجسد هي السّحر والتنجيم وتشمل عبادة الأوثان وأنواع الشعوذة المختلفة. رغم أن الشعوذة هي أعمال سحريّة شيطانية فهي خارجة من الجسد والهدف منها هو السيطرة والتلاعب، فعندما يدخل الجسد في هذه الأعمال تتدخل الأرواح الشريرة وتفرض سيطرتها.

بالعودة لقصّة آدم وحواء أنَّ ما قادهما للخطيّة هو الرغبة في المعرفة، وهي إحدى رغبات الجسد، وهي تجذب ملايين من الناس للسّحر والعشوذة، فهم يريدون الإطّلاع على أمور لم يسمح الله لهم أن يعرفوها. هذه الرغبة الجسدية في المعرفة تُحرّض الناس على الذهاب إلى العرَّافين، ونفس الشيء ينطبق على استشارة خرائط النجوم والأبراج.

يميل الناس أحياناً لتبرير ما يفعلونه بعدم المعرفة والجهل فيقولون "***لم نكن نعلم أن هناك خطأً فيما نفعل***"، إلا أن الجهل ليس عُذراً. يقول بولس الرسول في (١تيموثاوس ١: ١٣-١٥) عن نفسه أنه أول الخُطاة، وذلك بسبب أمور قد فعلها "بِجَهْل فِي عَدَمِ إِيمَانٍ".

كلمة سحر (شعوذة) في أصلها اليوناني ترتبط بشكل مباشر بكلمة أخرى معناها "مواد مخدّرة"، فإدمان المخدرات هو نوع من الشعوذة، والمنخرطون في هذا الأمر هم خارج ملكوت الله.

**٣. الانقسام:**

الفئة الثالثة وهي الأطول في قائمة بولس الرسول، هي فئة قليلاً ما نلتفت إليها وهي ترتكز حول الانقسام. يذكر بولس الرسول الأمور التالية: "عداوة، خصام، غيرة، سخط، تحزُّب، شقاق، بدعة، حسد وقتل". إن كل علاقة شخصيّة مكسورة، وكل انقسام في البيوت والعائلات، وكل أنواع الانقسام في جسد المسيح هي من نتاج الجسد.

**٤. الانغماس في الملذّات الشخصية:**

في الفئة الرابعة والأخيرة من القائمة، يذكر بولس الرسول "***السكّر والبَطَر وأمثال هذه*** ..." تُشير هذه الفئة – كما أفهمه – إلى الانغماس المفرط في شهوات الجسد ورغباته، وخصوصاً فيما يتعلق بالطعام والشراب، وبولس الرسول في (١كورنثوس ٩: ٢٧) يصف لنا نوع النظام الذي يفرضه على نفسه في هذا المجال:

"***بَلْ أَقْمَعُ جَسَدِي وَأَسْتَعْبِدُهُ، حَتَّى بَعْدَ مَا كَرَزْتُ لِلآخَرِينَ لاَ أَصِيرُ أَنَا نَفْسِي مَرْفُوضًا***".

إذا أردنا إتّباع مثال بولس، فعلينا طلب الروح القدس، الذي يصفه بولس بـــ "***رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ*** (التحكّم في النفس)" (٢تيموثاوس ١: ٧)، فإذا واصلنا حياة عدم الانضباط والانغماس في ملذاتنا الشخصية، فلن يفرض علينا الروح القدس حياة انضباط تخالف نهج الحياة الذي نختاره.

**العـدو في الداخل:**

يقول بعض علماء اللاهوت إن بولس الرسول كان يدعو مؤمني كنيسة كورنثوس في (١كورنثوس ٣: ٣) بالجسدانيين، لأنهم كانوا يتكلّمون كثيراً بألسنة، ولكن في الحقيقة لم يكن التكلم بألسنة مشكلة

أهل كورنثوس، بل كانت المشكلة في مواقفهم وعلاقاتهم التي أظهرت السلوك بالجسد. فما هي علامات السلوك بالجسد؟

"... **فَإِنَّهُ إِذْ فِيكُمْ حَسَدٌ وَخِصَامٌ وَانْشِقَاقٌ، أَلَسْتُمْ جَسَدِيِّينَ وَتَسْلُكُونَ بِحَسَبِ الْبَشَرِ**".

ليست النظريات اللاهوتية هي ما يقسم الكنيسة، ولكن الناس هم من يستخدمونها بطريقة جسديّة، فالسلوك بالجسد وليست النظريات اللاهوتية هو جذر المشكلة. ففي السلوك بالجسد انقسام واتّباع لقادة من البشر. يقول واحد: "أنا أتبع لوثر!" ويقول آخر: "أنا أتبع كالفن" فيأتي آخر ويقول: "أنا أتبع وسلي" يمكنك أن تتلقّى وتقبل تعليم هؤلاء الرجال، وتشكر الله من أجل ما عملوه، ولكن أن تصبح تابعاً لقائد أو لآخر، فهذا علامة على السلوك بالجسد.

يوجد لهذا النوع من السلوك بالجسد وكذلك جميع الأنواع الأخرى حلٌّ واحدٌ وهو الصليب، فحيث لا يرغب الناس في الخضوع للصليب في حياتهم، يكون هناك الانقسام والنزاع والحسد والغيرة والكبرياء.

ولكن سأقول لك شيئاً، وآمل أن يساعدك خشيةً أن يتكون في داخلك انطباع سلبي فتقول: "أنا لست على هذا المستوى، أنا لم أصل إلى هذه الحالة التي تصفها". إهدأ قليلاً! فالله لا يتوقع منك أن تكون قد وصلت، ولكنه يريدك أن تكون على الطريق. نحن نحتاج أن ندرك أن في داخل كل واحد منا عدوٍّ لله، وأن أغلب معاناتنا وصعوباتنا كمؤمنين هي بسبب هذا العدو الذي في داخلنا.

لو عشت أثناء فترة الحرب العالمية الثانية، لكان مصطلح "الطابور الخامس" مألوفاً لديك. جاء هذا المصطلح أساساً من الحرب الأهلية الأسبانية في الثلاثينات من القرن العشرين حين قاتل الأسبان بعضهم بعضاً داخل أسبانيا. جرت هذه الأحداث في عام ١٩٣٦، حيث كان أحد القادة الأسبان يحاصر مدينة مدريد، فسأله قائد آخر: "ما هي خطتك للاستيلاء على المدينة؟" فأجاب: "لديّ أربعة طوابير ستهاجم المدينة، واحد من الشمال، واحد من الجنوب، واحد من الشرق، وواحد من

الغرب" ثم أضاف هذا القائد بعد أن توقّف للحظات وقال: "ولكن طابوري الخامس هو الذي أتوقّع منه إسقاط المدينة". فسأله صديقه القائد: "وأين هو طابورك الخامس هذا؟" فأجاب: "في داخل المدينة!". هذه هي مشكلتنا، فالكنيسة لم تُغلب أبداً من الخارج، لم تُغلب الكنيسة قط إلا من الطابور الخامس، وهو العدو الداخلي.

**حاسبين أنفسنا أمواتاً:**

كلنا لدينا نفس العدو في داخلنا، وهو الجسد، ولهذا فلا تشعر بأنك مذنب إن كنت تصارع في داخلك، فصراعك هذا قد يعني أنك أكثر حياة من المؤمنين الذين لا يعانون، فالعدو في حالتهم لا يجد أى مقاومة في داخلهم. أقرأ ما يقوله بولس الرسول في (رومية ٧: ١٨).

***"فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ، أَيْ فِي جَسَدِي، شَيْءٌ صَالِحٌ. لأَنَّ الإِرَادَةَ حَاضِرَةٌ عِنْدِي، وَأَمَّا أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى فَلَسْتُ أَجِدُ".***

أرى أحياناً أن الفرق بين أغلبنا وبين بولس الرسول، أنه كان يعرف ما لا نعرفه نحن، فبولس الرسول يقول: "أعلم أن لا شيء صالح في طبيعتي الجسدية"، ولهذا فأنا لا استطيع إخراج أي شيء صالح منها، ورغم رغبتي الشديدة لعمل ما هو صالح، فأنا أواجه صراع مستمر مع شيء في داخلي لا يريد أن يفعل الصلاح".

إن الصراع في حد ذاته هو علامة جيدة، فهو يدل أنك حي، فبولس الرسول حين كتب (رومية ٧) لم يكن مسيحياً غير ناضج! فقد كان على عتبة (رومية ٨) حين كتب هذه الكلمات، ولكنك لا تستطيع الوصول إلى (رومية ٨) حتى تتعلم كيفية التعامل مع جسدك.

والآن ننتقل إلى (رومية ٨: ٦-٨):

***"لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ، إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعًا لِنَامُوسِ اللهِ، لأَنَّهُ أَيْضًا لاَ يَسْتَطِيعُ. فَالَّذِينَ هُمْ فِي الْجَسَدِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُرْضُوا اللهَ".***

حين تترك طبيعتك الجسدية توجّه تفكيرك، فهذا هو الموت، ولكن حين تسمح للروح القدس أن يوجّه طريقة تفكيرك، فهذا ينتج الحياة والسلام.

لا يمكن ولا بأي طريقة أن توجّه طبيعتك الجسدية لطاعة الله، فلن تطيع هذه الطبيعة الله أبداً. عليك أن تقبل هذه الحقيقة، فتكف عن محاولة إخضاعها لله. لا تحاول أن تجعلها متديّنة، ولا تحاول أن تأخذها للكنيسة وتُجلسها لساعات في الاجتماعات، أو تمارس بعض الممارسات الدينية الكثيرة حتى تجعلها تخضع لله، فلن تطيع هذه الطبيعة الله، لأنها هي لا تستطيع أن تفعل هذا، فهي فاسدة بصورة ميؤوس منها، لأنها متمردة حتى الجذور.

فما هو العلاج؟ إن علاج الله هو الحُكْم عليها بالموت، وبشارة الإنجيل هي أن هذا الحكم قد نُفّذ قبل أكثر من تسعة عشر قرناً مضت، فحين مات الرب يسوع على الصليب، مات معه إنساننا العتيق، تلك الطبيعة الجسدية الفاسدة، وما علينا فعله ببساطة هو أن نقبل ونطبّق ما سبق فحققه الرب يسوع لنا على الصليب.
"***عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ***" (رومية ٦:٦).

هذه حقيقة تاريخية صحيحة سواء عرفناها أم لا، وسواء آمنا بها أم لا، ولكن حين نعرفها ونؤمن بها فهي تعمل فينا. مرّة أخرى سأشير إلى مشكلة موجودة في كثير من الكنائس المعاصرة، وهي أن المؤمنين في هذه الكنائس لا يعلمون أنهم قد صُلبوا مع المسيح.

في الحقيقة إن القول بأن إنساننا العتيق قد أُبطِل وجوده، فهذا نوع من التضليل، فما دمنا في هذه الحياة، لن نصل إلى زوال طبيعتنا الجسدية. قابلتُ أشخاصاً يؤمنون بأنهم قد تحرروا بالكامل من الجسد، لكني لم أرَ الدليل على ذلك. ما فعله أولئك هو أنهم غيّروا المصطلحات التي يستخدمونها، فبدلاً من قولهم أنهم يفقدون أعصابهم ،وضعوا تبريراً لكل ما يجعلهم يغضبون ويسخطون.

يمكنك أن تجعل جسدك غير فعّال أو عاجز عن عمل ما يرغب به، ولكن في هذا الدّهر، لا يمكنك إلغاء وجوده كليةً، وهذا سبب آخر يدعونا للتطلع إلى الدهر الآتي.

**ثلاث كلمات بسيطة:**

يقول بولس الرسول في (رومية ٦: ١١):

"***... احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ***"

لاحظ تتابع الآيتين (٦ و١١)، فالآية (٦) التي قرأناها سابقاً تخبرنا بأننا قد متنا عن الخطيّة، لتكمل الآية (١١) وتدعونا لنحسب ونعتبر أنفسنا أمواتاً عن الخطيّة، أي أن نطبّق الآية (٦) على حياتنا، ونحن نفعل هذا حين نقر بأن طبيعتنا الجسدية قد صُلبت.

قد تساعدك الكلمات الثلاث البسيطة التالية لكي تحسب نفسك ميتّاً عن الخطيّة: الحقيقة، الإيمان، والشعور. لاحظ الترتيب، فأنت لا تبدأ بالمشاعر بل بالحقائق، وهي الحق الموجود في الكتاب المقدّس. فالكتاب المقدّس، يحتوي على الحقائق، ثم يُبنى إيمانك بناءاً على هذه الحقائق، ثم تأتي بعد ذلك مشاعرك لتسير على نفس خط إيمانك، لا تسمح أبداً لمشاعرك أن تُملي عليك ما تفعل.

ما أعرضه في هذه الفصول هو حقائق، وربما تظهر لك بأنها موضوعية إلى حد قليل أو بعيدة عنك، ولكن يجب أن تبدأ بعرض الشيء الموضوعي الهادف. لو بدأنا بمشاعرنا، فسنكون غير ثابتين وبدون مرساة تحت رحمة الرياح والتيّار. لهذا نبدأ بالحقائق الكتابية، ونؤسس إيماننا على هذه الحقائق، ونسمح لمشاعرنا بأن تسير على نفس هذا الخط.

أحياناً حين نشعر كما لو أننا أكثر الفاشلين بؤساً، نكون في حقيقة الأمر أكثر إبهاجاً لله منه حين نشعر بضخامة وروعة إنجازاتنا، فالله قريب من منكسري القلوب، والكتاب المقدّس يقول: "***ذَبَائِحُ اللهِ هِيَ رُوحٌ مُنْكَسِرَةٌ***" (مزمور ٥١: ١٧)، فواحدة من الأمور التي تُبقي الله بعيداً عنّا الثقة بالنفس.

لقد واجهت في السّابق مشاكل وكنت أرى في نفسي القدرة على مواجهتها، ولكن لاحقاً تمنيت لو أني لم أفكر بهذه الطريقة، فقبل عدّة سنوات سافرت أنا وزوجتي الأولى ليديا من كندا إلى الولايات المتحدة، وكانت هذه هي رحلتنا الأولى إلى أمريكا، وكنت قد سمعت أموراً عن تلك البلاد أثارت قلقي وتوتري، ففيها طرق لا يمكنك أن تقود سيارتك فيها بسرعة تقل عن ٦٥ كيلو متراً في الساعة، وهذا الشيء أخافني حقا. لهذا فقد خططنا للسفر من أوشاوا (Oshawa) بإتجاه ليما (Lima) جنوباً في نيويورك، لنتحاشى كل الطرق السريعة.

وبعد رحلة آمنة إلى نيويورك، بدأنا نجهّز للعودة إلى كندا حين قالت ليديا لي: "أعتقد أنه يجب أن نصلّي" فأجبت: "لا حاجة بنا للصلاة".

قدنا سيارتنا في شوارع نيويورك وخرجنا من المدينة بكل ثقة، ولكن ولأن علامات الإرشاد في الطرق الرئيسية للولايات المتحدة تختلف عنها في كندا، فقد تجاوزنا طريق الخروج الصحيح، وكان طريق الخروج التالي يبعد عن الذي يسبقه ٩٠ كيلو متراً، فكان علينا أن نقود سيارتنا نحو ١٨٠ كيلو متراً بعيداً عن الطريق الصحيح، وحين رجعنا للمخرج الصحيح، تعطلت السيّارة!
لن أخبرك بقية القصّة، ولكني بعدها لم أقل أبداً "لا حاجة بنا للصلاة".

## كيف إذاً نصلب الجسد؟

بينما ندرس ونطلب التحرير من الجسد، نجد في (١بطرس ٤: ١-٢) كلمات تحذيرية هامة:
***"فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ، لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانَ الْبَاقِيَ فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ".***

يُحذرنا بطرس الرسول من أن التحرر من الجسد لن يأتي بدون معاناة. لهذا يجب أن نُسلّح أنفسنا بهذا التوقُّع، ونكون مستعدين لنقبل أي شيء حتى نتحرر من سيطرة طبيعتنا الجسديّة، وهذا التسلّح الذهني أساسي من أجل الانتصار. إلا أن كثير من المؤمنين يواجهون التجارب بدون

هذا التسلّح، فهم ليسوا مستعدّين عقلياً للضغط والنزاعات التي تواجههم،ولهذا فهم يسمحون لطبيعتهم الجسدية بأن تغلبهم.

أمضيتُ أوقاتاً صعبة لسنوات عديدة في محاولة فهم هذه الآية التي يقولها بطرس: "فإن من تألم في الجسد كُفَّ عن الخطيّة" كنت أقول لنفسي: "لقد أخذ الرب يسوع حين مات على الصليب كل الألم، وأنا لا أستطيع أن أضيف أى شيء لما عمله هو".

ولكن بعد ذلك، عرفت أن الآلام تكمُن في صلب أجسادنا. تذكّر ما قلناه في بداية هذا الفصل: "***الَّذِينَ هُمْ لِلْمَسِيحِ قَدْ صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ***" (غلاطية ٥: ٢٤)، ولن يكون صلب الجسد لأيٍ منّا خالياً من الألم، فهو يعني بطريقة ما، أن ندق المسامير في أيادينا وأرجلنا، ونضع أنفسنا على الصليب.

وهذا مثال لصلب الجسد. لنقل إن شابة في بداية العشرينات، وهي مؤمنة ملتزمة، تواقة لخدمة الرب. تُقابل الفتاة رجلاً يدّعي أنه مؤمن، وأنه يذهب إلى الكنيسة، لكنه يقول هذا فقط ليبقى معها. بعدها يقول الرجل لتلك الفتاة التي أصبحت مُرتبطة به عاطفياً إنه يريد الزواج منها، والآن هي لا تعرف ماذا تفعل.

لكن راعي الكنيسة التقى هذه الفتاة التي يعرفها جيداً، ويعرف ذلك الرجل أيضاً، فحذّرها الراعي وقال عن الرجل: "إنه ليس بمؤمنٍ حقيقي، هو فقط يمثل هذا الدور لأنه يريدك، أرجوك لا تتزوجي به".

لدى هذه الفتاة خياران، بإمكانها أن ترضي جسدها أو تصلبه. جسدها يقول: "أنا أحبه". وهي تُجيب: "لكني أحب الرب يسوع أكثر". وبهذا تدق المسمار الأول في يدها اليمني.

مرّة أخرى يأتي صوت الجسد ليقول: "لكني أريد بيتاً وأطفالاً"، فتأتي بالمسمار الثاني لتدقه في يدها اليُسرى.
فيأتي نفس الصوت ليقول: "لكني أخشى أن أبقى وحيدة بقية حياتي"، فتأتي بالمسمار الأخير وتدقه في رجليها.

هل فهمت الآن؟ فالأيدي والأرجل يجب أن تُثقب بالمسامير، وهذا مؤلم، لكن هذا الألم لن يستمر. فبعد هذا تصبح هذه المرأة سعيدة وحُرّة، وستقابل في طريقها الرجل المناسب.

لكن لنفترض أن هذه المرأة رفضت صلب الجسد، فتزوجت من هذا الرجل. بعد فترة أدركت أنه لم يكن يحب الرب، وأنه لا يريد أن يكون إنساناً روحياً، ولا يوافقها على طموحاتها الروحية. ثم بعد خمسة عشر عاماً من النزاع، يهجرها تاركاً معها ثلاثة أطفال.

أيهما أكثر إيلاماً، أن تتعامل مع جسدها من البداية، أم أن تقضي خمسة عشر عاماً وهي متزوجة من الرجل الخطأ، ليتركها بعد ذلك وحيدة مع الأطفال؟ نعم كلا الأمرين مؤلم، والسبب الرئيسي للألم هو طبيعتنا الجسدية. والسؤال هو، هل تقبل الحل الذي يعطيه الله أم تذهب إلى الطريق الآخر؟ حل الله مؤلم، لكن لفترة مؤقتة فقط، فقلبها المكسور - كان سيُشفى في سنة أو اثنتين، تكون بعدها حرة لتحيا بقية حياتها لله.

**تأتي الأزمات في حياة أغلب المؤمنين بالمسيح، وبشكل خاص في حياة أولئك المدعوين لحقول الخدمة المختلفة. وفي هذه الأزمات، إما أن يفعلوا ما يريده الجسد وينسون الله، أو يصلبون الجسد متألمين فيخرجون من هذا الألم شخصيات ناضجة تحيا حياة ملتزمة، بعيداً عن عبوديّة الخطيّة.**

حين أنظر إلى تجاربي الشخصيّة في الماضي، استطيع أن أرى الأوقات التي فيها كان عليّ أن أختار بين قرارين، أحدهما صحيح والأخر خاطئ. كان بإمكاني حينها أن أذهب في طريق الجسد، فأبهج نفسي، وأسير علي الطريق السهل، أو بالمقابل أن أطبّق الصليب. بدون إتقان، وحتى بدون أن أفهم ما كنت أفعله، فقد دققت المسامير. والآن وبعد أكثر من خمسين سنة أنا مسرور لأني مشيتُ بهذا الطريق.

لنعد لقراءة ما كتبه بطرس الرسول: "***فَإِذْ قَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا بِالْجَسَدِ، تَسَلَّحُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهذِهِ النِّيَّةِ. فَإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ فِي الْجَسَدِ، كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ، لِكَيْ لاَ يَعِيشَ أَيْضًا الزَّمَانَ الْبَاقِيَ فِي الْجَسَدِ، لِشَهَوَاتِ النَّاسِ، بَلْ لإِرَادَةِ اللهِ***" (١بطرس ٤: ١-٢).

أليس هذا رائعاً؟ تستطيع أن تصل إلى مرحلة لا يعود فيها للخطيّة أي سيطرة عليك. هذا هو الجانب الرابع الرائع من جوانب التحرير المتاحة لنا من خلال الصليب.

# الفصل الخامس عشر

# التحـرر من العـالم

بقي الآن الجانب الأخير من جوانب التحرير، وهو مُوضَّح في (غلاطية ٦: ١٤) حيث كان بولس يكتب عن مجموعة من الناس أرادوا التباهي بإنجازات دينية معيّنة لديهم فقال:
"***وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ***".

يفصل الصليب بين المسيحي الحقيقي وبين العالم، فحين ينظر العالم للإنسان المسيحي يرى جُثُّة موضوعة على صليب، وذلك منظر غير جذاب بالنسبة له، وكذلك الأمر حين ينظر المسيحي إلى العالم فهو يرى نفس الشيء، لا شيء يجذبه، وهناك خط كامل يفصل بين الاثنين، وعليه علامة الصليب.

نحتاج أن نعود ثانية إلى كلمة "العالم" ولابد أنك تذكر الكلمتين "aeon" و"cosmos" اللتين تعنيان "دهر" أو "عالم" (راجع الفصل ١٢). الكلمة "aeon" هي مقياس زمني، بينما "cosmos" تعني "عالم" وهي كلمة اجتماعية تخص التعامل بين الناس. فمثلا كلمة "عالم" في (غلاطية ٦: ١٤) هي "cosmos". لقد تحررنا من هذا النظام العالمي الحاضر، بكل مَن فيه من أشخاص يرفضون ملكوت الله في شخص الرب يسوع.

وفي (لوقا ١٩) روى لنا الرب يسوع مثلاً يقول:
"***إِنْسَانٌ شَرِيفُ الْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعَ. فَدَعَا عَشَرَةَ عَبِيدٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ، وَقَالَ لَهُمْ: تَاجِرُوا حَتَّى آتِيَ. وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ، فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ: لاَ نُرِيدُ أَنَّ هذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا***" (الآيات ١٢-١٤).

في هذه القصّة صورة للرّب يسوع وهو يغادر الأرض، ويذهب إلى أبيه في السماء، منتظراً حتى يأتي ثانية ليأخذ مملكته، لكنها أيضاً صورة للعالم، حيث يقول الناس: "لا نريد أن الرب يسوع هذا يملك علينا، ولن نخضع له كسيّد".

**ما هو الخط الفاصل؟**

يحتوي العالم على أنواع مختلفة من الناس. هناك المُلحِدون والمنتمون لأديان مختلفة، وهناك المحترمون والخيّرون الذين يعيشون حياة جيّدة . قد تحكم بخصوص هذه الفئة الأخيرة من الناس فتقول: "لا يمكن أن يكون هؤلاء جزءاً من العالم، وذلك لأنهم يرتادون الكنائس". لكن لكي تُميّز ما إذا كان شخص ما هو جزء من العالم أم لا، ضعه أمام التحدّي الخاص بالاتّباع الكامل للرب يسوع المسيح. عندها قد يظهر من هذا الشخص أو هذه الجماعة تصُّرفاً لا يدل على الاحترام، فحين تُزال قشره التديُّن الخارجية، يظهر التمرّد الموجود في الداخل. التمرّد الموجود في المتديّنين وأصحاب الأخلاق الرفيعة، لا يقل عن التمرد الموجود في الشيوعيين أو الملحدين أو أصحاب الأديان الكاذبة.

فما هو الخط الفاصل؟ إنه الخضوع للرب يسوع المسيح كربٍ وسيّد. الخاضعون للرب يسوع ليسوا من أهل العالم، بل انتقلوا من العالم ليدخلوا في ملكوت الله، فلا يمكنك أن تدخل في ملكوت الله دون أن تبني علاقة صحيحة بالملك. وكثيرون هم الذين يرغبون في دخول الملكوت، لكنهم لا يريدون الملك! وكان هذا وضْع بني إسرائيل أيّام المسيح، فقد أرادوا المملكة لكنهم رفضوا الملك. وبرفضهم الملك، خسروا المملكة.

فلا أحد يمكنه أن يرفض الملك ويكون في مملكته، وما يحدد ما إذا كنّا في المملكة أو لا ليس نوع الملابس التي نلبسها ولا نوع التسلية التي تبهجنا، بل علاقتنا بالرّب يسوع. هل نحن خاضعون له بصدق وأمانة؟ لا يعني هذا أن نكون كاملين. لكن حين نخضع للرب يسوع فهو لديه الكثير ليعمله في حياتنا، وهذا يعني أن نستمر في السماح له بتقويمنا، حتى لو لم يعجبنا ذلك، فقد لا يكون ما يفعله مُمتِعاً لنا، لكن هذا أفضل لنا من الخيار الثاني.

قبل أن أقابل الرب يسوع كنت جزءاً من هذا العالم، وكأستاذ فلسفة لم أكن أهتم بأمور الدين، ولكن في أحد الليالي انتزعني الله من العالم ووضعني في مملكته. لم يكن لديّ حينها أي معرفة بالأمور المسيحية، لكني قابلت الرب يسوع واستسلمت له.

ومن ذلك الحين واجهت كثير من الصرعات، لكن صدّقني لم أشعر بأيّة رغبة في العودة إلي العالم، ما هي الأشياء الموجودة في العالم؟ لا شيء فيه يغريني أو يجذبني.

ليس الأمر دائماً سهلاً في ملكوت الله، لكنه أفضل بلا منازع من الوجود في العالم. خرجت في تلك الليلة، كما خرج بنو إسرائيل من مصر، ولم أرغب ولو للحظة واحدة بالرجوع. ليست العقيدة هي ما غيّرني، لكنه الرب يسوع. لقد قابلت الشخص الذي يستحق ولائي وطاعتي.

**نظام العالم:**

يتحدث الرسول بطرس في (٢بطرس ٣: ٥-٦) عن قضاء الله على نظام العالم:

***"لأَنَّ هذَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ بِإِرَادَتِهِمْ: أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ، وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللهِ قَائِمَةً مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ، اللَّوَاتِي بِهِنَّ الْعَالَمُ الْكَائِنُ حِينَئِذٍ فَاضَ عَلَيْهِ الْمَاءُ فَهَلَكَ".***

حين يقول بطرس الرسول: "العالم الكائن حينئذٍ هلك" فهو لا يتحدث بالدرجة الأولى عن العالم المادي في ذلك الوقت، فالأرض لم تهلك، والنظام الشمسي لم يختفِ ، ولكن ما هلك شيء أعمق، لقد هلك النظام الاجتماعي، وهو النظام الإنساني قبل الطوفان. فما هي المشكلة في هذا النظام؟ لم يكن خاضعاً لحكم الله البار، فأزال الله هذا النظام بقضاء واحد مُختصَر وشامل.

والآن تشكل نظام عالمي جديد مختلف عن سابقه من عدة جوانب، ولكن هناك شيء مشترك بينه وبين النظام السّابق للطوفان، فهو لا يخضع لحكم الله البار. لكن الله لا يقبل أي بديل عن الحاكم الذي عيّنه هو، فإما الرب يسوع أو لا أحد.

لنتأمل في بعضٍ مما يخبرنا به العهد الجديد عن نظام العالم، وهذه الحقائق التي سنعرضها رغم أهميتها تلقى تجاهُلاً كبيراً من الكنيسة المعاصرة.

**ثلاثة مغريات أساسية:**

تتعارض الكلمات في (١يوحنا ٢: ١٥-١٦) مع التفكير المعاصر ولكنها حقيقية:

***"لاَ تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ الْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ.لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ".***

هذه الكلمات واضحة تماماً، أليس كذلك؟ وليس فيها أي أمور لاهوتية تُعيق الفهم، فلا شيء من دوافع العالم واتجاهاته وطموحاته ورغباته ومعاييره أو أولوياته هو من الآب. لكن يجب أن نكون حذرين في فهمنا لهذه الحقيقة، فنحن لسنا أعداءً للخطاة، فقد أحب الله العالم وبذل ابنه من أجلهم، لكننا لا نحب نظام العالم أو الطريقة التي يحيا بها العالم. لا يمكننا أن نحب العالم ونحب الله في نفس الوقت، ولكن كما كان الرب يسوع نفسه، نستطيع أن نحب الخطاة.

تعرض هذه الفقرة من رسالة يوحنا الأولى ثلاثة مغريات أساسيّة: شهوة الجسد (وهي رغبات الجسد المادي)، وشهوة العيون (وهي الرغبات الجشعة والطمع) وتعظّم المعيشة وهي كالقول: "لا أحد يُملي عليّ ما أفعل". كانت هذه الرغبات الثلاث عاملة في جنّة عدن، فشجرة معرفة الخير والشر كانت جيدة للأكل وهذه شهوة الجسد، وبهجة للعيون وهذه شهوة العيون، وتجعل الرجل والمرأة عارفين الخير والشر دون الحاجة إلى الله وهذا هو تعظّم المعيشة.

قد واجه الرب يسوع في البريّة نفس هذه المغريات الثلاث، ففي البداية قال الشيطان له: "***قُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزاً***" (متّى ٤: ٣) وهذه شهوة الجسد. ثم من على جناح الهيكل قال له الشيطان: "***اطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ***" (متّى ٤: ٦)، وبكلمات أخرى كان الشيطان يقول: "***أعمل***

***شيئاً لتظهر كم أنت عظيم بدون الله الآب***". وهذا هو تعظّم المعيشة وأخيراً أراه الشيطان جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: "***أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي***" (متّى ٤: ٩) وهذه تمثل شهوة العيون.

شكراً لله، فرغم أن آدم سقط في تلك البيئة الكاملة (الجنة)، فقد انتصر الرب يسوع، الذي هو آدم الأخير، النصر التّام في البريّة بعد أربعين يوماً بدون طعام.

إن الرغبات التي هزمها الرب يسوع تضم في طبيعتها كل شهوات العالم. فكل شهوات العالم، تأتي تحت أحد هذه العناوين الثلاثة: شهوة الجسد، شهوة العيون، وتعظّم المعيشة. وهذه الأخيره هي الأخطر.

**العالم لن يدوم:**

"***الْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ***" (١يو ٢: ١٧).

يا لها من كلمات مذهلة! فكل شيء في هذا العالم مؤقت ولن يدوم شيء منه. لكن إذا وحدّتَ مشيئتك مع مشيئة الله بأن تقول: "أنا هنا لأعمل مشيئة الله" فسوف تكون شخصاً ثابتاً راسخاً بقدر ثبات ورسوخ مشيئة الله. لن تُهزَم أبداً، لأن مشيئة الله لا يمكن هزيمتها، والمفتاح هو أن تُوحّد مشيئتك مع مشيئته.

سيحاول الشيطان إقناعك بأنك ستضطر للتنازُل عن أشياء كثيرة، لكنه كاذب لا تُصغي له، فهي بركة عظيمة لك أن تضم مشيئتك لمشيئة الله، فهذا سيزيل عنك الشعور بأنك وحيد ولا يوجد من تعتمد عليه. ألقِ هذا الهمّ على الله الآب، فهو سيعتني بك.

**لا تصادق العالم:**

أعتقد أنك تتفق معي بأن الرسول يعقوب كان واضحاً حين قال:

"***أَيُّهَا الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ مَحَبَّةَ الْعَالَمِ عَدَاوَةٌ لِلهِ؟ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ مُحِبًّا لِلْعَالَمِ، فَقَدْ صَارَ عَدُوًّا لِلهِ***" (يعقوب ٤: ٤).

لماذا يقول يعقوب زناة؟ لأن المؤمنين الذين يُسلّمون نفوسهم لله، ثم يعودون للعالم، يرتكبون الزِنا الروحي، فيكسرون عهد ارتباطهم مع الرب يسوع، فالأمر في غاية الوضوح، "محبّة العالم عداوة لله!" وعليك أن تختار.

**العالم سيبغضنا:**

من بين كُتّاب العهد الجديد، أمضى الرسول يوحنّا أغلب حياته يتعامل مع العالم. وكان هذا من المواضيع الأساسية التي كتب فيها، وهو يسجّل في (يوحنّا ١٥: ١٨-١٩) كلمات الرب يسوع لتلاميذه قبل أن يتركهم:

"***إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ***".

تظهر كلمة "العالم" في الآية (١٩) خمس مرّات، فلا بد أن الله يحاول أن يقول لنا شيئاً، لننظر ثانيةً باهتمام:

"***لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلكِنْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذلِكَ يُبْغِضُكُمُ الْعَالَمُ***".

لا يمكن أن يكون هناك شك في كلام الرب يسوع، ولا ينبغي أن نُصدَم إذا كَرِهَنَا العالم، ولكن مشكلة الكنيسة المعاصرة أن العالم لا يكرهنا.

قبل هذه الحادثة كان الرب يسوع قد قال لإخوته الذين لم يكونوا قد آمنوا به بعد: "***لاَ يَقْدِرُ الْعَالَمُ أَنْ يُبْغِضَكُمْ، وَلكِنَّهُ يُبْغِضُنِي أَنَا، لأَنِّي أَشْهَدُ عَلَيْهِ أَنَّ أَعْمَالَهُ شِرِّيرَةٌ***" (يوحنا ٧: ٧). كان إخوة الرب يسوع جزءاً من العالم لأنهم في ذلك الوقت كانوا قد رفضوا حُكْم الله البار من خلال شخص الرب يسوع المسيح أخيهم.

ما دمتَ جزءاً من العالم، فلن يبغضك العالم. لكن إن انفصلت عن العالم، وأصبحت شاهداً للبر والحق، فالعالم سيبغضك، فلماذا يندر اليوم أن يبغض العالم الكنيسة؟ لأننا لا نُربكه ولا نحرجه، وهو مرتاح في التواجد معنا.

قدّر أحدهم عدد المؤمنين المولودين ثانية في أمريكا بخمسين مليون شخص. لو كان هذا صحيحاً حقاً، لكان العالم قد شعر بتأثيرهم، ولكن في الحقيقة فنحن كمؤمنين مسيحيين نادراً ما نؤثّر في هذا العالم، والعالم لا يبالي كثيراً بما نعمل. الأمر نفسه يحصل في غالبية دول أوروبا، فالمسيحيّة هناك أصبحت كشيء من التاريخ، لا تأثير لها في الحاضر، أو كطيف ضئيل من الماضي، فهناك العديد من الكاتدرائيات هنا وهناك، ولكن بدون تأثير على الحياة المعاصرة. لهذا فالعالم ليس ضد هذه المسيحيّة، فهو ماضٍ في طريقه دون معارضة.

**العالم في يد الشيطان:**

لا تغضب منّي بسبب ما ستقرأ ولكن اغضب من الرسول يوحنا، فهو من كتب هذه الكلمات!
"***نَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْنُ مِنَ اللهِ، وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ***" (١يوحنا ٥: ١٩).

من هو الشرير؟ إنه الشيطان. لقد وُضِع هذا العالم في الشرير، أي أن العالم كلّه تحت سيطرة إبليس.

يذكر يوحنا الرسول في (رؤيا ١٢: ٩) الأربعة ألقاب التي تُطلق على الشيطان:
"... ***التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ*** ...".

خصمنا أولا اسمه إبليس: وفي اليونانية "ديابولوس – diabolos" وتعني (المفتري، مشوّه السمعة)، وهو أيضاً "الشيطان"، ومعناها في الأصل (العدو، المقاوِم، المعارِض)، وثالثاً التنين، أي المخلوق الرهيب المُخيف، وأخيراً هو الحيّة، فهو الماكر المخادع الذي إذ لم يستطع الدخول من الباب الأمامي، تسلل من الثقوب كالأفعى.

فماذا يفعل الشيطان بهذه الأربعة أدوار؟ إنه يخدع العالم بأسرِه.

**طريق الخروج من نظام العالم:**

إن كنت توافق على ما قلناه عن العالم، فيجب أن تدرك أننا كمؤمنين مكرَّسين للمسيح، لا مكان لنا في العالم. نحن ببساطة لا ننتمي إليه. ولا يمكن إحصاء الطرق التي يحاول بها العالم إغراءنا وخداعنا، فنحن نحتاج للتحرير من آراء العالم وقيمه وأحكامه وضغوطاته وإغراءاته، فلا نسمح لأي من هذه أن تُغيّر تفكيرنا.

أكبر وسيلة يضغط من خلالها العالم في ثقافتنا المعاصرة هي التلفزيون. أنا لا أقول أن كل قنوات التلفزيون خاطئة، ولكن الكثير منها تجلِب العالم إلى بيتك، ففي التلفزيون قنوات مُغرية ولها تأثير كبير، وهي مجال ضخم للإظهارات السِحريّة والشعوذة والتأثيرات الروحيّة. وكذلك الأمر في قنوات الإعلان والدعاية، فهدفها أن تجعلك تريد أشياء أنت لا تحتاجها، فتشتري وتشتري أشياء ليس لديك حتى الإمكانية لشرائها، وهي تنجح كثيراً في هذا الأمر، فالعاملون في مجال الدعاية يُنفقون مليارات الدولارات على الدعاية لأنها ترد لهم ما دفعوه أضعافاً مضاعفة.

أنا لا أحاول أن أختار لك طريقة حياتك، لكني اخترت لنفسي، وفي حياتي ليس للتلفزيون سيطرة عليَّ. أنا لا أعتبر هذا تضحية! فإن أردتَ أن تزعجني وتعذبني، ضعني أمام التلفزيون لبضع ساعات كل يوم.

أنا لا أقترح أن يصبح الجميع مثلي، ولكن أنت تحتاج لأن تسأل نفسك، من أين أستمد قِيَمي ومعاييري وأحكامي وأولوياتي؟

الآن لننظر إلى هذه الصورة الكئيبة المُخزية التي يرسمها بولس الرسول للمؤمنين الذين لا يُطبّقون الصليب في حياتهم:
"***لأَنَّ كَثِيرِينَ يَسِيرُونَ مِمَّنْ كُنْتُ أَذْكُرُهُمْ لَكُمْ مِرَارًا، وَالآنَ أَذْكُرُهُمْ أَيْضًا بَاكِيًا، وَهُمْ أَعْدَاءُ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلاَكُ، الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ وَمَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ، الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ***" (فيلبي ٣: ١٨-١٩).

ما هي المشكلة الأساسيّة لدى هؤلاء؟ هم ليسوا أعداء للمسيح لكنهم أعداء لصليبه. هم يريدون كل شيء يمكن أن ينالوه من الرب يسوع، باستثناء شيء واحد لا يريدونه وهو عمل الصليب في حياتهم. لاحظ ما يقوله بولس: "***الَّذِينَ إِلهُهُمْ بَطْنُهُمْ***" ألا ينطبق هذا على بعض المؤمنين؟ هو يقول أيضاً: "***مَجْدُهُمْ فِي خِزْيِهِمِ***"، حيث يفتخر بعض المؤمنين بأشياءٍ كان جديراً بهم أن يخجلوا منها. الجزء الأخير من الآية (١٩) يُلخص حالة مثل هؤلاء: "***الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ***".

وما هي النتيجة؟ إنّهم يتّجهون إلى الهلاك. هذه كلمة صعبة، فالهلاك أبدي. ليساعدنا الله، ويحررنا من نظام هذا العالم.

**التوبـة:**
هناك طريق واحد فقط للخروج من نظام العالم وهو التوبة، إنها كلمة قديمة سقطت من القاموس الدّيني لكثيرين منا. تذكّر التحذير الذي قاله يوحنا المعمدان وهو يعد الطريق للرّب:
"***تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ***" (متّى ٣: ٢).

تَذكّر أن هدف الله من البشارة هو أن يُعلن مملكته، فما هو أوّل مطلب لدخول الملكوت؟ إنه التوبة.

حين بدأ الرب يسوع خدمته، مدح يوحنّا المعمدان بأفضل الكلمات، واستخدم نفس الجملة التي قالها يوحنا سابقاً:
"... ***ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ:«تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ»***" (متّى ٤: ١٧).

أن تتوب يعنى أن تُعلن الآتي: أنا أتنازل عن تمرُّدي، فلن أضع قِيمي ومَقاييسي الشخصية أولاً، ولن أفعل الأشياء بطريقتي أو أفكر كما أريد، ولكني أتحوّل عن كل هذا، وأعلن خضوعي بدون تحفُّظ للحاكم البار الذي عيّنه الله، وهو الرب يسوع المسيح.

**الإيمـان:**
بعد التوبة يأتي الإيمان. يبذل كثير من الناس جهداً عظيماً في سبيل الإيمان، لكنهم لا يؤمنون! وذلك بسبب عدم وجود التوبة لديهم. الإيمان الكتابي الحقيقي اللازم للخلاص لا يمكن فصله عن التوبة.

تحوّل إذاً عن التمرّد، وتعال إلى الملكوت خاضعاً للمَلِك هذه هي التوبة الحقيقة، وبهذه الطريقة نحصل على التحرير من نظام العالم.

# الجزء الرابع

## كيف ننال ما أعدّه الله لنا

# الفصل السادس عشر

# من الأمور الشرعية إلى الاختبارية

سنتحدث في الفصول الثلاثة الأخيرة عن بعض الإرشادات العمليّة للحصول على ما أعدّه الله لنا من خلال الكفَّارة. ولكن قبل ذلك سنلخص الموضوعين الرئيسين اللذين غطيناهما في الفصول السابقة.

قمنا في البداية بتحليل جوانب المبادلة التسعة التي حصلنا عليها حين مات الرب يسوع على الصليب:

١. عُوقب الرب يسوع لكي يُغفر لي.
٢. جُرح الرب يسوع لكي أُشفى.
٣. جُعِل الرب يسوع خطية بخطيتي لكي أتبرر أنا ببره.
٤. مات الرب يسوع موتي لكي أقبل أنا حياته.
٥. حُسِب الرب يسوع لعنة لكي أنال البركة.
٦. تحمّل الرب يسوع فقري لكي أشاركه في فيض غناه.
٧. تحمّل الرب يسوع خزيي لكي أشاركه في مجده.
٨. تحمّل الرب يسوع رفضي لكي أحظي بالقبول عند الآب مثله.
٩. مات إنساني العتيق في الرب يسوع لكي يحيا الإنسان الجديد فيّ.

وأنا أشجعك أن تحفظ هذه المبادلات في ذاكرتك، فهي عمل الصليب الحيويّ التي يجب أن تُشكّل وتُحدّد كل حياتنا.

ثم تحدثنا عن خمسة جوانب للتحرير، يمكننا أن ننالها من خلال تطبيق عمل الصليب في حياتنا، وهذه الجوانب موجودة في رسالة غلاطية. فمن خلال الصليب ننال:

١. التحرير من هذا الدّهر الحاضر الشرير.
٢. التحرير من الناموس.
٣. التحرير من الذات.
٤. التحرير من الجسد.
٥. التحرير من العالم.

كل هذا عمله الله. لكن لا يمكن أن يتغير فينا شئ حتي نعرف كيف ننال هذه الأمور، وهذا هو موضوعنا في بقيّة هذا الكتاب.

ولكن دعنى أضيف أنك لو أخفقت في الحصول على ما أعدّه الله لك، فليس السبب صعوبة المسألة، بل لأنها بسيطة جداً، فليس هناك شيء مُعقّد في خطة الله لتقديم خلاصِه.

**المثال المذكور في سفر يشوع:**

يحتوي سفر يشوع على نموذج رائع لنا حتى نتّبعه. لقد أعطى الله يشوع مسؤولية كبيرة هي أن يقود بني إسرائيل إلى أرض كنعان بعد موت موسى. بالطبع كان من الصعب أخذ مكان موسى، وهذا ما قاله الرب ليشوع.

"***مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ*** (أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ). ***كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى***" (يشوع ١: ٢-٣).

ويتضمن وعد الله هنا زمنين مختلفين. ففي الآية (٢) يقول "أنا معطيها" بينما يقول في الآية (٣) "... لكم أعطيته". ونحن نعلم أن الرب هو من أعدّ كل شيء في السماء وعلى الأرض: "***لِلرَّبِّ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ، وَكُلُّ السَّاكِنِينَ فِيهَا***" (مزمور ٢٤: ١).

وحين يقول الرب إنه يُعطي شيئاً ما، فهذا أكيد، ولا جِدال فيه. فالرّب يقول: "الأرض التي أنا معطيها لهم"، ثم يقول: "... لكم أعطيته". فمن تلك اللحظة أصبحت كل أرض كنعان لبني إسرائيل من الناحية الشرعية القانونية، ولكن من الناحية الإختبارية، لم يختبر الشعب أكثر مما كان لهم قبل أن يتكلّم الرب بذلك.

كان يمكن أن يكون لدى بني إسرائيل ردا فعلٍ خاطئان: الأول الخوف. قال الرب إنه أعطانا كل الأرض، ولكن ليس لدينا الآن أي شئ زيادة على ما كنا نمتلك. ورد الفعل الثاني هو التسليم الافتراضي بالأمر، وهذا هو النقيض التام للخوف، فيصطف الشعب على الضفة الشرقية من نهر الأردن ناظرين نحو الغرب، ويقولون وأياديهم مطوية: "كل الأرض لنا" أو ربما يكونون أكثر مغامرة فيعبرون الأردن ويصطفون على الضفة الغربية وينظرون إلى الأرض ويقفون مكتوفي الأيدي ويقولون: "كل الأرض لنا". هم محقون من الناحية الشرعية، ولكن في مجال الاختبار الفعلي هم مخطئون، فالكنعانيون في ذلك الوقت كانوا يعلمون من الذي يمتلك الأرض بالفعل.

**التطبيق على الكنيسة:**

أحياناً كثيرة يكون هذا هو حال الكنيسة، فبصرف النظر عن الضفة التي نقف عليها، فقد ننظر إلى أرض الميعاد ونقول: "كلها لنا" وهذا صحيح من الناحية الشرعية، ولكن من ناحية الإختبار العملي فنحن مُخطئون. سمعت أحدهم يقول: "لقد نلت كل شيء عندما خلصت" ولكن جوابي على هذه الكلام: "إن كنت قد نلت كل شيء، فأين هو؟ أظهره فنراه" قد يكون ما يُقال صحيحاً تماماً من الناحية القانونية الشرعية فقط. حين نولد ولادة ثانية نكون ورثة الله، ووارثون مع

يسوع المسيح، وكل ما هو للمسيح هو لنا. لكن هناك فرق كبير بين ما هو شرعي وما هو اختباري، فنحن لم نمتلك بعد كل شيء.

من الناحية القانونية، كل شيء عملَه الرب يسوع على الصليب هو لنا، وقد تم بالفعل إعداده وتجهيزه. لكن من الناحية الاختبارية لم نحصل على كل شيء أعدّه الرب يسوع لنا، وأنا أشك أن أحداً ما قد حصل عملياً على كل شيء وفرّه لنا الرب يسوع من خلال موته على الصليب.

إحدى الآيات التي تأملنا فيها في الفصل الأول تقول: "***لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ***" (عبرانين ١٠: ١٤). الصليب هو القربان الواحد. والله يقول: "لكم أعطيته". لكن التقديس هو مثل عبور النهر، فعلينا أن نسير باتجاه الأرض ونمتلكها.

**نقاتل حتى ننال:**

أجرى الله معجزتين رائعتين ليُحضر بني إسرائيل إلى أرض الميعاد: شَق نهر الأردن حتى يعبر الشعب، وأسقط أسوار أريحا. لكن من ذلك الوقت فصاعداً كان على الشعب أن يُقاتِل لكي يحصل على ما أعدّه له الله، وهذا أيضاً صحيح في الحياة المسيحيّة. سُيجري الله بعض المعجزات ليُدخلك في مواعيده، لكن بعد ذلك لن تنال إلا ما تحارب لأجله. فإن لم تفعل، فلن تنال.

تاريخياً، لم يمتلك بنو إسرائيل كل الأرض في ذلك الوقت، لكنهم تعايشوا مع الغرباء، فكانت الكارثة، وهذه هي صورة الكنيسة، فهي تحاول النمو والانتصار، وفي نفس الوقت تتعايش مع قوى معادية لا ينبغي أن تكون موجودة.

إن دخول يشوع وبني إسرائيل إلى ميراثهم هو نموذج لك ولي، فلا تقف مكتوفي الأيدي وتقول: "كلها لي" وأنت مُقيّد بالإحباط والخيبة، ولا تخاف إذا وجدت نفسك منخرطاً في معارك رهيبة، فهذا جزء من علمية امتلاك المواعيد.

**إستعادة ميراثنا:**

يقدّم لنا سفر عوبديا، وهو أحد أقصر الكتب النبويّة، رسالة قويّة عن استعادتنا لميراثنا. تتحدث الآية (١٧) عن إحياء وتعويض بني إسرائيل في نهاية هذا الدهر. ومع أن قوّة النبوّة ما زالت تحتاج لمزيد من الوقت حتى تتم، إلا أنها في حيز التنفيذ:

"***وَأَمَّا جَبَلُ صِهْيَوْنَ فَتَكُونُ عَلَيْهِ نَجَاةٌ، وَيَكُونُ مُقَدَّسًا، وَيَرِثُ بَيْتُ يَعْقُوبَ مَوَارِيثَهُمْ***" (عوبديا ١٧).

لاحظ هذه النقاط الثلاث القاطعة: تكون عليه نجاة، يكون مقدّساً، يرث شعب الله مواريثهم. فمن الممكن أن يكون هناك مواريث لم ترثها بعد. هذه هي إذاً الخطوات بترتيبها البسيط وهي التي يستعيد بها شعب الله مواريثهم. لقد خسر اليهود كثيراً بسبب عدم الطاعة، فأُبعِدوا لفترة تُقارِب التسعة عشر قرناً عن ميراثهم المُعطى لهم من الله، وهم يعودون إلى مواعيد الله في الوقت المعيّن.

هذا لا ينطبق فقط على بني إسرائيل، بل أيضاً على شعب العهد الآخر، وهو الكنيسة، فقد أُبعِدت الكنيسة عن الميراث الذي أعطاها إيّاه الله في المسيح لمدة تقارب فترة إبعاد بني إسرائيل. قارن صورة الكنيسة في سفر أعمال الرسل بالكنيسة الموجودة عبر القرون، فستتفق معي على وجود تطابق ما بين تاريخ بني إسرائيل وتاريخ الكنيسة. الكنيسة اليوم أمامها تحدّ كبير لكي تعود هي أيضاً إلى ميراثها الرّوحي في المسيح، والخطوات نحو ذلك هي نفسها: التحرير، القداسة، ثم نرث ميراثنا.

تحدثنا في الجزء السابق من هذا الكتاب عن خمسة جوانب للتحرير، وقد أعدنا ذكرها في بداية هذا الفصل، وهي كما قلنا مذكورة في رسالة غلاطية. هذه الجوانب الخمسة للتحرير مهمة وأساسيّة إن أراد شعب الله أن يسترد ميراثه.

لا يمكننا أبداً استعادة ميراثنا بدون القداسة، تذكر ما تقوله الرسالة في (عبرانيين ١٠: ١٤).

"***لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ***".

فبينما ننمو في القداسة، نعود لنمتلك ميراثنا بالتدريج.

**ما الذي يتضمنه الإيمان:**

الآن نأتي إلى هذا الجانب العملي: كيف ننال ما هو مُعَد لنا في الصليب؟

"... ***بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي***(يُكافئ) ***الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ*** (باجتهاد) (عبرانيين ١١: ٦).

من غير المُجدي محاولة إرضاء الله بدون إيمان، فهذا مستحيل، بماذا يجب أن نؤمن؟ بحسب (عبرانيين ١١: ٦) يجب أن نؤمن بشيئين يختصان بالله: "***بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي*** (يكافئ) ***الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ***".

أغلب الناس يؤمنون بأن الله موجود، ولكن هذا لا يكفي. عليهم أن يؤمنوا بأنهم إذا طلبوه (باجتهاد) فهو سيُجازيهم، فالإيمان شيء أساسي، ولكن يوجد شيء آخر أساسي وهو الاجتهاد.

إفحص كل الكتاب المقدّس بتفصيل لترى إن كان يقول أي شيء جيّد عن الكسل. الكتاب المقدّس ليس فيه أي كلمة مديح ليقولها عن الكسل! فصحيح أن الكتاب يدين السّكر، إلا أنه يدين الكسل بدرجة أقسى. لقد فسدت كثير من قيمنا في الكنيسة لأننا ندين الناس الذين يسكرون ونتسامح مع الكسالى.

ليس الإيمان وحده ضروري، ولكن الاجتهاد أيضاً، فليس لدى الله أي مكافأة للكسل. هذا يتطلّب منا أن نرتب أولوياتنا، ونحتاج أن نؤمن أنه إذا طلبناه باجتهاد فسنُكافأ.

تأتي أوقات حيث تكون متأكداً فيها أنك تطلب الله بكل اجتهاد، ولا يظهر فيها أنك تنال أيّة مكافأة، (أنا متأكد أني لست الوحيد الذي مر بهذه الأوقات)، وهنا عليك أن تتمسّك بإيمانك، فالآية السابقة تقول إنه يكافئ الذين يطلبونه باجتهاد، فسواء رأيتها أو شعرت بها أم لا، ومهما

حدث، فمكافأتك أكيدة. قد لا تنالها في الوقت الذي تتوقعه، وقد لا تأتي بالطريقة التي تنتظرها، لكنها أكيدة. الله "يُجازي (يُكافئ) الذين يطلبونه (باجتهاد).

**كيف تنال هذا الإيمان؟**

تحدثتُ سابقاً كيف كنتُ مريضاً راقداً في مستشفى لمدة عامٍ كامل، وأنا أبحث عن الإيمان بلا أمل، وبعدها أعطاني الله هذه العبارة الكتابية الرائعة، وكم أشكر الله عليها، فقد كانت (رومية ١٠: ١٧) بصيصاً من النور وسط ظلمتي القاتمة:

"***الإِيمَانُ بِالْخَبَرِ*** (السماع) ***وَالْخَبَرُ*** (السماع) ***بِكَلِمَةِ اللهِ***".

كانت هذه الآية هي الطريق الذي أخرجني من المستشفى، وهي مازالت تنبض بالحياة بالنسبة لي.

ولكن لا يجب أن نُبسِّط الآية أكثر من اللازم. قد يقول أحدهم إن الإيمان يأتي بسماع كلمة الله، ولكن ليس هذا ما يقوله بولس الرسول تماماً. يقول بولس إن ما يأتي من كلمة الله هو سماعها، وما يأتي من سماع الكلمة هو الإيمان، وهذا يعني وجود مرحلتين، فحين تكشف نفسك أمام كلمة الله بقلب وذهن مفتوحين، فما يأتي أولاً هو السماع، أي إمكانية سماع ما يقوله الله، ثم يصبح ما تسمعه حقيقة بالنسبة لك، فينتج الإيمان من السماع.

**أعطِ الله وقتاً:**

المشكلة أن كثيرين منّا لا يقضون الوقت اللازم للسماع حتى يتكوّن الإيمان. ينبغي أن تكشف نفسك أمام كلمة الله دون أن تضع حدوداً زمنية. هذه هي أحد الأشياء التي اكتشفتها أثناء مسيرتي مع الرب، أن لا أضع حدوداً زمنيّة لله، فإذا بدأنا في الصلاة ونحن نعلم أنه ليس أمامنا سوى نصف ساعة، فسنأخذ فقط ما يمكن أن نناله في نصف ساعة. لكن الأمر سيكون مُختلِفاً إذا أتينا إلى الله ولنا إتجاه مختلف وهو أننا نريد أن نسمع من الله دون أن نضع حدوداً زمنية.

إن الله لا يوفّر إيماناً فورياً لكننا اعتدنا أن نعمل مفترضين أن الله يتعامل مع الأمور بهذه الطريقة. فكثير من الناس في الكنائس يتعاملون مع الله وكأنه آلة بيع سماوية! فعليك أن تجد قطعة النقود المعدنية الملائمة، فتضعها في المكان المناسب في الآلة لتحصل على المشروب الذي تُريد! ليس الله هكذا، فهو ليس آلة، إنه شخص. عليك أن تتعامل معه بطريقة شخصيّة حتى تحصل على النتائج.

لهذا أقترح عليك أن تعطي وقتا أكثر مما يفعله المؤمنون هذه الأيام، وذلك لكي تسمع ما يقوله لك الله من خلال كلمته في الكتاب المقدّس إن لم تعطي وقتاً للسماع يكون كل ما تفعله هو أنك تقرأ الكتاب المقدس، ولا يأتي الإيمان بقراءة الكتاب، بل يأتي بسماع الله من خلال كلمته، فالسماع أولاً، ثم الإيمان.

**دع الله يكلمك:**

كلمة "كلمة" الموجودة في (رومية ١٠: ١٧) هي "ريما" "rhema" في الأصل اليوناني هذه الكلمة لا تعني كلمة الله الثابتة إلى الأبد في السماء، فلتلك الكلمة لفظ آخر هو "لوجوس" "logos". تشير "ريما" إلى الكلمة التي يعطيك إياها الله في لحظة معينة، وقد استخدم الرب يسوع هذه الكلمة في (متّى ٤: ٤) عندما قال: "***مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ***".

نحن لا نحيا بكلمات مطبوعة في مُجلّد إسمه الكتاب المقدّس - إذا جاز التعبير -، ولكن نحن نحيا بكلمات تُصبح حقيقة وشخصية لنا في أي لحظة بالروح القدس. يتكون الكتاب المقدّس من صفحات بيضاء عليها رموز وإشارات سوداء تُسمّى الحروف. هذه العلامات السوداء لا تفيدنا بشيء، لكن ما يُحوّلها إلى مصدر يُنتج الإيمان هو الروح القدس الذي يجعل كلمة الله حيّة، وبهذا تصبح الكلمة "rhema".

خلال الأشهر الأولى لي في الجيش البريطاني، عندما بدأت أدرس الكتاب المقدّس، كنت أشعر أن من واجبي كأستاذ للفلسفة، أن أعرف ماذا يريد الكتاب المقدّس أن يقوله، ولم أجد فيه شيئاً مثيراً أو جذاب. لكني ببساطة شعرت أنه لا يمكنني أن أتحدث بثقة وسلطان عن الكتاب المقدّس إذا لم أعرف ما يقوله. كانت قراءته مُتعبِة جداً! ولم يجعلني استمر في القراءة سوى تصميمي على ذلك.

كنت أقول: "لا يوجد أي كتاب يستطيع أن يغلبني، سانطلق من بدايته وأقرأه حتى النهاية".

بعد تسعة أشهر، تقابلتُ بطريقة معجزية مع الرب يسوع في منتصف إحدى الليالي. لم يكن ذلك قراراً ذهنياً بل اختباراً. في الليلة التالية لهذا الاختبار، أمسكتُ بالكتاب المقدّس فكان مختلفاً تماماً! كان الأمر كما لو أنه لا يوجد سوى شخصين في الكون: الله، وأنا! وأصبح الكتاب المقدّس بالنسبة لي هو صوت الله الذي يتحدث إليَّ بصورة شخصيّة، وكان هذا شيئاً مُثيراً.

هذا ما يجب أن يختبره ويعيشه كل واحد منّا. فمهما كلّفك الأمر لا تتوقف عن العلاقة الشخصيّة بالله التي تجعل كلمته تتحدث إليك بصورة شخصية، وعليك أولاً أن تُعدّ نفسك لسماع ما يُكلّمك به الله، ومن خلال السماع يأتي الإيمان.

**كيفية قراءة الكتاب المقدّس:**

سأقدّم هنا اقتراحين في كيفيّة فهم النصوص الكتابية:

**١. إقرأها ككلمة الله :**

يُعبر بولس عن افتخاره بمسيحيّ تسالونيكي، فيقول إنهم كانوا مِثالاً للمؤمنين الآخرين، ويذكر السبب في نجاحهم هذا في (١تسالونيكي ٢: ١٣):

***"لأَنَّكُمْ إِذْ تَسَلَّمْتُمْ مِنَّا كَلِمَةَ خَبَرٍ مِنَ اللهِ، قَبِلْتُمُوهَا لاَ كَكَلِمَةِ أُنَاسٍ، بَلْ كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ".***

حين تقبل النصوص الكتابية، ليس ككلمة من أشخاصٍ، ولا تقرأها كما تقرأ كتابات وأعمال الحكمة البشرية الأخرى، بل ككلمة الله التي فيها الله نفسه يتحدث إليك، فستعمل عملها فيك. حين تفتح قلبك بالإيمان لكلمة الله، فستعمل فيك ما قاله الله أنها تعمله، كما هو مكتوب "**كَمَا هِيَ بِالْحَقِيقَةِ كَكَلِمَةِ اللهِ، الَّتِي تَعْمَلُ أَيْضًا فِيكُمْ أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ**" (١تسالونيكي ٢: ١٣)

**٢. بوداعـة:**

مطلب آخر لقراءة الكتاب المقدّس نجده في رسالة يعقوب:
"***لِذلِكَ اطْرَحُوا كُلَّ نَجَاسَةٍ وَكَثْرَةَ شَرّ، فَاقْبَلُوا بِوَدَاعَةٍ الْكَلِمَةَ الْمَغْرُوسَةَ الْقَادِرَةَ أَنْ تُخَلِّصَ نُفُوسَكُمْ***" (يعقوب ١: ٢١).

ما معنى أن نقبل كلمة الله بوداعة؟ معنى هذا أن نُسلّم أن الله هو المعلّم ونحن التلاميذ، فنحن لا نُرشد الله كيف يجب أن يُسيّر الكون، ولا نُعلّمه كيف يجب أن يقود حياتنا، ولكن بكل اتضاع نسمح له بأن يُعلّمنا.

توصلت موخراً لهذا التعريف للإيمان وهو بسيط جداً: الإيمان هو التعامل مع الله بجديّة، فقراءة الكتاب المقدّس بإيمان هي أن نأخذ كل شيء يقوله الله باهتمام وجديّة، فحين يقول الله "إفعل هذا" نفعل نحن ما يقول.
وهذا مثال للتوضيح على ما أقول، إن تمسكت به، فسيُغيّر حياتك.

يقول الرسول في (١تسالونيكي ٥: ١٨):
"***اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ***" ما هي الأشياء التي يجب إن نشكر الله فيها؟ كل شيء. هل تؤمن بهذا؟ هل تأخذ هذا الأمر بجديّة؟ هل تطبق هذا الشيء؟

حين ترتدي ملابسك، أشكر الله عليها مُتذكّراً أنه يوجد أناس كثيرون ليس لديهم ما يلبسون. ماذا تفعل حين تنتعل حذائك؟ كثيرون في العالم ليس لديهم أحذية. حين تركب سيارتك، أشكر الله على سيارتك، وحين تقود السيّارة على الطريق السريع، أشكر الله من أجل الطريق، حتى لو كان مُزدحماً بالسيارات، فقد تكلّف بناؤه الكثير من المال والعمالة. لا تأخذ الأمور على أنها تحصيل حاصل.

بكلمات أخرى، لا تشكر الله فقط بطريقة متقطعة حين يخطر الأمر على بالك، ولكن إجعل منها عادة أن تشكر الله في كل شيء، وهذا سيُغيّرك.

هذا مثال لما يعنيه الكتاب المقدّس بأن نقبل كلمة الله بوداعة. قد تقول "لا يبدو هذا لي معقولاً، فقد دفعت ثمن ثيابي وثمن حذائي وثمن سيّارتي". لا، إقبل كلمة الله بوداعة، قل: "حسناً يا رب، تقول كلمتك بأن نشكرك، ولهذا فسأشكرك على كل الأشياء".

**الانتقال من الشرعي إلى الاختباري:**

سنُنهي هذا الفصل بمُلخّص عن كيفية الانتقال من ما هو شرعي فقط إلى الاختبار العملي، وذلك يتم بتطبيق كلمة الله. يقول الرب يسوع.

"***اُطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ***" (متّى ٦: ٣٣).

أعط الله وكلمته الأولوية على كل شيء آخر في حياتك. اطلب الله وكلمته أولاً. تذكّر أن تقضي وقتاً مع الكلمة التي تبني إيمانك. إقبل النصوص الكتابية ككلمة خاصة من الله لك. إقبل كلمة الله بوداعة، وبطاعة كاملة لما تأمرك به.

دع هذه الأمور تأخذ الأولوية فوق كل شيء آخر في حياتك، وحين تُنظِّم أولوياتك وتتجه نحو الله وكلمته، فأنت تسمح للإيمان بأن يأتي، وتكون في طريقك لتنال ما أعدّه الله لك، وعندها يصبح ما أعده الرب يسوع بموته على الصليب حقيقياً في حياتك تقدر أن تحصل عليه.

# الفصل السابع عشر

# مرشدنا الشخصي للخلاص الشامل

قلنا سابقاً إن ذبيحة الرب يسوع على الصليب تُقدّم لنا كل شيء نحتاجه الآن وفي الأبدية، وهي متاحة لكل مؤمن. وقلنا إن هذه الذبيحة كاملة ولكننا ننال ما نحتاجه منها بشكل تدريجي. كيف ننال كل ما أعدّه الله لنا في ذبيحة الرب يسوع على الصليب؟

أشرنا في الفصل الماضي إلى المطلب الأول الأساسي وهو الإيمان، فمن يأتي إلى الله ينبغي أن يؤمن، فالإيمان ليس خياراً، وبحسب (عبرانيين ١١: ٦) عليك أن تؤمن بأن الله موجود وأنه يجازي (يكافئ) الذين يطلبونه (باجتهاد).

سندرس في هذا الفصل مطلباً آخر، وهو تعلُّم الإرتباط بالروح القدس، فالروح القدس يرشدنا لنحصل على كل ما هو مُقدَّم لنا في كفارة المسيح، وهو سيقودك بطريقة شخصيّة لتنال كل ما تحتاجه.

لا يعني الخلاص فقط حصولنا على غفران الخطايا، مع أن هذا جانب أساسي منه، ونشكر الله من أجله، لكن الخلاص هو كل ما يُتيحه الله لشعبه من خلال ذبيحة الرب يسوع.

تحدثنا في الفصل الرابع عن كلمة "sozoy" اليونانية، والتي تُترجَم عادةً إلى "خلاص" وأشرنا أيضاً إلى أن كلمة "sozoy" تُستخدَم في الكتاب المُقدّس للحديث عن شفاء الأمراض، وتحرير الناس من الأرواح الشريرة، وكذلك عند إقامة الموتى وعند الحديث عن حفظ شعب الله، فهذه الكلمة تصف كل هذه البركات، لذلك فتعريفنا للخلاص يُغطي كل شيء قد أعدّه الله لنا روحياً وجسدياً وعاطفياً وماديّاً، الآن في الوقت الحاضر وفي الأبدية، وكل هذا من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب.

الولادة الثانية هي اختبار يحدث مرّة واحدة، وهذا الاختبار يضعنا في بداية طريق الخلاص، وخلاصنا هو اختبار تدريجي متواصل علينا أن نسير خلاله لنكتشف أبعاده ونمتلكه، فالخلاص مثل أرض كنعان التي كان على بني إسرائيل أن يمتلكوها على مراحل.

نجد في (مزمور ٧٨) أن الخلاص يُغطي كل شيء عمله الله لشعبه من مصر وحتى أرض الموعد، وهو يشمل جميع أعمال الرحمة والبركة وجميع العطايا التي قدّمها الله لهم. يتضمن ذلك تحريرهم من أرض مصر، وعبورهم البحر الأحمر، ومسيرة الله معهم في السحابة، وإطعامهم المن، وتزويدهم بالماء من الصخرة، وحقيقة أن ثيابهم وأحذيتهم لم تبلى، وطرْد الأمم من أمامهم. كل هذا وأكثر يُجمَع في كلمة واحدة وهي "الخلاص".

لكن بني إسرائيل كانوا غير مؤمنين، وغير مطيعين، بل جرّبوا الله، أي "تذمّروا على الله" (الآية ١٩ كتاب الحياة).
" ***لِذلِكَ سَمِعَ الرَّبُّ فَغَضِبَ، وَاشْتَعَلَتْ نَارٌ فِي يَعْقُوبَ، وَسَخَطٌ أَيْضًا صَعِدَ عَلَى إِسْرَائِيلَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ وَلَمْ يَتَّكِلُوا عَلَى خَلاَصِهِ*** " (الآيات ٢١-٢٢).

ماذا كانت مشكلة بني إسرائيل الأساسية؟ أنهم لم يؤمنوا بالله ولم يثقوا بخلاصه الكامل، وواضح من هذه الآيات أنّ عدم الإيمان يُغضب الله.

هل تنطبق هذه المشكلة على الكنيسة؟ نعم، نحن لا نؤمن بالله كما يريد منا أن نؤمن. ونحن لا نثق في أنه يسدّد احتياجاتنا بالكامل؟ لكن الله يريدنا أن نثق به في كل شيء.

يعلن الله في (رومية ٨: ٣٢) أن ما يهبه لنا يشمل "كل شيء" وهذه الآية تشبه "شيكاً على بياض" مُوقّعاً من الله باسمك. لكن الله لم يكتب أي مبلغ فيه، وعليك أنت أن تكتب عليه احتياجاتك يوماً بعد يوم.

"***الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟***".

إن كان الله قد شاء فبذل الرب يسوع ليموت على الصليب، وهو أغلى وأعز ثروة في الكون، وهو الشخص الألصق إلى قلب الله، فلا يُمكن أن يوجد أي شيء آخر يمكن أن يمنع الله عنا. لا تنسَ أنه بدون الرب يسوع ليس لنا الحق في المطالبة بأي شيء من الله، بل إننا لا نستحق سوى الدينونة. لكن مع الرب يسوع وبسبب الرب يسوع، سيعطيك الله كل ما تحتاج. لست بحاجة لعمل أي شيء فوق ما تم عمله على الصليب. ولا يوجد أي ثمن تدفعه. فالله يعطيك كل شيء مجّاناً.

هذا هو خلاصنا الشامل، وهو يأتي من خلال الهبة المجانية: ذبيحة الرب يسوع على الصليب. لكن لا يمكننا الدخول إلى هذا الخلاص الشامل إلى أن ندرك الدور الذي يلعبه الروح القدس.

**ماذا يفعل الروح القدس؟**

يُقسّم الضمير المُعبّر عن الجنس في اللغة اليونانية إلى ثلاث فئات: المُذكر، والمؤنث، والمحايد. الكلمة اليونانية التي تعني "روح" هي "pneuma" وتعني "ريح" أو "نَفَس" أو "روح" وهي كلمة محايدة، أي من الفئة الثالثة، ورغم أن لهذه الفئة ضميراً خاصاً بها في اللغة اليونانية (مثل الضمير it في الإنجليزية) إلا أن الرب يسوع حين تحدّث عن الروح القدس في (يوحنا ١٦: ١٣) استخدم ضمير الغائب العاقل "هو" بقوله: "وأمَّا متى جاء ذاك، روح الحقّ فهو يرشدكم" ... ولم يستخدم الضمير الخاص بالكلمات المحايدة.

لقد كُسرت في هذه الفقرة قواعد اللغة. لكن الرب يسوع فعل هذا ليؤكد على الرغم من الاستخدام المعتاد للقواعد، فالروح القدس ليس شيئاً بل شخصاً، الروح القدس هو شخص تماماً كالله الآب والله الابن.

أحد مفاتيح النجاح في الحياة المسيحيّة هو أن نتعلّم كيف نتعامل مع الروح القدس كشخص، فإذا دعونا الروح القدس وفْقاً للشروط الكتابية، فسيأتي إلينا الروح القدس كشخص. لابد لنا أن نتعامل ونتصل بشخص الروح القدس ونُقيم علاقة صداقة معه، فهو شخص رائع لنُصادقه.

**ما الذي يفعله الروح القدس لننال ما أعدّه الله لنا في كفارة المسيح؟**

**يدير شؤون الخلاص:**
الروح القدس هو المدير الوحيد لشؤون الخلاص، وهو يحمل مفاتيح المستودعات لجميع الهبات والعطايا الإلهية، وهو يفتح خزانة الكنوز الإلهية، ويعطينا ما نحتاج إليه. ورغم ذلك، فهو من أكثر الشخصيات المُهمَلة في الكنيسة! حتى الخمسينيون والكاريزماتيون الذين يتحدثون كثيراً عن الروح القدس، كثيراً ما يهملونه أيضاً.

إن أردت أن تأخذ ميراثك وتنال ما أعدّه الله لك، أقم صداقة مع الروح القدس. كان الرب يسوع في (يوحنا ١٦) يستعد لترك تلاميذه، وكان يعدّهم للأيّام القادمة حين قال:
***"لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ: إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ"*** (الآية ٧).

لاحظ أن الرب يسوع كان يتحدث عن مُبادلة شخص بآخر، فكأنه يقول: "أنا سأعود إلى السماء، لكني سأرسل لكم شخصاً آخر ليكون مكاني" وقد قال الرب يسوع شيئاً مدهشاً حقاً. "خيرٌ لكم أن أنطلق" وبكلمات أخرى: "أن أكون في السماء ويكون الروح القدس على الأرض، أفضل من حالكم وأنا معكم على الأرض والروح القدس في السماء".

كثير من المسيحيّين لا يدركون هذا الأمر. نفكّر كثيراً أنه من الرائع لو عشنا في أيام المسيح حين كان على الأرض مع تلاميذه. نعم هذا رائع لكن الرب يسوع بيّن أن تلك المرحلة هي مرحلة

انتقالية، وكأنه يقول: "خير لكم أن أتركم ويأخذ الروح القدس مكاني على الأرض، فمن السماء سأكون قادراً من خلال الروح القدس أن أعمل في كل مكان على الأرض وفي نفس الوقت دون أن يحددني الجسد المادي، ولهذا فخير لكم أن أنطلق".

**يرشدنا إلى الحق ويشير إلى الرب يسوع:**

يتابع الرب يسوع فيقول: "***وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ***" (يوحنا ١٦: ١٣).

الروح القدس هو أقل شخص في العالم يجذب الانتباه نحو نفسه، ولهذا السبب، فنحن نميل إلى تجاهله. قال الرب يسوع إن الروح القدس لن يتكلم من نفسه، بل سيتكلم فقط بما يسمع من الآب والابن. لمن يجذب الروح القدس الانتباه؟ إلى الرب يسوع، فقد قال الرب يسوع عنه: "***ذَاكَ يُمَجِّدُنِي***" (يوحنا ١٦: ١٤).

من أفضل الاختبارات لفحص إن كان شيء ما من الروح القدس، ليس مقدار الضجيج الذي يصدره، بل إن كان يُمجِّد الرب يسوع أم لا. إذا كان الشيء يُمجِّد بشراً أو يُركّز على عقيدة أو طائفة، فليس هذا من عمل الروح القدس، فالروح القدس لا يمجد هذه الأشياء، فهو لا يمجد إلا الرب يسوع.

وإذا أردنا أن نجذب الروح القدس، وهذا عمل يستحق أن نفعله، فيجب أن نأخذ وقتاً في تسبيح اسم الرب يسوع. حينئذ يقول الروح القدس لنفسه: "هذا ما أحب أن أسمعه، لذلك سأذهب وأقضي بعض الوقت مع هؤلاء الناس".

من المهم أن نتعلّم ما يحبه الروح القدس لكي نفي بمتطلباته.

**يساعدنا حتى نميّز الحق:**

الروح القدس يرشدنا إلى كل الحق. ليس هذا فقط، لكنه المرشد الوحيد الموثوق به. كتب يوحنا إلى الكنيسة الأولى: "***وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ***" (١يوحنا ٢: ٢٠)، وهو يشير هنا إلى الروح القدس. يا ليت شعب الله في هذه الأيام لديهم هذه المسحة حتى يُميّزوا الفرق بين الصواب والخطأ. فالمؤمنون "الممتلؤون بالروح القدس" هم الأسهل انخداعاً، إذا لم يتعلموا كيف يُميّزون بين الضجّة والجسدانية والتظاهُر من جهة وبين ما يُمجّد الرب يسوع من جهة أخرى.

(يوحنا ١٦: ١٤-١٥).

"***ذَاكَ*** (الروح القدس) ***يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ***".

لاحظ في هذه العبارة اتضاع الرب يسوع! فهو لم يُرد أن يترك لدينا الانطباع بأنه المصدر الأساسي لكل شيء بمفرده، فهو يقول "هذا الأشياء هي لي فقط لأن الآب قد أعطاني إياها". يا له من مثال جميل لتمجيد الآخر! نعم، الروح القدس يُمجّد الرب يسوع، والرب يسوع يُمجَّد الآب، ثم يشير الرب يسوع إلى الروح القدس ويقول حين يأتي الروح القدس، فسيأخذ مما لي ويعلنه أو يظهره أو يفعله لكم.

من هذا يظهر أن الروح القدس يحمل مفتاح مخزن الكنوز الإلهيّة. كل ما هو للآب وللابن، يُدار من الروح القدس. كثير من المؤمنين الذين يدرسون العقيدة والتعاليم الكتابية لا يقيمون صداقة مع الروح القدس، لكن من الجدير بنا حقاً أن نقيم صداقة مع الروح القدس.

**صـــورة كتابيـــة:**

لدينا في الكنيسة محامٍ ومرشد رائع في رحلة هذه الحياة الطويلة وهو الروح القدس. يعطينا (تكوين ٢٤) صورة جميلة عن دور الروح القدس كمرشد، وذلك في قصّة إبراهيم في بحثه عن عروس لابنه إسحاق.

كان إبراهيم يصر على أن لا يأخذ لابنه عروساً من بنات كنعان. في هذه القصة، وهو يعكس بهذا الصورة التقليديّة للرجل الشرقي الذي يقول: "يجب أن تكون العروس من عشيرتي" وهكذا يرسل هذا الشيخ الجليل خادمه إلى شعبه وأهله – عشيرة إبراهيم – حتى يجد الفتاة المناسبة ويُحضرها معه.

يُمثِّل إبراهيم في هذه القصّة الله الآب، بينما يمثل إسحاق الرب يسوع المسيح، أمّا رفقة، العروس المنتقاة، فتمثل الكنيسة. لكن هناك شخصيّة أخرى، وهي شخصية خادم إبراهيم الذي لم يذكر الكتاب اسمه في هذه القصة، فهو يُمثل الروح القدس. إن (تكوين ٢٤) صورة شخصيّة مكتوبة تمثَل الروح القدس، لكن دون أيّة إشارة إليه.

أخذ هذا الخادم الذي لم يُذكَر اسمه عشرة جمال مُحمّلة بهدايا كثيرة، والجمال كما هو معروف في الشرق الأوسط، تُحمَّل بالكثير من الأحمال والمُؤَن. الأمر نفسه ينطبق على الروح القدس، فحين يأتي الروح، لا يأتي فارغ اليدين، بل يأتي ومعه عشرة جمال مُحمّلة بالهدايا، فكم نكون أغبياء إذا لم نقم صداقة معه!

حين وصل هذا الخادم إلى البئر، في طريقه للبحث عن الفتاة المُناسِبة صلّى وقال: "***أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهَ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ ...لْيَكُنْ أَنَّ الْفَتَاةَ الَّتِي أَقُولُ لَهَا: أَمِيلِي جَرَّتَكِ لأَشْرَبَ، فَتَقُولَ: اشْرَبْ وَأَنَا أَسْقِي جِمَالَكَ أَيْضًا، هِيَ الَّتِي عَيَّنْتَهَا لِعَبْدِكَ إِسْحَاقَ***" (تكوين ٢٤: ١٢، ١٤)، قال هذا لأنه من الطبيعي أن أيّة فتاة كانت ستعرض عليه أن تسقيه هو فقط.

ولأن هذا الخادم كان لديه عشرة جمال، والجمل الواحد يستطيع أن يشرب أربعين جالوناً من الماء، فقد كان على هذه الفتاة الشّابة أن تَضُخ من البئر ما يَقرُب من أربعمئة جالون من المياه! فيا لها من زوجة رائعة لإسحاق!

هذا يُذكّرني بتعليق قاله أحد الشبّان في أفريقيا، حيث كنت ولمدّة خمسة سنوات أُدرِّب بعض التلاميذ ليُصبحوا مُعلّمين. كنت أتجوَّل أحياناً مع تلاميذي وأسألهم بعض الأسئلة. في إحدى

المرّات سألت هذا الشاب وقلت: "قُل لي، ما مواصفات الفتاة التي ترغب في الزواج منها؟" فأجابني بدون تردد: "يجب أن تكون سمراء وقويّة" لا أعلم تماماً ماذا كان لون بشرة رفقة، ولكن استطيع أن أؤكد لك أنها لم تكن شقراء، ولكن بالتأكيد كانت فتاة قويّة.

أثناء وقوف هذا الخادم بجانب البئر، تأتي امرأة شابّة، فيطلب أن يشرب قليلاً من الماء، فتُعطيه وتبادر فتعرض أن تسقي جماله أيضاً. يا لها من صورة جميلة للكنيسة! فلَم يُصوّر الكتاب المقدّس الكنيسة بامرأة رقيقة تجلس في المقعد الأمامي وترنم الترانيم، بل هي امرأة لها عضلات قويّة، مُعَدّة للعمل ولتقديم حياتها.

يقول الخادم في نفسه هذه هي الفتاة، وبعد أن قابل هذا الخادم عائلة رفقة، وأخبرهم عن رغبة إبراهيم بأن يجد زوجة لابنه، يوجّه الأهل هذا السؤال لرفقة: (( هَلْ تَذْهَبِينَ مَعَ هذَا الرَّجُلِ؟ )) فتقرر مصيرها وتقول:(**أَذْهَبُ**) آية ٥٨

هذا هو الإيمان، فالمدة التي عرفت فيها رفقة الخادم تقل عن يوم واحد، لكنها تقرر الخروج معه في رحلة طويلة خطرة ليكون مرشدها والمحامي الوحيد عنها، ونحن كذلك ككنيسة، نسير في رحلة طويلة وخطرة، في طريقنا للقاء عريسنا، ولكن في رحلتنا هذه لدينا مُحامٍ ومُرشد رائع وهو الروح القدس.

الأكثر من ذلك، لم تكن رفقة قد شاهدت من قبل ذلك الرجل الذي ستتزوجه. كل ما كانت تعرفه عن إسحاق هو ما أخبرها به هذا الخادم، وكل شيء يمكننا أن نعرفه عن الرب يسوع – إلى أن نُلاقيه – نتعلّمه من الروح القدس. لهذا فنحن نخسر ونفقد الكثير حين لا نُنمّي علاقة عميقة وحميمة بالروح القدس.

**اعتمد على الروح في الخدمة:**

(رومية ٨: ١٤) التي سبق أن تأملنا بها، هي آية مهمة جداً لهؤلاء الذين يرغبون في إعداد نفوسهم للخدمة في جسد المسيح:

***"لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ".***

يستخدم بولس الرسول في هذه الآية زمن المُضارع المُستمر، فنستطيع أن نترجمها هكذا: "لأن كل الذين ينقادون بروح الله باستمرار فأولئك هم أبناء الله" من هم أبناء الله؟ أبناء الله هم الذين ينقادون باستمرار بالروح القدس، وبكلمات أخرى، فأنا أحيا كابنٍ لله حين أبدأ بالانقياد بانتظام بروحه.

أنت أيضاً تحتاج أن تنقاد، ليس بالقوانين أو المبادئ أو التقنيات أو الإجراءات مهما كانت، لكن بروح الله، وأنا لا أقول إن هذه الأشياء خاطئة، ولكن الخطأ أن تتكل عليها اتكالاً كاملاً، فلا يوجد سوى شخص واحد تستطيع أن تعتمد عليه بشكل كامل وهو الروح القدس. إن اعتمدتَ عليه، سيقودك إلى القانون أو المبدأ أو الطريقة أو التقنية المناسبة، أمّا إذا اتكلنا على القوانين وحدها فلن نحصل سوى على ما تستطيع المصادر البشرية أن تُقدّمه.

كمسيحيّين مؤمنين يجب علينا أن نقدّم للعالم أكثر من ذلك، فعلى سبيل المثال، قد يقوم أستاذ في علم النفس بتحليل مُعيّن وفقاً لقوانينه التي يستخدمها، فيصيب أو يُخطئ. ولكن نحن مدعون لنفعل أكثر من هذا. فلدينا صديق رائع اسمه الروح القدس، وهو لديه موارد خارقة إلهيّة ويضعها تحت تصرفنا.

أرجوك لا تكن محللاً نفسياً هاوياً! المحلل النفسي المحترف قد يكون خطيراً، أمّا المحلل النفسي الهاوي فهو في غاية الخطورة. حين يأتي إليك شخص من أجل المشورة فلا تذهب مُباشرة إلى قائمة أعراض الأمراض، بل اعتمد على الروح القدس. قد يقودك الروح إلى تلك القائمة، فليس بالضرورة أن تكون القائمة خاطئة، لكنك لا تستطيع الاعتماد عليها، فقط يمكنك الاعتماد على الروح القدس وحده.

من وسائل المشورة التي يستخدمها بعض الناس أن يرجعوا الشخص من الحاضر إلى أيّام الطفولة، ثم إلى الطفولة المُبكّرة، وربما إلى الرحم! لكن الرب يسوع حين قابل المرأة السامريّة على البئر، لم يرجعها إلى أيّام الطفولة المُبَكّرة، بل كانت لديه كلمة علم من الروح القدس: "**... كَانَ لَكِ خَمْسَةُ أَزْوَاجٍ، وَالَّذِي لَكِ الآنَ لَيْسَ هُوَ زَوْجَكِ**" (يوحنا ٤: ١٨). لم يحتاج الرب يسوع أن يقول أكثر من ذلك، وهذه المعرفة الثاقبة كشفت كل قلبها وحياتها فوراً.

كانت زوجتي الأولى ليديا، وهي الآن مع الرب، سيدة فريدة جدّاً بجميع المقاييس. كانت ليديا من الدنمارك وهي بالحقيقة مُقاتِلة قويّة. وكنا قد عزمنا على شراء بيت، فأتت إلينا سمسارتان صلبتان جداً ليدلانا على أحد البيوت لنشتريها، حيث قرر أصحاب ذلك البيت أن يبيعوه.

وبينما هما جالستان على الأريكة جنباً إلى جنبٍ، نظرت زوجتي ليديا إلى إحداهما وقالت لها فجأة: "أعتقد أن رجليك غير مُتساويتين في الطول، فهل تريدين أن يُصلي زوجي من أجلك؟".

كيف يمكن لتلك السّيدة أن تقول لا؟. ركعتُ على ركبتيّ بالقرب من تلك السمسارة واكتشفتُ أن رجليها بالفعل غير مُتساويتين في الطول، فصليتُ من أجلها، وأمام عينيّ، نمت رجلها الأقصر لتساوي الرجل الثانية في الطول، وكانت هذه السّيدة مصدومة مما تراه!

انتقلتُ بسرعة إلى المرأة الأخرى وقلتُ: "هل تسمحين لي بأن أفحص رجليك؟".
لقد نمتا أيضاً.
ثم سألتُ "ماذا عن ذراعيك؟"
فقالت "لا، لا هذا يكفي!".

ولكن من ذلك الوقت فصاعداً أصبحت هاتان السيّدتان امرأتين مختلفتين تماماً. صارت السمسارتان الصلبتان امرأتين طبيعيتين لديهما مشاكل طبيعية، أرادتا مشاركتها معنا أنا وليديا، وقد باعونا بيتاً جيداً!
فمن الذي صنع الفرق؟ إنه الروح القدس.
سيقودك الروح القدس حتى تنال الوعود التي في ذبيحة المسيح الكفّاريّة، فهو يحمل مفتاح مخزن عطايا وهبات الله، وسيكون الروح القدس هو المرشد الشخصي لك.

# الفصل الثامن عشر

## امتـلاك ميراثنـا

رأينا في الفصول السابقة أن الله قد أتاح لنا خلاصاً كاملاً وتاماً من خلال ذبيحة الرب يسوع على الصليب. إنه عمل الصليب "التام من جميع الجوانب والتام في جميع الأوجه"، وأتاح لنا الله أيضاً مرشداً إلهّاً ليقودنا إلى ميراثنا هو الروح القدس.

وكنموذج عن كيفية قيادة الله شعبه لميراثهم، فقد بحثنا في حياة يشوع وبني إسرائيل، وتأملنا بصورة خاصّة في (يشوع ١: ٢) حيث يتحدث الله عن أرض الموعد فيقول: "***الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لَهُمْ***" ثم يقول في (الآية ٣): "... ***لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ***" ومن خلال هذه الآية فقد أصبحت الأرض تخص بني إسرائيل قانونياً وشرعياً، وذلك رغم أنهم لم يكونوا قد دخلوها بعد، وما لهم شرعياً كان يجب أن يصبح ملكهم اختبارياً.

وهذا صحيح بالنسبة لنا أيضاً فيما يتعلّق بذبيحة الرب يسوع على الصليب، فقد عمل الرب يسوع كل شيء، وأتاح لنا الخلاص الكامل، والتّام والشامل. لكن علينا نحن أن ننتقل من الشيء الذي لنا شرعاً إلى الاختبار. يجب أن يصبح الصليب حقيقيّاً في حياتنا، وعلينا أن نعيش على أرض الواقع كل ما أعدّه الرب يسوع لنا، وهذا لا يحدث في اختبار واحد، ولكن عبر سلسلة من الاختبارات المستمرّة في حياتنا اليومية.

بحثنا كذلك عبر دراستنا في المعاني المختلفة لكلمة "خلاص" في العهد الجديد، ورأينا أن هذه الكلمة تشمل طرق عديدة يتعامل بها الرب يسوع في حياتنا، فخلاص الرب يسوع لا يقتصر على غفران الخطايا فحسب، لكنه يشمل أيضاً الشفاء الجسدي، والتحرر من الأرواح الشريرة، وحتى إقامة شخص من الموت. كل هذا وأكثر تشمله كلمة واحدة وهي "خلاص".

هذا كله مُتاح لنا، وقد أصبح بالفعل لنا شرعاً بالإيمان في المسيح، ولكن كما في حالة يشوع وبني إسرائيل، علينا أن ننتقل مما هو شرعي إلى الاختبار العملي، والنموذج الكتابي الأساسي الذي يُعلّمنا كيف نفعل هذا قد تم توضيحه في يوم الخمسين كما هو مُسجّل في (أعمال ٢: ٣٨-٣٩).

بعد أن تحدث بطرس الرسول للجموع الغفيرة مُعلناً لهم حياة وموت وقيامة الرب يسوع، صرخوا وقالوا: "**مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟**" فأجاب بطرس الرسول ناطقاً باسم الله والكنيسة، ووضع ثلاثة مُتطلبات متتالية: **توبوا، اعتمدوا، اقبلوا الروح القدس**. من خلال هذه الخطوات الكتابية الثلاث نستطيع الدخول إلى الخلاص الكامل الذي أعدّه المسيح لنا، وسنتحدث بشكل مُختصر عن كل مطلب منها.

## ١. توبــوا

حتى نفهم معنى التّوبة بشكل كامل، نحتاج أن نفحص معنى الكلمة "توبة" في كل من اللغتين اليونانية (لغة العهد الجديد)، والعبريّة (لغة العهد القديم). الفعل اليوناني للتّوبة هو "metanoo" ويعني "تغيير الفكر" وهذا يتضمن "اتخاذ قرار"، أمّا في العبريّة فالكلمة هي من الفعل "شوب"[٨] أي "رجع" أو "غيّر اتجاهه" وهذا يتضمن القيام بفعل معين. حين نجمع معنى الكلمتين، نصل إلى الصورة الكاملة لمعنى التوبة. إنها قرار يتبعه فعل، أوّلاً أنا أتّخذ قراراً ثم أُتبع هذا القرار بالفعل المُناسب.

من الأمثلة الحية للتوبة قصة الابن الضّال في (لوقا ١٥: ١١-٣٢). فأوّل ما عمله ذلك الشاب أنه اتّخذ قراراً: "***أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي***" (الآية ١٨)، ثم قام بالفعل المناسب حيث رجع إلى بيته سالكاً الطريق الذي ارتحل منه سابقاً.

التّوبة مثل الالتفاف بالسّيارة للاتجاه المعاكس تماماً "U- Turn"، فحين تسافر في اتجاه خاطئ، تتوقف، وتتخذ بالسيّارة دورة ١٨٠ درجة، وتكمل رحلتك سالكاً الاتجاه المعاكس، والتّوبة على نفس السياق، لا تكون كاملة حتى تتحرك في الاتجاه الجديد.

٨ "شوب" العبرية قريبة من العربية "تاب" التي تعني أيضاً "رجع" أو "عاد".

قد أعلن الله عن ضرورة التّوبة أوّلاً من خلال يوحنّا المعمدان في (متّى ٣: ٢): "***تُوبُوا، لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ***" ثم كرر الرب يسوع نفسه هذه الدّعوة في (مرقس ١: ١٥): "***قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللهِ، فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ***".

للأسف فكثير من الوعّاظ في هذه الأيام يهملون بشكل كبير خطوة التّوبة، وهي الخطوة الأولى التي نحتاج أن نأخذها.

كنت مُشاركاً قبل عدّة سنوات في لقاء كبير في جنوب شرق آسيا، وكانت غالبية الحضور من خلفيات صينية، وقليلون من بين الحضور كان لديهم معرفة بالكتاب المقدّس. قدّم الواعظ حينها تعليماً جيّداً عن كيفية نوال الشفاء من خلال كلمة الله، لكنه لم يذكر أبداً كلمة (توبة)، ثم قال حين انهى عظته: "إن كنت تريد الشفاء، فتقدّم إلى الأمام وابدأ بالصلاة".

وجدت نفسي حينها أمام حشود غفيرة من الناس تجمّعوا في الأمام يريدون الصلاة. كانت خلفيات هؤلاء تتنوع بين عبادة الأسلاف، وممارسة السّحر، والتنجيم، وعبادة الأوثان، فأرادوا إضافة الرب يسوع إلى كل هذا! لكن الرب يسوع لن يوافق أبداً أن نُضيفه إلى مجموعة أشياء أخرى في حياتنا، فإمّا أن يكون هو الأساس الوحيد والفريد لكل معتقداتنا أو لا يكون شيئاً في حياتنا.

كان ينبغي على الواعظ أن يقول: "تحّولوا عن السّحر والتنجيم وعن طرقكم الشريرة، اتركوا عبادة الأسلاف وكل الممارسات الوثنية التي عشتم فيها قبلاً. توقفوا عن كل هذا، وارجعوا إلى الرب يسوع" ولكن للأسف لم تكن التّوبة جزءاً من الرسالة في ذلك اليوم. كانت نتيجة ذلك اللقاء مُربكة أكثر منها مُؤَثرة، فلم يخلص سوى القليل من الناس - إن وجدوا - لأنهم لم يتّخذوا الخطوة الأولى الضرورية للخلاص وهي التّوبة.

تذيع كثير من الكنائس اليوم رسالة مثل هذه: "إن كنت تريد أن تتخلّص من مشاكلك، فقط اقبل الرب يسوع!" لكن الحقيقة أن قبول الرب يسوع لا يحل كل مشاكلك، بل قد تواجه في حياتك مشاكل جديدة حين تقبل الرب يسوع.

إن المَطلب الأوّل الذي لا يتغير من أجل الخلاص هو التّوبة. لا يتحدث العهد الجديد أبداً عن إيمانٍ بدون توبة يؤدي إلى الخلاص، ودائماً يضع الكتاب المُقدّس التّوبة قبل الإيمان. يتحدث المسيح المُقام لتلاميذه (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٧) عن أنه كان ينبغي أن يموت، فيقول: "***كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، مُبْتَدَأً مِنْ أُورُشَلِيمَ***"... ماذا كانت الرسالة التي أمر الرب يسوع تلاميذه أن يكرزوا بها؟ لم تكن الرسالة تشمل فقط مغفرة الخطايا، بل تشمل التّوبة أوّلاً وبعدها مغفرة الخطايا.

يصف بولس الرسول في (أعمال ٢٠: ٢٠-٢١) خدمته في أفسس فيقول: "***لَمْ أُؤَخِّرْ شَيْئًا مِنَ الْفَوَائِدِ إِلاَّ وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ، شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ***".

يُلَخّص بولس الرسول في هذه العبارة الرسالة التي كان يُعلنها للجميع، لليهود واليونانيين في السر أو في العلن: "***... التَّوْبَةِ إِلَى اللهِ وَالإِيمَانِ الَّذِي بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ***".

في نهاية العهد الجديد، في (الأصحاحات ٢-٣ من الرؤيا)، يُسجّل الرسول يوحنّا رسالة الرب يسوع المسيح للكنائس السبع في مقاطعة أسيا، ولخمس من هذه الكنائس، كان المطلب الأوّل الذي يطلبه هو التّوبة، وأنا متأكد أن نسبة الكنائس التي تحتاج إلى تَوبة اليوم ليست أقل من ذلك.

خلال السنوات الماضية مارستُ خدمة المشورة لكثير من الناس الذين كانوا يأتون بأنواع مختلفة من المشاكل، وبإعادة التفكير في المشاكل، التي كنت أسمعها، توصّلت إلى النتيجة التالية: أنه في أغلب الحالات كان أصل المشاكل واحداً وهو عدم التّوبة، فلو قبل هؤلاء وخضعوا لرسالة التّوبة، لما احتاجوا - في أغلب الحالات - إلى مشورة ولتغلّبوا على مشاكلهم.

إن الخطية الأساسية التي سببت حالة العبوديّة لدى البشر هي التمرُّد ضد الله.

في نهاية الحرب العالمية الثانية إتصلت دول الحلفاء مع دول المحور وأبلغوهم بشرطهم الذي على أساسه يوافقون على إقامة السلام معهم. كان الشرط هو الاستسلام غير المشروط، وأضافوا أنهم لن يُقيموا سلاماً على أي أساسٍ آخر. الله يعرض نفس الشروط. فالله لن يُقيم معنا السّلام إذا لم نستسلم له استسلاماً غير مشروط. لا مجادلات، لا متطلبات، لا أعذار، لا تحفُّظات. ينبغي أن تكون استجابتنا الواضحة: "ها أنا يا رب، أنا أخضع! فأخبرني ماذا أفعل".

التوبة الحقيقة هي أن تتحول عن الخطيّة، وتُخضِع نفسك لله، مُستسلِماً لقيادة الرب يسوع لك. وبالرجوع لنصوص الكتاب المُقدّس، نرى أن التّوبة هي المطلب الأساسي الغير قابل للنقاش لنوال الخلاص.

**٢. اعتمـدوا:**

كلمة "يعتمد" في أصلها اليوناني مُشتقّة من كلمة معناها "يغطّس" أو "يغمر" تحت سطح الماء أو تحت سائل آخر. كان اليهود في أيّام الرب يسوع، وضمن بعض طقوسهم الدينيّة، يُمارسون شكلاً من أشكال المعمودية. كما كان للمعموديّة دور مركزي في خدمة يوحنّا المعمدان، فحين كان الناس يستجيبون لدعوته لهم بالتّوبة، كان يطلب منهم أن يعتمدوا في نهر الأردن، وكانت معموديّة يوحنّا المعمدان هي اعتراف عَلَني بأن الشخص الذي تعَمّد قد تاب عن خطاياه، ولم تكن تزيد في معناها عن هذا.

خضع يسوع نفسه لمعموديّة يوحنّا قبل أن يبدأ خدمته، ولكن لم تكن معموديّة الرب يسوع إعلاناً أو اعترافاً بخطيّة، لأن الرب يسوع لم يرتكب أيّة خطيّة. يُوضّح الرب يسوع في (متّى ٣: ١٥) لماذا اعتمد: "لأنه هكذا يليق بنا أن نُكمّل كل بِرّ" وبخضوع الرب يسوع لمعموديّة يوحنّا أتمَّ أو أكمل الجانب الخارجي للبر الداخلي الذي يمتلكه منذ الأزل، وكانت هذه المعموديّة هي المدخل لخدمة الرب يسوع العلنية.

كانت خدمة يوحنّا المعمدان خدمة انتقالية، فقد ختمت خدمة العهد القديم وفتحت الطريق لخدمة الرب يسوع والإنجيل. وعندما أتمَّ الرب يسوع خدمته الأرضيّة، ودفع ثمن خطايانا، لم تعد لمعموديّة يوحنّا أهميّة أو فعاليّة. يُسجّل لنا (أعمال ١٩: ١-٥) كيف واجه بولس مجموعة من تلاميذ يوحنّا المعمدان وشرح لهم في أفسس رسالة الإنجيل الكاملة، ومحورها موت وقيامة الرب يسوع، وبعد أن سمع هؤلاء التلاميذ الرسالة اعتمدوا بالمعموديّة المسيحيّة باسم الرب يسوع.

الملامح المُميّزة للمعموديّة المسيحيّة تتلخص في أن الشخص المتعمّد يختبر موت ودفن وقيامة الرب يسوع، وذلك في عمل علني. يذكر بولس الرسول في رسالته لأهل كولوسي هذا الأمر: "**... مَدْفُونِينَ مَعَهُ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، الَّتِي فِيهَا أُقِمْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ بِإِيمَانِ عَمَلِ اللهِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ**" (كولوسي ٢: ١٢)، فلتتميم قصد الله من بشارة الإنجيل، يطلب الله من كل الذين يعلنون خلاصهم بالإيمان في الذبيحة الكفّاريّة للرب يسوع المسيح أن يُقدّموا شهادة علنية أمام الشعب عن هذا الخلاص، وذلك بأن يعتمدوا.

في المجتمعات غير المسيحيّة حول العالم، كالمجتمعات الهندوسية وغيرها، يكون إجراء المعموديّة المسيحية علامة قاطعة على أن الشخص المُعتمِد صار من تلاميذ الرب يسوع، وتُثير هذه الممارسة لدى غير المؤمنين ردود أفعال قويّة.

حين بعث الرب يسوع رسله الأوائل كما جاء في (مرقس ١٦: ١٥-١٦) ليُبشّروا بالإنجيل، أوصاهم فقال:
"***اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا.مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ***".

ليست المعموديّة المسيحيّة مُلْحقاً إضافياً غير ضروري لعمليّة الخلاص، ولكنها تتميم لهذه العمليّة، فالرب يسوع لم يَعِدْ بالخلاص لهؤلاء الذين آمنوا ولم يعتمدوا، ولا يُسجَّل العهد الجديد أيّة حالة لشخص أعلن خلاصه بالإيمان بالرب يسوع المسيح دون أن يعتمد.

الشيء الأخير الذي تُشير إليه المعمودية المسيحيّة، وبأكثر تأكيد، ليس الموت أو الدّفن، بل القيامة التي تفتح الباب لأسلوب ونوع جديد تماماً من الحياة، ويُلخّص بولس الرسول هذا الأمر في (كولوسي ٣: ١-٤):
"***فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لاَ بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ***".

### ٣. إقبلوا الروح القدس:

هذه هي الخطوة الثالثة والحاسمة في مسيرنا لامتلاك ميراثنا في المسيح، وحتى نفهم ما تتضمنه هذه الخطوة بوضوح، فنحن نحتاج أن ندرك أن العهد الجديد يتحدث عن طريقتين مختلفتين لقبول الروح القدس.

يُسجّل لنا (يوحنّا ٢٠: ٢١-٢٢) ظهور الرب يسوع الأوّل لتلاميذه بعد القيامة، وما قاله لهم:
"***سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا. وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ***"...

وبكلمات أكثر حرفية نستطيع ترجمة الآية (٢٢) هكذا: "ولمّا قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: إقبلوا النفخة المُقدّسة". فالعمل الذي أجراه الرب يسوع كان يتلاءم مع الكلمات التي قالها، وفي تلك اللحظة، قَبِل التلاميذ الروح القدس من الرب يسوع كنفخةٍ إلهيّه. ما حصل لهم حقيقةً في ذلك الوقت أنهم وُلِدوا ولادة ثانية من الروح القدس. فقد قبلوا حياة القيامة الإلهيّة؛ تلك الحياة التي انتصرت على الشيطان، وعلى الخطيّة والموت والقبر.

على ضوء هذا الكلام يقول يوحنّا في (١يوحنا ٥: ٤): "**لأَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ يَغْلِبُ الْعَالَمَ**". لا توجد أيّة قوّة في العالم تستطيع أن تغلب الحياة الإلهيّة الأبدية التي يقبلها من الله كل مؤمن في المسيح الذي وُلِد ثانيةً من الروح القدس.

لكن هناك المزيد مما يجب للتلاميذ أن يقبلوه من الروح القدس، ففي اليوم الأربعين من قيامة الرب يسوع، وبالتحديد في يوم صعوده إلى السماء، نقرأ ما يلي: "**وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا «مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي، لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ،** (أو في الروح القدس) **لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ**»" (أعمال ١: ٤-٥).

من الواضح أن المعموديّة في الروح القدس هي شيء لم يكن قد حدث للتلاميذ بعد، حتى بعد الذي اختبروه في أحد القيامة حين نفخ فيهم الرب يسوع.

وإتمام وعد الرب يسوع هذا مُسَجَّل في (أعمال ٢: ١-٤).
"**وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعًا بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا**".

تظهر في الآيات السابقة ثلاث مراحل متتالية في اختبار يوم الخمسين: أوّلاً، كانت هناك معموديّة، أي غمر؛ غُمِر الجميع في الروح القدس الذي حلّ عليهم من فوق، ويُمكن تشبيه ما حدث بالوقوف تحت شلالات نياجارا! الشيء الثاني الذي حدث هو الملء، فقد امتلأ كل واحد منهم بشكل فردي بالروح القدس، وثالثاً الفيض، فقد فاض الروح القدس الذي بداخلهم بواسطتهم من خلال النطق بكلام فوق طبيعي، إذ بدأوا يُمجّدون الله بلغات لم يتعلّموها قبلاً ولا كانوا يفهمونها.

إن اختبار التلاميذ في يوم الخمسين يُوضِّح المبدأ الذي قاله الرب يسوع في (متّى ١٢: ٣٤): "**من فضلة القلب يتكلَّم اللسان**" وبكلمات أخرى، عندما يمتلئ القلب، فهو يفيض من خلال اللسان بالكلام.

كان اختبار الروح القدس هذا هو الأداة فوق الطبيعية لجعل التلاميذ فعّالين كشهود للرب يسوع، فقد كان عليهم أن يشهدوا عن حدث فوق طبيعي وهو قيامة وصعود الرب يسوع، والشهادة لحَدَث غير طبيعي كهذا، تحتاج لِقوّة فوق طبيعيّة. لقد ظهرت هذه القوّة في يوم الخمسين، وبَقي عملها مُستمرّاً طوال سِجِلّات سفر أعمال الرسل، بل لم تُسحَب هذه القوّة أبداً من الكنيسة، ومازالت مُتاحة حتى هذا اليوم. يُبيّن بولس الرسول بكل وضوح في (١كورنثوس ١: ٤-٨) أن المواهب وإظهارات الروح القدس فوق الطبيعيّة ستستمر في العمل في الكنيسة حتى نهاية هذا الدهر:

**أَشْكُرُ إِلهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّكُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ اسْتَغْنَيْتُمْ فِيهِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ وَكُلِّ عِلْمٍ، كَمَا ثُبِّتَتْ فِيكُمْ شَهَادَةُ الْمَسِيحِ، حَتَّى إِنَّكُمْ لَسْتُمْ نَاقِصِينَ فِي مَوْهِبَةٍ مَا، وَأَنْتُمْ مُتَوَقِّعُونَ اسْتِعْلاَنَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي سَيُثْبِتُكُمْ أَيْضًا إِلَى النِّهَايَةِ بِلاَ لَوْمٍ فِي يَوْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**".

نستطيع توضيح عمل الروح القدس الموصوف أعلاه بمقارنة يومين مهمّين في تاريخ الكنيسة:

| أحد القيامة | أحد الخمسين |
|---|---|
| المسيح المُقام من الموت | المسيح الصاعد إلى السماء |
| نفخة الروح القدس | انسكاب الروح القدس |
| النتيجة: حياة القيامة | النتيجة: قوّة الشهادة |

لهؤلاء الذين نالوا اختبار أحد القيامة، ويشعرون بإحتياجهم لاختبار يوم الخمسين، لذي الرب يسوع وعد لكم في (يوحنّا ٧: ٣٧-٣٩).

***"وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلاً: إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ".***

هناك ثلاث متطلبات بسيطة لكي تتعمّد بالروح القدس: أن تعطش، وأن تأتي إلى الرب يسوع، وأن تشرب حتى تنال الفيض.

**نموذج العهد القديم:**

كل هذه الأمور قد سبق التدليل عليها بقوّة في العهد القديم، وذلك في قصّة تحرير بني إسرائيل من مصر. يصف بولس الرسول هذا في (١كورنثوس ١٠: ١-٢):

***"فَإِنِّي لَسْتُ أُرِيدُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْهَلُوا أَنَّ آبَاءَنَا جَمِيعَهُمْ كَانُوا تَحْتَ السَّحَابَةِ، وَجَمِيعَهُمُ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ، وَجَمِيعَهُمُ اعْتَمَدُوا لِمُوسَى فِي السَّحَابَةِ وَفِي الْبَحْرِ".***

في البداية حين كان بنو إسرائيل في مصر، خلَصوا من قضاء الله من خلال دم حَمَلِ الفصح، ونفهم من خلال جميع النصوص الكتابية أن هذا الحَمَلَ يُمثل الرب يسوع؛ حَمَلَ الله الذي بدمه المسفوك على الصليب يُخلّص الخطاة التائبين من دينونة الله على خطاياهم.

بعد هذا، خلص بنو إسرائيل من مصر من خلال ما يصفه بولس الرسول بمعموديّة ثنائية: معموديّة في السحاب الآتي من فوق وهي تُمثِّل المعمودية في الروح القدس، والمعموديّة الثانية هي عبور بني إسرائيل في البحر الأحمر الذي انشقّ بقوّة فوق طبيعيّة أمامهم، وهذه تُمثِّل معموديّة التغطيس في الماء. هذه المعموديّة الثُنائية فصلت بنى إسرائيل عن مصر بكل فعالية وبشكل نهائي، ومصر في هذه الحالة تُمثِّل هذا العالم في حالته الساقطة.

يصف لنا الكتاب المُقدّس في (خروج ١٤: ١٩-٢٠) معموديّة السحاب:
"***فَانْتَقَلَ مَلاَكُ اللهِ السَّائِرُ أَمَامَ عَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ وَسَارَ وَرَاءَهُمْ، وَانْتَقَلَ عَمُودُ السَّحَابِ مِنْ أَمَامِهِمْ وَوَقَفَ وَرَاءَهُمْ. فَدَخَلَ بَيْنَ عَسْكَرِ الْمِصْرِيِّينَ وَعَسْكَرِ إِسْرَائِيلَ، وَصَارَ السَّحَابُ وَالظَّلاَمُ وَأَضَاءَ اللَّيْلَ. فَلَمْ يَقْتَرِبْ هذَا إِلَى ذَاكَ كُلَّ اللَّيْلِ***".

لقد نزل الرب نفسه في هذه السحابة فوق الطبيعيّة وحامى عن شعبه. كان للسحابة تأثيراً ثنائياً، فمن جهة المصريّين كانت مُعتِمة ومُخِيفة، وأمّا من جهة بني إسرائيل فقد كانت تُضيء لهم الليل وتُعطي نوراً، ومنعت المصريّين طوال الليل من الاقتراب إلى بني إسرائيل.

لقد اقترب ملاك الرب من خلال السحابة ليُحامي عن شعبه. وهذا يُمثِّل ما أعلَنه الرب يسوع لتلاميذه أنّ إقامته معهم ستكون دائمة وذلك من خلال الروح القدس، فهذه السحابة تُشِير بِقوّة إلى ذلك الوعد الذي أعطاه الرب يسوع في (يوحنّا ١٤: ١٦-١٩):
"***وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ. بَعْدَ قَلِيل لاَ يَرَانِي الْعَالَمُ أَيْضًا، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَرَوْنَنِي. إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ***".

نرى في قصّة خروج بني إسرائيل من مصر أنّ ملاك الرب كان في عمود السحاب الذي فصل معسكر بني إسرائيل عن المصريّين، وبطريقة مماثِلة فالرّب يسوع المسيح يقود شعبه ويُقيم معهم إقامة دائمة، وذلك من خلال الروح القدس، وهكذا فهو يؤمِّن لهم الحماية والرّاحة في أوقات الضغوط.

من خلال هذه المعموديّة الثنائية، بدأ شعب الله رحلة العُمْر التي ستنقلهم إلى الميراث الذي أعدّه الله لهم، ويوماً بعد يوم كانوا ينقادون من خلال نفس السحابة التي نزلت عليهم من فوق على شاطئ البحر الأحمر، فكانت السحابة أثناء النهار تُظلّل عليهم من حرارة الشمس، وفي الليل كانت تُؤمّن لهم الضوء وسط الظلام. يا لروعة الروح القدس فهو لنا المرشد والمعزّي!

جميع بني إسرائيل في هذه الرحلة "***أَكَلُوا طَعَامًا وَاحِدًا رُوحِيًّا، وَجَمِيعَهُمْ شَرِبُوا شَرَابًا وَاحِدًا رُوحِيًّا***" (١كورنثوس ١٠: ٣-٤)، والطعام الذي أكله بنو إسرائيل هو المن الذي كان ينزل من فوق مع النّدى في وقت الصباح. بنفس الطريقة وصف الرب يسوع في (متّى ٤: ٤) الطعام الرّوحي الذي أعدّه الله لشعبه في جيلنا الحاضر: "***لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ***" فاليوم نحن كمؤمنين مسيحيّين لنا قوّة وصِحة روحيّة تأتينا من التغذّي اليومي المُنتَظِم من كلمة الله في الكتاب المُقدّس.

كذلك يقول الرب يسوع أيضاً في (يوحنا ٧: ٣٧-٣٩):
"***وَفِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ الْعَظِيمِ مِنَ الْعِيدِ وَقَفَ يَسُوعُ وَنَادَى قَائِلاً: إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ***".

إن كل مَسيحيّ مولود ولادة ثانية، ويَسكُن فيه الروح القدس لديه في داخله ينبوع لا ينضب من الماء الحَيّ.

فصحتنا ورفاهيتنا الروحيّة في رحلة الحياة هذه تعتمد على تغذيتنا اليومية من كلمة الله في الكتاب المُقدّس، وشُربنا اليومي من ينبوع الروح القُدُس الذي فينا. من تجربتي الشخصيّة كإنسان مسيحيّ مؤمِن، فقد تعلَّمت أن هذا يأتي من خلال الشركة الشخصيّة اليوميّة مع الرّب، والتغذية بكلمته والاستجابة له بالصلاة والعبادة بقوّة وحث الروح القدس في قلوبنا. قد أصبح أيضاً واضحاً بالنسبة لي أن المن الذي كان الله يُقدّمه لبَني إسرائيل في رحلتهم في البَريّة كان يجب أن يُجمَع مُبكِّراً في الصباح، وإلا فحين تُشرق الشمس فستُذيب حرارتها ذلك المَن. من الضروري أن نتغذّي بكلمة الله مُبكّرين في الصّباح قبل أن تعمل حرارة العالم من هموم ومسؤوليات على إذابة المن.

كانت السحابة منذ وصولهم إلى البحر الأحمر، وطوال الرحلة في البريّة، هي من أرشَدَت بني إسرائيل. وهذا يوضح بِقوّة ما كان يعنيه بولس الرسول في (رومية ٨: ١٤).
"***لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ***".

كان هدفي من هذا الكتاب أن أُجهّزك وأعدّك للرّحلة التي تمتد أمامك. وقد حان الوقت الآن لنُنهي دراستنا معاً ونفترق، وصلاتي لك من أعماق قلبي أن يكون لك رحلة ملؤها الانتصار والنجاح، حتى نتقابل معاً يوماً ما، وجهاً لوجهٍ في وطننا السماوي.

# نبذة عن حياة الكاتب

وُلد ديريك برنس في الهند لأبوين بريطانيّين. درس اليونانية واللاتينية في إثنين من أشهر المعاهد التعليمية، جامعة إيتون وجامعة كمبريدج من ١٩٤٠ إلى ١٩٤٩. حصل على الزمالة من جامعة King بكمبريدج وتخصص في الفلسفة القديمة والحديثة. درس العبرية والآرامية أيضا في كل من جامعة كمبريدج والجامعة العبرية في القدس. وبالإضافة إلى ذلك يتحدث ديريك عدداً من اللغات المعاصرة.

في أوائل سنين الحرب العالمية الثانية، بينما كان يخدم مع الجيش البريطاني كمشرف مستشفى، إختبر ديريك برنس لقاء مغير للحياة مع يسوع المسيح.

**عن هذا اللقاء كتب ديريك برنس:**

من هذا اللقاء خرجت بنتيجتين لم أقابل ما يجعلني أتغير من جهتهما:

الأولى هى أن يسوع المسيح حيّ.

والثانية هى أن الكتاب المقدس صادق، عملي وعصري.

هاتان النتيجتان غيرتا مسار حياتي جذريا وبلا رجعة.

في نهاية الحرب العالمية الثانية، ظل ديريك برنس (حيث أرسله الجيش البريطاني) في القدس. وتزوج من زوجته الأولى ليديا، أصبح أباً بالتبني لثماني فتيات. شهدت العائلة معاً إعادة قيام دولة إسرائيل في ١٩٤٨. وبينما كان ديريك وليديا في كينيا يعملان كمعلمين، تبنيا إبنتهما التاسعة – طفلة أفريقية. توفيت ليديا في عام ١٩٧٥. وفي عام ١٩٧٨ تزوج ديريك من روث بيكر لمدة ٢٠ سنة. سافرا معاً الى كل أنحاء العالم يعلمان الحق الكتابي المعلن ويشاركان الرؤية النبوية في أحداث العالم في ضوء الكتاب المقدس. توفيت روث في ديسمبر ١٩٩٨.

إتجاه ديريك المتجرد من الطائفية والتحيز فتح أبواباً لسماع تعاليمه عند أناس من خلفيات عرقية ودينية مختلفة، وهو معروف دولياً كأحد قادة تفسير الكتاب المعاصرين. يصل برنامجه الإذاعي اليومي، «مفاتيح الحياة الناجحة» إلى نصف العالم في ١٣ لغة تتضمن الصينية والروسية والعربية والأسبانية.

بعض الكتب الخمسين التي كتبها ديريك برنس قد تُرجمت إلى ٦٠ لغة مختلفة. منذ ١٩٨٩ يوجد تركيز على شرق أوربا ودول الإتحاد المستقلة (الكومنولث والمعروفة بالإتحاد السوفيتي سابقاً) ويوجد أكثر من مليون نسخة متداولة بلغات هذه الدول. مدرسة الكتاب المقدس المسجلة على الفيديو لديريك برنس تشكل أساساً لعشرات من مدارس الكتاب الجديدة في هذا الجزء من العالم الذي لم يكن مخدوماً من قبل.

من خلال البرنامج الكرازي العالمي، وزعت خدمة ديريك برنس مئات الألوف من الكتب وأشرطة الكاسيت للرعاة والقادة في أكثر من ١٢٠ دولة – للذين لم يكن لديهم وسيلة للحصول على مادة تعليمية للكتاب أو لم يكن لديهم المقدرة المادية لشرائها.

يوجد المركز الرئيسي الدولي لخدمة ديريك برنس في شارلوت بولاية شمال كارولينا، ويوجد فروع للخدمة في المملكة المتحدة و أستراليا وكندا وفرنسا وألمانيا وهولندا ونيوزيلاندا وسنغافورة وجنوب أفريقيا ويوجد موزعون في دول كثيرة أخرى.

## اصدارات أخرى لديريك برنس بالعربية

**كتب:**

- اسس الإيمان.
- يخرجون الشياطين.
- الكفارة.
- الإيمان الذي به نحيا.
- الحرب في السماويات.
- تلبسون قوة.
- أزواج وآباء.
- الدخول الى محضر الله.
- تشكيل التاريخ.
- عهد الزواج.
- مواجهة الأيام الأخيرة.
- شركاء مدى الحياة.
- الدواء الإلهي.
- الشكر التسبيح العبادة.
- العبور من اللعنة الى البركة.
- أسرار المحارب في الصلاة.
- دراسات شخصية في الكتاب المقدس.
- القوة الروحية المغيرة للحياة.
- ما جمعه الله.

**كتيبات:**

- المبادلة الإلهية العظمى.
- الإبوة.
- المصارعة الروحية.
- الروح القدس فينا.
- الرفض.
- ومتى صمتم.
- فكر الله من نحو المال.
- هل يحتاج لسانك الى شفاء؟.
- الخلاص الكامل.
- المحبة المسرفة.
- الصلاة من أجل الحكومة.
- مشيئة الله لحياتك.

Derek Prince Ministries-Arabic
ديريك برنس

YouTube
ديريك برنس

www.dpm.name
موقع خدمة ديريك برنس
باللغة العربية

GET IT ON Google Play
https://goo.gl/7wfl9v
برنامج خدمة ديريك برنس للأندرويد

## إذا لمسك الرب من خلال هذا الكتاب
## شاركنا باختبارك على:

info@dpm.name
+447477151750

DPM